مدخل لدراسة تاريخ الأندلس

أ.د. محمد عبده حتاملة
قسم التاريخ/الجامعة الأردنية

عمّان – الأردن
١٤٣١هـ/٢٠١٠م

http://al-maktabeh.com

مدخل لدراسة
تاريخ الأندلس

تأليف
الأستاذ الدكتور محمد عبده حتاملة
قسم التاريخ / الجامعة الأردنية

عمان – الأردن: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية
٢٠١٠/٥/١٨٥٣

٩٥٦ . ٠٦١
حتاملة، محمد عبده طالب
مدخل لدراسة تاريخ الأندلس/
محمد عبده طالب حتاملة . ـعمّان:
المؤلّف، ٢٠١٠
(٢٤٣) ص .
ر . إ . : ٢٠١٠/٥/١٨٥٣
الواصفات: تاريخ الأندلس ١٤٩٥-٧١١

مطبعة الجامعة الأردنية
Jordan University Press

المقدمة

تضع هذه الدراسة بين يدي دارس تاريخ الأندلس لمحات عن جوانب هذا التاريخ الذي امتد نحو ثمانية قرون بين سنتي ٩٢-٨٩٧هـ / ٧١١-١٤٩٢م، وتتيح له التعرف على العوامل السياسية والاجتماعية التي يسرت فتح تلك المنطقة من العالم، المعروفة باسم شبه الجزيرة الأيبيرية، حيث تم فتح معظم أنحائها خلال فترة وجيزة، لم تتجاوز خمس سنوات (٩٢-٩٧هـ / ٧١١-٧١٥م) على أيدي القادة المسلمين: طارق بن زياد، وموسى بن نصير، ثم أول ولاة الأندلس: عبدالعزيز بن موسى بن نصير. وتوضح الدراسة كيف أن تلك الفتوحات وصلت في عهد بعض ولاة الأندلس إلى جنوبي بلاد غالة (فرنسا)، وكادت تضع الإمبراطورية البيزنطية بين فكي كماشة إسلامية من الغرب والشرق.

وتوضح الدراسة أيضاً الأسباب التي أدت إلى وقف الاندفاع الإسلامي في عملية الفتح، وهي أسباب داخلية تمثلت في الاقتتال بين عرب وبربر، وقيسية ويمنية، وفي الثورات المتلاحقة التي قامت بها عناصر مختلفة في عهد الدولة الأموية في الأندلس، مما أدى إلى ضعفها، ومن ثم انهيارها، وتمزق البلاد إلى دويلات وإمارات صغيرة أصبحت لقمة سائغة للممالك النصرانية، تلك الممالك التي نشأت في شمالي شبه الجزيرة الأيبيرية، وأخذت تتوسع على حساب المسلمين في الأندلس، وتحقق الانتصارات عليهم، ومن ثم على القوى الإسلامية الأخرى التي سيطرت على الأندلس في محاولة لدحر النصارى، وأهمها قوى دولتي المرابطين ثم الموحدين.

وتبرز هذه الدراسة دور الكنيسة الكاثوليكية شديدة التعصب في محاربة المسلمين، ودعم البابوية اللامحدود لملوك النصارى، وحشد القوات النصرانية من مختلف أنحاء أوروبا، وتسيير الحملات الصليبية لدعم نصارى أيبيريا، مما شكل قوة ضاغطة بشكل هائل على المسلمين في الأندلس تمكنت في نهاية المطاف من إجبار آخر ممالكهم فيها، وهي مملكة غرناطة، على الاستسلام، ومن ثم اضطهاد المسلمين، وتعريضهم لشتى صنوف الملاحقة والعذاب بهدف استئصالهم، والقضاء على كل ما له صلة بهم في الأندلس.

وتقع هذه الدراسة في تمهيد وأربعة فصول وخاتمة، وقد عرف التمهيد بموقع الأندلس وحدودها وجغرافيتها بإيجاز، حيث تناول طبيعتها، وأشار إلى أهم أنهارها ومدنها، وجبالها، وتسميتها بهذا الاسم (الأندلس).

ويتناول الفصل الأول أحوال أيبيريا قبل الفتح العربي الإسلامي، حيث يعرف الأمم والشعوب التي تعاقبت على حكم شبه الجزيرة الأيبيرية منذ ما قبل الميلاد حتى الفتح الإسلامي، وآخر تلك الشعوب كان القوط الوثنيون الذين اعتنقوا فيما بعد الديانة النصرانية على المذهب الأريوسي ثم تحولوا إلى المذهب الكاثوليكي، ثم يعرض الفصل الأول بإيجاز إلى المعتقدات الأخرى التي كانت سائدة لدى بعض الجماعات من غير القوط في أيبيريا، وللديانة اليهودية. ثم يتناول بشيء من التفصيل ما كان يعقد في مدينة طليطلة، عاصمة القوط، من مجامع كنسية كان لها دور بالغ التأثير في المجتمع القوطي الذي كان مؤلفاً من طبقات اجتماعية عليا تحظى بكل شيء، ودنيا مسحوقة.

ويتناول الفصل الثاني فتح الأندلس والعهود التي مرت بها بدءاً بعهد الفتح، وانتهاء بعهد مملكة غرناطة، ويبين الملامح العامة لكل عهد بما يوضح صورته ومميزاته، وأهم ما دار خلاله من أحداث، وأثر تلك الأحداث على دولة الإسلام في الأندلس.

أما الفصل الثالث فكان موضوعه المجتمع الإسلامي في الأندلس، ومكوناته، حيث تناول البلديين والشاميين والبربر وأماكن استقرارهم، ثم تناول عوامل انتشار الإسلام في الأندلس، والمصاهرات بين المسلمين والنصارى، ثم تناول الفئات الجديدة التي تشكل منها المجتمع، وهي: المستعربون، والمسالمة، والمولدون.

وتناول الفصل الرابع علاقة الكاثوليكية بالبابوية وأثرها على سقوط الأندلس، حيث وضح الدور الذي لعبه البابوات ومارسوه لدعم ملوك النصارى ضد المسلمين، ومن ثم توجيه الأوضاع بما يؤدي إلى تنصير مسلمي الأندلس تنصيراً قسرياً، وهو الأمر الذي نجم عنه ظهور فئات جديدة من فئات المجتمع، وخاصة الموريسكيين، والمدجنين الذين اضطروا أمام الضغوط الهائلة التي تعرضوا لها إلى إظهار التنصر، بينما ظلوا مسلمين يمارسون كل الشعائر الدينية الإسلامية في السر، خوفاً من بطش محاكم التفتيش التي شكلها ملوك إسبانيا بعد سقوط غرناطة بتوجيه البابوية التي قدمت دعماً مطلقاً للكنيسة الكاثوليكية من أجل إنشاء هذه المحاكم للتحقيق مع كل من تشك بأنه غير كاثوليكي سواء أكان مسلماً أم يهودياً أم بروتستانتياً، ومن ثم تحويله إلى السجن تمهيداً لتعذيبه بوسائل وحشية ربما كان الإحراق بالنار أهونها. ويوضح هذا الفصل أيضاً كيف أن كثيرين من

المسلمين تمكنوا – رغم كل ما تعرضوا له من قسوة – من الحفاظ على دينهم وعاداتهم وتقاليدهم، وكان وعاء ذلك كله لغة ابتكروها للتخاطب فيما بينهم، وللاستمرار في نشر الدين الإسلامي، وهي اللغة الخميادية.

وتضمنت خاتمة هذه الدراسة أبرز ما توصلت إليه من نتائج وأهمها أن الإسلام كان وما يزال دين تسامح ومحبة، دخل شبه الجزيرة الأيبيرية التي كانت ممزقة دينياً وسياسياً واجتماعياً فوحدها، وقضى على الطبقية فيها، وأنشأ دولة لا فرق فيها لعربي على عجمي، ولا لأحد على أحد إلا بالتقوى والصلاح، بينما كانت الكاثوليكية سوط عذاب على غيرها، فقد ابتكرت من وسائل التنكيل بالآخرين مالم يعرف له التاريخ مثيلاً، وكان تعصبها المذهبي بلا حدود.

عمان ٥ / ٤ / ٢٠٠٩م

المؤلف

أ.د. محمد عبده حتاملة

قسم التاريخ / الجامعة الأردنية

المحتويات

المقدمة	٣
تمهيد	٩
الفصل الأول / أحوال أيبيريا قبيل الفتح العربي الإسلامي	١٥
أ- الديانة النصرانية والمعتقدات الأخرى	٢٠
- المذهب الأريوسي	٢٠
- المذهب الكاثوليكي	٢٣
- المعتقدات الأخرى	٢٦
ب- الديانة اليهودية	٢٧
جـ- المجامع الكنسية في طليطلة	٣٠
د- طبقات المجتمع في إسبانيا	٣٣
أولاً – الطبقة العليا (الأرستقراطية)	٣٤
ثانياً- طبقة رجال الدين	٣٥
ثالثاً- الطبقة الوسطى	٣٥
رابعاً- الطبقة الدينا	٣٦
خامساً- اليهود	٣٦
الفصل الثاني / فتح الأندلس والعهود التي مرت بها	٣٧
أولاً – عهد الفتح	٤١
ثانياً- عهد الولاة	٤٨
ثالثاً – عهد الإمارة الأموية	٦١
رابعاً – عهد الخلافة الأموية	٨١
خامساً – عهد ملوك الطوائف	٩٧
- دويلة قرطبة	٩٨
- دويلة إشبيلية	٩٩
- دويلة بطليوس	١٠١
- دويلة طليطلة	١٠٢
- دويلة سرقسطة	١٠٥
- إمارات شرقي الأندلس	١٠٨

- نشأة الممالك النصرانية ١١٣
سادساً- عهد المرابطين ١١٦
سابعاً - عهد الموحدين ١٢٢
ثامناً - عهد مملكة غرناطة ١٢٥
الفصل الثالث/ المجتمع الإسلامي في الأندلس ١٣٥
البلديون وأماكن استقرارهم ١٣٨
الشاميون وأماكن استقرارهم ١٤١
البربر وأماكن استقرارهم ١٤٤
عوامل انتشار الإسلام في الأندلس ١٤٥
المصاهرات بين المسلمين والنصارى ١٤٩
المستعربون ١٥١
المسالمة ١٥٣
المولدون ١٥٣
الفصل الرابع/ علاقة الكاثوليكية بالبابوية وأثرها على سقوط الأندلس ١٥٧
التنصير القسري لمسلمي الأندلس ١٦٣
محاكم التفتيش والموريسكيون ١٦٨
- إجراءات التحقيق في محاكم التفتيش ١٧٢
- وسائل التعذيب في محاكم التفتيش ١٧٥
اللغة الخميادية ١٨٤
المدجنون ١٨٦
الخاتمة ١٨٩
المصادر والمراجع ١٩٣

http://al-maktabeh.com

تمهيد

تطلق تسمية (الأندلس) على المناطق التي فتحها العرب المسلمون من شبه الجزيرة الأيبيرية (أيبيريا) وسادوها [١]، وتشمل كل أنحاء شبه الجزيرة باستثناء بعض المناطق الشمالية الغربية التي تعتبر جزءاً من استوريس وجليقية [٢]، وهذه المناطق التي لم يفتحوها محدودة المساحة إذا ما قورنت بمساحة البلاد الكلية.

وتقع أيبيريا في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من قارة أوروبا [٣]، وتحيط بها البحار من ثلاث جهات؛ فمن الشمال الغربي: خليج بسكاية وبحر الكنتبريك، ومن الشرق: البحر الأبيض المتوسط،ومن الجنوب: البحرالأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق والمحيط الأطلسي، ومن الغرب: المحيط الأطلسي. أما من الجهة الشمالية الشرقية فتفصل أيبيريا عن فرنسا: سلسلة جبال البرت Cordillera Pirenaica، وجمهورية أندرّة [٤] .

وتقفل سلسلة جبال البرت الطريق بين أيبيريا وجنوبي فرنسا، وليس هناك من طرق للعبور بينهما إلا من ممرين في الشرق والغرب، ومن ممرات خلال الجبال تسمى (الأبواب) [٥]. وهذه الأبواب (الممرات) عريضة طويلة، يبلغ طول بعضها في عرض الجبل خمسة وثلاثين ميلاً [٦].

---

(١) مؤنس،حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط١، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٢٢٨.

(٢) المقري، الشيخ أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨، ج١، ص٢٧٥؛ حتاملة، محمد عبده، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، مطابع الدستور الأردنية، عمان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٠٢٢.

(٣) حتاملة، محمد عبده، أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ط١، عمان، ١٩٩٦م، ص ١٨.

(٤) الاصطخري، ابن اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٨١هـ،ص ٤١؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ٦٥؛ الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق أ. لا في بروفنسال، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٢؛ حتاملة، أيبيريا، ص١٩.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٢٨؛ مؤنس، معالم، ص٢٢٨؛ حتاملة، أيبيريا، ص٢٠.

(٦) حتاملة، أيبيريا، ص٢٠.

وتشمل شبه الجزيرة الأيبيرية اليوم: اسبانيا، والبرتغال، وتصل مساحتها إلى ستمائة ألف كيلومتر مربع، تشغل اسبانيا خمسة أسداسها، والسدس الأخير تشغله البرتغال[١].

وأيبيريا عبارة عن هضبة متوسط ارتفاعها عن سطح البحر ستمائة متر، وتتخللها سلاسل جبال يصل ارتفاع معظمها إلى ألف وستمائة متر [٢]. وتنخفض الهضبة في جزئها الجنوبي الغربي إلى حوالي مائتين واثني عشر متراً، أما في الجهات الأخرى فتصل حواف الجبال إلى الساحل مباشرة [٣]. وبالإضافة إلى الجبال توجد في أيبيريا مناطق سهلية منخفضة تمتد على ضفاف الأنهار مثل: نهر إيبره Iberica، ونهر الوادي الكبير، ونهر تاجة Tajo [٤]. وهناك أيضاً سواحل شبه الجزيرة التي تمتد على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي [٥].

ويلاحظ أن سلاسل الجبال تشق شبه الجزيرة الأيبيرية بشكل مستعرض، وبين كل سلسلة والتي تليها يوجد واد يجري فيه نهر مستعرض أيضاً، وتنبع هذه الأنهار من وسط شبه الجزيرة [٦].

ويتركز معظم أنهار شبه الجزيرة الأيبيرية في النصف الشمالي منها، والعدد الأكبر من هذه الأنهار يصب في المحيط الأطلسي، وهي من الشمال إلى الجنوب: نهر المنيو، ونهر الدويرة، ونهر التاجة، ونهر الوادي آنه (الوادیانة)، ونهر الوادي الكبير، وتقع على هذا النهر الأخير قرطبة Cordoba، وهي مدينة كبيرة تمتد على ضفته اليمنى، وتحتل سهلاً خصبا يعتبر من أكثر المناطق الزراعية إنتاجا في أيبيريا [٧]، وإشبيلية Sevilla التي تقع على نهر الوادي الكبير إلى الجنوب الغربي من مدينة قرطبة [٨] ويتفرع من نهر الوادي الكبير نهر شنيل الذي تقع على أحد فروعه مدينة غرناطة Granada [٩]. وهذا الفرع الذي يسمى (حدّارة El Darro) يخترق المدينة من وسطها. وتقع غرناطة إلى الجنوب الشرقي من مدينة

---

(١) مؤنس، معالم، ص٢٢٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٢٩.

(٣) حتاملة، أيبيريا، ص٢٧-٢٨.

(٤) المرجع نفسه: ٥٢.

(٥) المرجع نفسه: ٥٣.

(٦) مؤنس، معالم، ص٢٢٩.

(٧) مؤنس، معالم، ص٢٣٠؛ حتاملة، موسوعة الديار الأندلسية، ط١، عمان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٢، ص٨٠٠.

(٨) حتاملة، موسوعة، ج١، ص٧٠.

(٩) مؤنس، معالم، ص٢٣٠؛ حتاملة، موسوعة، ج٢،ص٧٢٣.

قرطبة، وبينهما ثلاثة وثلاثون فرسخاً أو خمسة أيام [١]. أما الأنهار التي تصُب في الشرق، في البحر الأبيض المتوسط، فأكبرها نهر إبرو، وتقع عليه مدينة برشلونة Barcelona[٢]. وكان حوض هذا النهر يسمى: الثغر الأعلى للأندلس، وعاصمته سرقسطة Zaragoza [٣]. وهناك أنهار أخرى صغيرة تصب في البحر الأبيض المتوسط شرقاً، منها: الوادي الأبيض، ونهر مرسية [٤].

وقد أخذ العرب المسلمون تسمية الأندلس، التي أطلقوها على ما فتحوا من شبه الجزيرة الأيبيرية من اسم الوندال Vandalos، وهم قبائل جرمانية حكموا جنوبي إسبانيا، حيث سميت المنطقة (فندليسيا) باسمهم، ثم تطور الاسم إلى (الأندلس)، ومرّ هذا التطور بثلاث مراحل صوتية: الأولى (فندلس) كما تدل صورة الكلمة في حروفها اللاتينية (Vandalos)، والثانية (وندلس) حيث نطق كثيرون الكلمة بالواو، بدلاً من الفاء التي يرمز إليها عادة بالحرف (V)، والثالثة (أندلس) وهو نطق العرب المسلمين للكلمة حيث أبدلوا بالواو همزة كما هو مألوف في اللغة العربية [٥].

ويرى بعض المؤرخين العرب أن أهالي طنجة الذين شاركوا في جيش طارق بن زياد عند فتح الأندلس (رجب ٩٢هـ/ نيسان ٧١١م) هم أول من أطلقوا اسم الأندلس على أيبيريا، حيث حرفوا كلمة (الوندال) إلى (وندلس)، ولما كانت (الواو) في لغتهم تحل محل (أل) التعريف في اللغة العربية، فقد أطلق المسلمون اسم (الأندلس)على شبه الجزيرة تأثراً بتسمية أهالي طنجة لها [٦].

ولم يستمر مفهوم (الأندلس) شاملاً لشبه الجزيرة الأيبيرية كلها كما كان الأمر عند

---

(١) أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي جمال الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ)، تقويم البلدان، طبع في مدينة باريس المحروسة بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٤٠ مسيحية، ص١٧٧؛حتاملة، موسوعة، ج٢، ص٧٢٣.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٤٢؛ حتاملة، موسوعة، ج١، ص٢٣٢.

(٣) حتاملة، موسوعة،ج١، ص٥٠٣.

(٤) مؤنس، معالم، ص٢٣٠.

(٥) البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، جغرافية الأندلس وأوروبا (من كتاب المسالك والممالك)، تحقيق عبدالرحمن الحجي، دار الإرشاد للطباعة والتوزيع، ط١، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م، ص٥٩؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٥م، ج٢، ص٥٥٦ ؛ حتاملة، الأندلس، ص١٠٢٢.

(٦) حتاملة، محمد عبده، ملامح حضارية في الأندلس، بحوث ودراسات مهداة إلى الاستاذ الدكتور عبدالكريم غرايبة بمناسبة بلوغه الخامسة والستين، تحريرناظم كلاس، عمان، ١٩٨٩م، ص١٨١؛ حتاملة، الأندلس، ص١٠٢٣.

استكمال فتحها، فقد أخذ هذا المفهوم يقتصر على ما في أيدي العرب المسلمين منها، فعندما قامت الدولة الأموية في الأندلس سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م كانوا قد فقدوا الركن الشمالي الغربي لأيبيريا، وأصبح مفهوم الأندلس يعني البلاد التي استمرت سيطرتهم عليها، وما إن سقطت الدولة الأموية في الأندلس سنة ٤٣٢هـ/١٠٣١م حتى أخذت المدن والثغور الأندلسية تسقط بيد الإسبان بوتيرة أسرع، وبالتالي أخذت الرقعة الجغرافية التي يسيطر عليها العرب المسلمون تزداد تقلصاً، وبتقلص الرقعة كان يتقلص المفهوم؛ إذ ظل يطلق فقط على ما في أيديهم. وقد اقتصر في النهاية على مملكة غرناطة الواقعة في الركن الجنوبي من أيبيريا، والتي تشكل من حيث المساحة الثُمن فقط من مساحة شبه الجزيرة، وتتألف من ثلاث مقاطعات هي: مالقة (Malaga) وغرناطة (Granada) والمرية (Almeria). ومن المعروف أن مملكة غرناطة ما فتئت أن فقدت اثنتين من مقاطعاتها، وهما مالقة وألمرية، وظلت غرناطة وحدها في أيدي المسلمين، وظلت وحدها داخل إطار المفهوم (الأندلس) حتى سقوطها في يد الإسبان سنة ١٤٩٢م [١].

وهكذا تراجعت الأندلس من مفهوم يشمل شبه الجزيرة الأيبيرية التي تبلغ مساحتها ستمائة ألف كيلومتر مربع، بما فيها من هضاب وسهول وجبال وأنهار ومدن وقرى وأرياف، إلى مفهوم يشمل مدينة واحدة هي غرناطة [٢].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأندلس التي حُذفت من جغرافية العالم الإسلامي، أبقاها الإسبان علماً على ما يعرف لديهم باسم: اندلوثيا Andalucia، وهي منطقة تشمل مدن: قرطبة (Cordoba)، وإشبيلية (Sevilla)، وقادش (Caidz)، وولبة (Huelva)، ومالقة (Malaga)،وغرناطة (Granada)، وجيان (Jaen) والمرية (Almeria) [٣].

وليس من شك في أن مفهوم (الأندلس) المتداول حتى وقتنا الحاضر، ويقصد به جنوبي إسبانيا، إنما هو إعادة للأمور إلى أصولها، فهو اسم أطلق على الوندال (Vandalos) الذين حكموا شبه الجزيرة الأيبيرية خلال الفترة ٤٠٨-٤٢٩م [٤].

ولابد لاستكمال الحديث عن موقع الأندلس وحدودها من إشارة أكثر تفصيلاً إلى حدها

---

(١) حتاملة، الأندلس، ص١٠٢٣؛ مؤنس، معالم، ص ٢٢٨.

(٢) مؤنس، معالم، ص٢٢٨.

(٣) حتاملة، الأندلس، ص١٠٢٣-١٠٢٤.

(٤) الإدريسي، الشريف أبو عبدالله محمد بن عبدالعزيز (ت حوالي ٥٤٨هـ/١١٥٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٥ تحقيق شيرولي وآخرين، نابولي: بروستات أبود. ج. بريل، نوجدوني باتا فورم، ١٩٧٥م، ص٥٣٦؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص٥٩؛ حتاملة، الأندلس، ص١٠٢٢.

الجنوبي، الذي كان منطقة الحشد، ومنطلق الفتح، فالأندلس تقع مقابل السواحل الشمالية للمغرب، ويفصل بينهما ما كان يعرف قديماً بأعمدة هرقل وبحر الزقاق[١]، ثم عُرف بمضيق جبل طارق بعد فتح الأندلس، لأن الجبل كان أول فتوحات طارق بن زياد من شبه الجزيرة الأيبيرية[٢]، وهو جبل صعب المرتقى، عرف أيضاً باسم: الصخرة، واسم: جبل الفتح[٣]. ومضيق جبل طارق ذراع ضيق من الماء يبلغ عرضه في أضيق جهاته نحو خمسة عشر كيلومتراً، وهي مسافة لا وزن لها من الناحية الاستراتيجية العسكرية[٤].

وقد سهل قصر المسافة بين شمالي إفريقيا وأيبيريا عملية الفتح الإسلامي لتلك البلاد، كما سهلت ذلك الأحوال التي كانت سائدة فيها قبيل الفتح.

---

(١) الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج١، ص٢٦٣؛ المجالي، سحر عبدالمجيد مناور، تطور الجيش العربي في الأندلس ١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٦- ١٠٣١م، عمان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٣٤.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٣؛ ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م، ج٢، ص٩؛ حتاملة، موسوعة، ج١، ص٣٥٩.

(٣) حتاملة، موسوعة، ج١، ص٣٥٩.

(٤) المرجع نفسه، ج١، ص٣٥٩.

http://al-maktabeh.com

الفصل الأول

أحوال أيبيريا قبيل الفتح العربي الإسلامي

أحوال أيبيريا قبيل الفتح العربي الإسلامي

خضعت أيبيريا عبر تاريخها المعروف لحكم شعوب قدمت من مناطق مختلفة من العالم، وأول هذه الشعوب هم الترتيسوس (Tartesos) الذين جاءوا من جزر البحر الأبيض المتوسط وبلاد اليونان، وسكنوا في حوض نهر الوادي الكبير في العصر البرونزي الذي امتد حتى سنة ١٢٠٠ق.م، ثم جاء الأيبيريون (Los Iberos) في العصر الحديدي (١٠٠٠-٥٠٠ق.م) من شمالي إفريقية، واستوطنوا الأجزاء الجنوبية والشرقية والوسطى الممتدة بين سواحل البحر الأبيض المتوسط وحوض نهر إيبرو، ثم أطلق اسمهم على شبه الجزيرة كلها.وخلال الفترة نفسها التي جاء فيها الأيبيريون جاء شعب ثالث هم السلت Celtas من وسط أوروبا، وتوغلوا في الأجزاء الوسطى من شبه الجزيرة الأيبيرية، واصطدموا مع الأيبيريين، ووقعت بين الطرفين معارك وحروب، ثم اتفقوا فيما بينهم، وانصهروا في بوتقة واحدة، واستقروا في الأجزاء الوسطى من أيبيريا. أما بقية الأجزاء فقد شكلت فيها الشعوب الثلاثة كيانات مستقلة منعزلة عن بعضها بسبب الطبيعية الجبلية للمنطقة، وكانت الحروب كثيراً ما تقع بين هذه الكيانات[١].

ووصل في القرن الحادي عشر قبل الميلاد إلى شبه الجزيرة الأيبيرية شعب جديد، هم الفينيقيون Los Fenicios، وهم فرع من الكنعانيين، كانوا يقيمون على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وقد نشطوا في التجارة، وقادهم طلبها وطلب المعادن والملح ومصائد الأسماك إلى سواحل أيبيريا الجنوبية، حيث أنشاوا مدينة قادش Cadiz، واتخذوها عاصمة لهم. وقد توسع انتشارهم في أيبيريا خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وأنشأوا عدداً كبيراً من المراكز التجارية على شواطئها، ثم امتدت هذه المراكز لتشمل معظم أنحاء البلاد، حيث أصبحت مدنا كبيرة[٢].

وكانت قرطاجة (Quart Hadasht) التي بناها الفينيقيون سنة ٨١٤ق.م في شمالي إفريقية، بالقرب من مدينة تونس الحالية، أشهر المراكز التجارية في القسم الغربي من حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد نمت هذه المدينة وازدهرت بسرعة، وأصبحت – كقوة تجارية

---

(١) حتاملة، أيبيريا، ص١٠٩-١١٤؛ العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ص٢٥-٢٦.

(٢) حتاملة، أيبيريا، ص١١٦-١٢١؛ العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ص٢٦-٣٠.

– تتحكم في مضيق جبل طارق والبلاد الإفريقية الغربية المطلة على المحيط الأطلسي[١]، وتتحكم أيضاً في جنوبي أيبيريا. وظل القرطاجيون يحتكرون اقتصاديات هذه المناطق، ثم مالبثوا أن سيطروا على شبه الجزيرة الأيبيرية، غير أن نجمهم بدأ بالأفول على يد الرومان في القرن الثالث قبل الميلاد[٢]، حيث دارت بين القرطاجيين والرومان حروب طاحنة خلال الفترة ٢٦٤-١٤٦ق.م عرفت في التاريخ باسم الحروب البونية (Bellum Punicum)، وانتهت هذه الحروب بهزيمة جيوش قرطاجة، وتدمير المدينة، وتحويلها إلى ولاية رومانية سنة ١٤٦ق.م[٣].

وبسطت روما سيطرتها على أيبيريا سنة ٢٠٧ق.م، ثم أصبحت شبه الجزيرة مقاطعة رومانية بعد احتلال مدينة قادش سنة ٢٠٦ق.م، ودام احتلال الرومان للمنطقة حوالي ستة قرون (٢٠٦ق.م-٤٠٩م)، وخلال هذه المدة أصبحت أيبيريا ذات طابع روماني، وانتشرت فيها اللغة اللاتينية، والديانة النصرانية [٤].

وتعرضت أيبيريا منذ أوائل القرن الخامس الميلادي لهجرات جرمانية واسعة النطاق جاءت من شواطىء بحر البلطيق، وأراضي نهري الراين والدانوب، ويتكون الجرمان من مجموعتين كبيرتين هما: التيوتون والقوط، ويتألف التيوتون من شعوب: الفرنجة، الألمان، والوندال، والبرجنديين، واللومبارديين.أما القوط فيشملون: القوط الغربيين، والقوط الشرقيين[٥]. وأما أشهر هذه الشعوب التي دخلت ايبيريا فهم: الوندال (Vandalos) وهم من أصل قوطي، والآلان (Alanos)، والسويف (Suevos) [٦].

وقد كان دخول الشعوب الجرمانية أيبيريا عنيفاً، فقد كان الخراب والدمار والقتل طريقتهم المثلى للسيطرة على البلاد، ولذلك ارتكبوا الفظائع الشنيعة ضد السكان، وكانوا يخربون كل ما في طريقهم، وقد أدى قتلهم أعداداً كبيرة من السكان الذين تناثرت جثثهم في كل مكان وتعفنت، أدى ذلك إلى انتشار الأوبئة والأمراض وبالتالي وفاة الآلاف من الناس، كما أدى إلى انتشار المجاعات، حتى أكل الناس الجيف، ولحوم البشر[٧].

---

(١) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٨؛ حتاملة، أيبيريا، ص١٥٠.

(٢) حتاملة، أيبيريا، ص١٥٥؛ صفر، أحمد، مدنية المغرب العربي في التاريخ، دار النشر بو سلامة، تونس، ١٩٥٩م، ج١، ص٢٦٣؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٠.

(٣) حتاملة، أيبيريا، ص١٦٠-١٦٨؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٠.

(٤) حتاملة، أيبيريا، ص١٦٩-١٧٩؛ العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص٣٠-٣٢.

(٥) حتاملة، أيبيريا، ص١٩٢؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٢.

(٦) حتاملة، أيبيريا، ص١٩٢.

(٧) المرجع نفسه، ص ١٩٣-١٩٥.

http://al-maktabeh.com

ويمكن القول إن كارثة حلت بشبه الجزيرة الأيبيرية بدخول الشعوب الجرمانية إليها، فقد انتشرت الأوبئة والطاعون والمجاعة، وأصبحت البلاد خاوية من سكانها، وخاصة أن من بقي منهم على قيد الحياة احتموا بالقلاع المحصنة، وأصبحوا خدماً للجرمان[١].

والجدير بالذكر أن الوندال كانوا أهم الشعوب الجرمانية التي دخلت أيبيريا، وقد عبروا جبال ألبرت، واستقروا في السهول الجنوبية التي صارت تعرف باسمهم (واندالوس)، وهي التسمية التي عربها العرب المسلمون بعد الفتح إلى (أندلس)[٢].

ولم ينعم الوندال بما حققوه من انتصارات في أيبيريا طويلاً؛ إذ تعرضوا لضغط القوط الغربيين الذين أخذوا يهاجمونهم، ويستولون على أراضيهم، وأمام ذلك لم يجد ملك الوندال جنسريك Genseric مفراً من الهجرة بقومه، فعبر بهم سنة ٤٢٩م بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) إلى المغرب، واستولى على نوميديا (الجزائر) وإفريقية (تونس) من الحاكم الروماني الكونت بوني فاثيو سنة ٤٣٩م، ثم عبر بأساطيله إلى روما ونهبها ثم عاد إلى افريقية [٣].

وانفرد القوط الغربيون بالسيادة على شبه الجزيرة الأيبيرية منذ أوائل القرن السادس الميلادي، وتغلبوا على من سبقهم إليها من الشعوب الجرمانية مثل السويف والآلان وغيرهم[٤].

وهكذا أنشأ القوط في أيبيريا مملكة قوية يتولى أمورها القوط وحدهم، وأخذوا يحكمون البلاد من عاصمتهم طليطلة (Toledo) بالقوة والعنف، وقد ترتب على الاختلاف المذهبي بين القوط ورعاياهم أن كان هناك عداء شديد بين الطرفين[٥]. لقد كان القوط مسيحيين على المذهب الأريوسي، بينما كان رعاياهم الأيبيريون على المذهب الكاثوليكي، وقد شكل اختلاف المذاهب التي سنشرحها لاحقاً، وكذلك طريقة حكم ملوك القوط لأيبيريا، وهو حكم فردي مستبد، وتسلط النبلاء ورجال الدين الذين كان لهم نفوذ كبير حتى في تعيين الملوك وعزلهم، ووجود فئات معادية للقوط مثل البشكنش واليهود.. لقد شكل كل ذلك صورة أيبيريا وأحوالها قبيل الفتح العربي الإسلامي للأندلس سنة ٩٢هـ / ٧١١م[٦].

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٩٥.

(٢) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٣؛ مؤنس، معالم، ص٢٢٨.

(٣) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٣؛ حتاملة، أيبيريا، ص١٩٦-١٩٧.

(٤) مؤنس، معالم، ص٢٣٣.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٣٣.

(٦) حتاملة، أيبيريا، ص٢٥٦-٢٥٩؛ مؤنس، معالم، ص٢٣٣-٢٣٤؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٣-٣٤.

أ- الديانة النصرانية والمعتقدات الأخرى

نشر النصرانية في أيبيريا عدد من المبشرين الذين بذلوا جهوداً شاقة لنشرها، وكانت الاستجابة لهم أول الأمر معدومة أو محدودة، وأول هؤلاء الحواريين Santiago شنت ياقب (ياقوب) الذي لم تلق دعوته قبولاً عند السكان، والقديس سان بابلو الذي نجح إلى حد ما في إقناع بعض الرعايا باعتناق النصرانية. وقد تعرض المسيحيون الأوائل للاضطهاد، وخاصة في عهد الأباطرة الرومان: ديثيو (Decio)، وفاليريانو (Valeriano)، وأورليانو (Aureliano)، ودقلديانوس (Diocleciano). ثم انتشرت النصرانية على نطاق واسع في عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول (٣٠٧-٣٣٧م)، فقد استطاع كردينال قرطبة اوسيو أن يؤثر عليه، فمنح حرية العبادة للرعايا المسيحيين سنة ٣١٢م[١].ومالبث قسطنطين أن اعتنق الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي، وجعلها الديانة الرسمية للدولة الرومانية. وكان القوط الغربيون قد اعتنقوا الديانة المسيحية على يد مبشر من بينهم اسمه ولفلاس Ulflas (٣١١-٣٦١م) على المذهب الأريوسي[٢]، فما هو هذا المذهب؟ وما الفرق بينه وبين المذهب الكاثوليكي؟

المذهب الأريوسي

ينسب هذا المذهب إلى أريوس بن أمونيوس (٢٥٦-٣٣٦م) الذي ولد في ليبيا، ونشأ في الإسكندرية، وكان قسيساً خطيباً[٣]. وقد ابتدع المذهب الأريوسي الذي يقوم على الوحدانية، وينفي ألوهية (كلمة الله) المجسدة في يسوع المسيح، ويعتقد ان يسوع المسيح ليس بإله خالد قدير لا أول له ولا آخر، وأن كلمة الله مخلوقة مباينة بالجوهر لذات الله لأنها عبارة عن العقل الذي هو المعلول الأول، وهو أول ما خلق الله[٤]. ولا يعترف الأريوسيون بأن هناك وساطة بين الله والناس، كما أنهم لا يجعلون للعذراء مكانة ممتازة في العقيدة[٥].

وكان المذهب الأريوسي قد انتشر بين القوط الغربيين الوثنيين كغيرهم من الشعوب

---

(١) حتاملة، أيبيريا، ص١٨٣.

(٢) المرجع نفسه، ص١٨٤.

(٣) المرجع نفسه، ص١٨٤.

(٤) حتاملة، أيبيريا، ص١٨٤؛ صفر، مدنية المغرب، ج١، ص٣٦٦؛ ابن العبري، غريغوريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول، بيروت، د.ت، ص٨٠.

(٥) حتاملة، أيبيريا، ص١٨٤.

الجرمانية على يد الأسقف ولفلاس[1]، واعتنق ملوكهم هذا المذهب خلال الفترة (٤١٠-٥٨٧م) التي يمكن تسميتها: فترة الملوك الأريوسيين[2].

وأول هؤلاء الملوك هو أتولف (Ataulfo) (٤١٥م) الذي تطلع إلى إنشاء مملكة قوطية في أيبيريا إلا أنه اغتيل قبل أن يرى ثمرة جهوده في هذا الشأن، فما كاد يحتل برشلونة، ويبسط سلطانه على طركونة حتى تم اغتياله بتحريض من أحد رجاله، وخلفه واليا (Walia) (٤١٥-٤١٩م)، الذي خلص أيبيريا من: الآلان والوندال والسويف، وسيطر على ساحلي شبه الجزيرة الشرقي والجنوبي حتى مضيق جبل طارق[3].

وكان تيودوريدو (Teodoredo) (٤١٩-٤٥١م) ثالث الملوك الأريوسيين، وقد خلف واليا بعد وفاته عام ٤١٩م، ووسع مملكة القوط في أيبيريا، وقد بدأ عهده بمعاداة الرومان إلا أنه اضطر فيما بعد إلى التخلي عن هذه السياسة، وتحالف مجدداً مع الإمبراطورية الرومانية باعتبارها حامية له. والذي دفعه إلى ذلك هو الخطر الذي شكله الهون الذين حاولوا اجتياح أيبيريا، غير أنهم هُزموا في معركة فاصلة مع القوط عام ٤٥١م، وكانوا بقيادة ملكهم تيودوريدو الذي قتل في المعركة[4].

وتوالى بعد الملك تيودوريدو حكم الملوك الأريوسيين الذين تولوا الملك بالوراثة، فهم إما من الأبناء أو من الإخوة، فقد تولى بعده ابنه توريسموندو (Turismundo) (٤٥١-٤٥٤م)، ثم أخوه تيودوريك (Tedorico) (٤٥٤-٤٦٦م)، ثم أخوه الآخر يوريك (Eurico) (٤٦٦-٤٨٤م) الذي بلغت مملكة القوط في عهده أوج ازدهارها، والذي اضطهد الكاثوليك، واستخدم معهم كل أساليب القمع، وشتت أساقفتهم ونفاهم[5].

وحكم بعد يوريك: الأريك الثاني Alarico II (٤٨٤-٥٠٧م)، ثم ابنه خيساليكو Gesaleico (٥٠٧م)، ثم ابنه الثاني: أمالاريكو (Amalarico) (٥٠٩-٥٣١م) الذي خسر كثيراً من القوات القوطية في حروبه مع الفرنجة، ومات بطعنة خنجر من أحدهم، وبمقتله انتهت فترة الحكم الوراثي للملوك الأريوسيين، وبدأت فترة الملوك المنتخبين[6].

وكان أول الملوك القوط الأريوسيين المنتخبين هو: تيوديس (Teudis) (٥٣١-٥٤٢م)،

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٠٥.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٠٨.
(٣) المرجع نفسه، ص٢٠٩-٢١٠.
(٤) حتاملة، أيبيريا، ص٢١١-٢١٢.
(٥) المرجع نفسه، ص٢١٢-٢١٩.
(٦) المرجع نفسه، ص٢١٩-٢٢٤.

وهو من أصل قوطي شرقي، تصدى للفرنجة في أكثر من موقعة، وحاول احتلال سبتة ومواقع في جبل طارق، غير أنه فشل فشلاً ذريعاً، وما لبث أن اغتيل في قصره، وخلفه تيوديسيلو (Teudiselo) (٥٤٨-٥٤٩م) الذي حقق العديد من الانتصارات ضد الفرنجة، واتسم حكمه بالقسوة والتعسف فتآمر عليه عدد من النبلاء واغتالوه[١].

وتولى بعده العرش بالانتخاب الملك أخيلا (Agila) (٥٤٩-٥٥٤م)، وكان قاسياً مستبداً، وفي عهده تدخل البيزنطيون في شبه الجزيرة الأيبيرية، وحاولوا استعادتها إلى إمبراطوريتهم، وخاصة في عهد جستنيان (Justiniano) (٥٢٧-٥٦٥م) الذي استغل ثورة بعض القوط ضد أخيلا، وساعد قائد الثورة أتاناخيلدو مقابل التخلي للبيزنطيين عن بعض الأراضي في أيبيريا، وقد كانت نتيجة هذه الثورة هزيمة أخيلا ومن ثم قتله على يد أحد أتباعه[٢].

وتولى أتاناخيلدو Atanagildo (٥٥٤-٥٦٧م) الحكم، وبدأ عهده بمحاربة حلفائه البيزنطيين، واستعاد منهم المناطق التي حصلوا عليها بالاتفاق معه أثناء ثورته ضد أخيلا. وقد مات أتاناخيلدو عام ٥٦٧م مخلفاً وراءه مملكة مزدهرة، وبعد وفاته بخمسة اشهر تولى الحكم أخوه لوفا (Luiva) (٥٦٧-٥٧٢م)، ثم تولى الحكم أخوه ليوفيخيلدو (Leovigildo) (٥٧٢-٥٨٦م) الذي عمل على توحيد أيبيريا، وقام بكثير من الإصلاحات الداخلية، وحاول تكريس المذهب الأريوسي في البلاد، وخاصة بعد أن تزوج ابنه ايرمنخيلدو أميرة كاثوليكية أقنعت زوجها بالتحول إلى المذهب الكاثوليكي، فتحول إليه وأعلن العصيان ضد والده[٣].

وقد حاول الملك معالجة ثورة ابنه سلمياً، فعقد مجمعاً دينياً من القساوسة الأريوسيين في طليطلة عام ٥٨٠م، وطلب منهم البحث عن وسيلة تيسر للكاثوليك التحول إلى الأريوسية، ففعلوا، حيث أعلن المجمع أن الكاثوليك يمكنهم التحول إلى المذهب الأريوسي من دون حاجة إلى إعادة تعميدهم، وإنما يكفي تلفظهم بعبارة (المجد للأب من أجل الابن في الروح القدس). وقد دعا الملك ابنه للحضور إلى المجمع الديني فرفض خشية أن تكون في دعوته مكيدة مدبرة [٤].

وقد بذل الملك ليوفيخيلدو محاولات عديدة لإعادة ابنه إلى المذهب الأريوسي والتخلي عن

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٢٤-٢٢٦.

(٢) حتاملة، ايبيريا، ص٢٢٨.

(٣) المرجع نفسه، ٢٣١-٢٣٥.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٣٥-٢٣٦.

المذهب الكاثوليكي، غير أن كل محاولاته فشلت، مما أدى إلى إعدامه، وقد اعتبرته الكنيسة شهيداً كاثوليكياً [١].

وتوفي الملك ليوفيخيلدو عام ٥٨٦م فخلفه ابنه الثاني ريكاريدو (Recaredo) (٥٨٦-٦٠١م) الذي بدأ عهده باضطهاد الكاثوليك وتعذيبهم، إلا أنه بعد حوالي عشرة أشهر تحول هو نفسه إلى الكاثوليكية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن القوط الغربيين كانوا بشكل عام يعملون على الفصل الكامل بين السكان القوط الأريوسيين والأيبيريين الرومان الكاثوليك، وكان أبناء كل طائفة يقيمون شعائرهم بمساعدة رجال الدين التابعين لمذهبهم، وفي كنائسهم الخاصة. ثم وجد الملك ريكاردو أنه لاصلاح لدولة القوط في أيبيريا مالم تتخل عن المذهب الأريوسي، وتعتنق مذهب الغالبية من السكان، وهو المذهب الكاثوليكي، مما يوحد الحياة الروحية في البلاد، ويعزز زعامته عليها، ولتحقيق هذه الغاية دعا إلى عقد مجمع ديني في طليطلة سنة ٥٨٧م، وأعلن في هذا المجمع تخليه عن الأريوسية، واعتناقه هو وأهل بيته الكاثوليكية [٢].

لقد أعلن الملك ريكاردو في مجمع طليطلة إنابته ورجوعه إلى المذهب الكاثوليكي وإرجاع عامة الناس إلى هذا المذهب الذي اعتبره (صحيح العبادة)، كما أعلن إبطال مذهب أريوس، وبذلك أصبح للقوط والرومان في أيبيريا (إسبانيا) مذهب واحد، هو المذهب الكاثوليكي [٣].

المذهب الكاثوليكي

يقوم المذهب الكاثوليكي على اعتبار المسيح، عليه السلام، إلهاً ثانياً، وابن الإله بوحدة الجوهر، وأنه، أي المسيح، تجمعت فيه كل صفات الألوهية، وتعتبر كلمة الله عند الكاثوليك: الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، والأقانيم الثلاثة التي تتركب منها الذات الإلهية عند الكاثوليك هي: الأب، والأبن (أو كلمة الله)، وروح القدس [٤].

---

(١) حتاملة، ايبيريا، ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٣٨-٢٣٩؛ ابن الأثير، الكامل في تاريخ، ج٤، ص٥٦٠؛ الحميري، محمد بن عبدالمنعم (ت ٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م، ص٣٩٤.

(٣) حتاملة، أيبيريا، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٤) صفر، مدنية المغرب، ج١، ص٣٦٥، ٣٦٦.

http://al-maktabeh.com

وكان سكان أيبيريا من أصل إسباني – روماني يدينون بالمذهب الكاثوليكي، بينما كان القوط الغربيون يدينون بالمذهب الأريوسي ثم تحولوا إلى المذهب الكاثوليكي في عهد الملك ريكاردو كما ذكرنا. وقد نجم عن تحولهم: اتخاذ اللغة اللاتينية لغة رسمية للبلاد، وتوثيق العلاقة بالبابوية.وقد أصبحت الكاثوليكية منذ ذلك الوقت هي المذهب الوحيد المعترف به في إسبانيا، وظل الإسبان يتعصبون لهذا المذهب، ويضطهدون المذاهب والأديان الأخرى [١].

وقد شجع تحول معظم الإسبانيين إلى الكاثوليكية، شجع البابوات على بسط نفوذهم الديني والسياسي على إسبانيا، وأصبحت طليطلة أسقفية يقيم فيها أسقف كبير يمثل البابا، وهكذا أصبح شعب أيبيريا يتجه بإيمانه نحو روما عاصمة الكاثوليكية [٢]. كما أصبح لأساقفة طليطلة مركز سياسي مهم بالإضافة إلى مركزهم الديني. وقد كانت المجامع الدينية التي عرفت بـ (مجامع طليطلة) في حقيقتها مجامع دينية وسياسية شديدة التعصب للمذهب الكاثوليكي، وكان الملوك القوط يستغلون هذه المجامع لمآربهم الخاصة، وتعزيز شرعية حكمهم [٣].

ويمكن القول إن المذهب الكاثوليكي قد انتصر في إسبانيا منذ عهد الملك القوطي ريكاردو، ولكن انتصار هذا المذهب لم يكتمل إلا في عهد الملك غونديمارو (Gundemaro) (٦١٠-٦١٢م)، فقد سبقه ملك اغتصب العرش، وحاول إعادة الأريوسية وتنظيمها من جديد، لكنه فشل، وهو فيتيريكو (Viterico) (٦٠٣-٦١٠م) الذي هُزم في جميع المعارك التي خاضها، وكرهه الناس لخشونته وكثرة رذائله، وقاموا بالثورة عليه، وهاجموا قصره وقتلوه[٤]. أما غونديمارو فقد كان كاثوليكياً متعصباً، أصدر عدداً من المراسيم لصالح الكنيسة الكاثوليكية، وعقد مجمعين دينيين في طليطلة، وأصدر مرسوماً بمنح أسقف طليطلة لقب شرف لأسقفية قرطاجنة [٥].

وجاء بعد غونديمارو الملك سيسيبوتو Sisebuto (٦١٢-٦٢٠م) الذي رعى المذهب الكاثوليكي، وسادت الكاثوليكية في عهده إسبانيا كلها [٦]، وخاصة أنه كان يميل إلى الثقافة

---

(١) مؤنس، حسين، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م)، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٩-١٠؛ حتاملة، أيبيريا، ص١٨٥-١٨٦.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص٩-١٠.

(٣) حتاملة، أيبيريا، ص١٨٥-١٨٦.

(٤) حتاملة،ايبيريا، ص٢٤٢.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٤٢.

(٦) المرجع نفسه، ص٢٤٢-٢٤٣.

الرومانية والكاثوليكية [١]. وقد خلفه ابنه ريكاريدو الثاني (Recaredo II) سنة ٦٢٠م، غير أنه توفي بعد أربعة أشهر من اعتلائه العرش، فخلفه عليه القائد العسكري سوينتيلا (Suintila) (٦٢١-٦٣١م) الذي يعد أول ملك لشبه الجزيرة الأيبيرية كلها، فقد حارب البيزنطيين، وأجبرهم على التخلي عن مواقعهم فيها، وجعل اسبانيا كلها تحت سيطرة القوط [٢].

وتولى الحكم بعد سوينتيلا عدد من الملوك الكاثوليكيين الذين اعتلوا العرش بالوراثة، ومن أشهرهم وامبا (Vamba) (٦٧٢-٦٨٠م) الذي أصدر قوانين جديدة تم تطبيقها على القساوسة والكهنة والعلمانيين، وازدهرت البلاد في عهده أيما ازدهار، وبوفاته عام ٦٨٠م انتهى العهد الزاهر لمملكة القوط، وبدأ الضعف يدب في أوصالها إلى أن انتهت على يد العرب المسلمين الفاتحين [٣].

فبعد وامبا اعتلى العرش أرفيخيو (Ervigio) (٦٨٠-٦٨٧م) الذي ما لبث أن تنازل عن الحكم برغبته، وذهب إلى الدير حيث توفي، وتولى الحكم بعده أخيكا (Egica) (٦٨٧-٧٠١م) ثم ابنه غيطشة (Witiza) (٧٠١-٧٠٩م) الذي سمح لرجال الدين باقتناء أكثر من امرأة، والذي حاول أن يعطي ولاية العهد لابنه فثار عليه رجال الدين والنبلاء، واختاروا دوق قرطبة ليكون ملكاً، وهو لذريق (Lodrigo) (٧٠٩-٧١١م) الذي اعتلى العرش في جو مشحون بالثورات والمفاجآت، حيث جابهته صعوبات جمة أهمها مطالبة أبناء غيطشة بعرش أبيهم، ومواجهة العرب المسلمين الذين أخذوا يدقون أبواب أيبيريا بقوة [٤].

ويلاحظ أن المذهب الكاثوليكي بعد أن ترسخ في أيبيريا اثر اعتناق الملك ريكاردو لهذا المذهب، قد أصبح له شأن كبير فيها، فقد حاولت الكنيسة الكاثوليكية فرض سلطانها على الدولة، واستولت على مايقرب من خمس الأراضي الخصبة والعقارات في البلاد، وأصبحت سيفاً مسلطاً على رؤوس الناس، فقد أحرقت كتب المذاهب المخالفة، وفي مقدمتها المذهب الآريوسي، وعوقب المعارضون بالقتل والنفي والتشريد، وأصبحت المجامع الكنسية في طليطلة هي القوة الكبرى المسيطرة في الحياة السياسية والدينية في البلاد التي خضعت تدريجياً لسيطرة رجال الدين، وأصبح لكنيسة ولأسقف طليطلة سلطة عظيمة فيما بعد [٥]، وهو ما سنتناوله بتفصيل أكثر عند الحديث عن تلك المجامع.

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٤٤.

(٣) حتاملة،أيبيريا، ص٢٤٤-٢٥١.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٥١-٢٥٥.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٥٦-٢٥٨.

المعتقدات الأخرى

كان الأيبيريون القدماء الذين دخلوا شبه الجزيرة الأيبيرية في العصر الحديدي (١٠٠٠-٥٠٠ق.م) يعبدون آلهة متعددة، منها إلهة للزراعة، وأخرى للطب. وأهم تلك الآلهة كان إلهة الشمس نيتو (Neto)، كما عبدوا الظواهر الطبيعية، واختاروا التلال والجبال والسفوح أماكن لسكناهم، لكي يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم بسهولة [١].

وعبد السلت الذين دخلوا شبه الجزيرة الأيبيرية قادمين من أواسط أوروبا، مخترقين جبال البرت، عبدوا بعض الحيوانات، وكانت تماثيل آلهة الحرب التي عبدوها تحمل صوراً مجسمة للفؤوس والرماح [٢].

وحمل الفينيقيون إلى أيبيريا عندما اجتاحوها عقائدهم الدينية، وكان كبير آلهتهم هو الإله إيل (El) وزوجته عشيرت (Asherat) إلهة البحر، وابنهما بعل (Bael) إله الجبال والعواصف والأمطار، الذي كانوا يصورونه بقرون، ويحمل في يده الصاعقة. وللإله بعل ابن هو عليان (Aliyan) الذي كان يمثل البرق وابنة هي أنات (Anat)، وهي أخت عليان وزوجته [٣].

وكان الإله في نظر الفينيقيين هو السيد والراعي للشعب، وكانوا يعتقدون أن الموت إنما هو راحة لجسد الإنسان من مشكلات الحياة، ولذلك كانوا يدعون القبر (مكان الراحة)[٤].

ودخلت أيبيريا أيضاً الديانة الوثنية الرومانية، وكانت تقوم على عبادة الإمبراطور وآلهة أخرى مثل جوبتر (Jupiter) وجونو (June) ومينيرفا (Minerva).

وقد تركت المعتقدات الوثنية التي دخلت مع الشعوب المختلفة إلى أيبيريا (إسبانيا) بصماتها على كثيرين من السكان، فبعضهم لم يكن يعرف سوى الوثنية التي انتشرت في معظم أرجاء شبه الجزيرة، حتى بعد دخول المسيحية إليها، وانتشارها فيها بعد أن أصدر الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول (٣٠٧-٣٣٧م) مرسوم ميلانو الذي أعلن فيه إلغاء العقوبات المفروضة على من يعتنق المسيحية، وذلك عام ٣١٣م. وهو المرسوم الذي انتشر في أعقاب صدوره المذهب الأريوسي، ثم المذهب الكاثوليكي في إسبانيا.

---

(١) حتاملة، ملامح حضارية، ص١٨٢-١٨٣؛ حتاملة، أيبيريا، ص١٠٩-١١٠.

(٢) حتاملة، أيبيريا، ص١١٥.

(٣) المرجع نفسه، ص١٣٧-١٣٨.

(٤) حاطوم، نور الدين، ونبيه عاقل وأحمد طربين، وصلاح مدني، موجز تاريخ الحضارة، حضارات العصور القديمة، دمشق، ١٩٦٤، ص٢٥٣؛ حتاملة، أيبيريا، ص١٢٩.

وكانت الوثنية تنتشر ليس فقط في الأرياف أو بين العبيد، وإنما انتشرت إلى الحد الذي دفع المجمع الكنسي في طليطلة عام ٥٨٩م إلى اتخاذ قرار بأن يقوم كل أسقف بالتعاون مع القاضي المحلي بالتحقق من انتشار الوثنية في منطقته، ويقضي عليها.

وكان البشكنس (Vascos) والباسك (Basques) من أبرز الجماعات الوثنية التي كانت تعيش في الشمال الشرقي من اسبانيا، في المنطقة المتاخمة لجبال البرت. وقد فشل الأساقفة وكذلك الملوك القوط الذين اعتنقوا المذهب الكاثوليكي في زعزعتهم عن الوثنية.

ويلاحظ أن عامة الناس في إسبانيا كانت غالبيتهم جاهلة لا تفهم اللغة اللاتينية، كما كانت أذهانهم مضطربة، وهو الأمر الذي أدى إلى انتشار السحر والكهانة والشعوذة والعرافة والتوسل بالأحجار وما إليها لكف أذى الأرواح الشريرة، وهو الأمر الذي يدل على أن الممارسات الوثنية ترسخت في معظم أرجاء إسبانيا [١].

ويمكن القول بشكل عام إن المسيحية لم تكن في إسبانيا عقيدة واضحة المعالم لعامة الناس، ولم تكن بالشمول الذي يمكن تصوره.. وقد كانت غالبية الناس في حيرة، وكانت الخلافات المذهبية كثيرة ومتضاربة، وقد ساعد ذلك على انتشار الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية، حيث وجد كثيرون فيه حلاً مريحاً لمشكلتهم العقائدية [٢].

ب- الديانة اليهودية

انتشرت اليهودية في إسبانيا منذ القرن الرابع الميلادي، وكانت أعداد اليهود كبيرة فيها [٣]، وكانوا ينتشرون في مناطق عديدة من البلاد، ولكنهم تركزوا بالدرجة الأولى في المراكز الحضرية المتقدمة مثل العاصمة طليطلة، وقرطبة، وإشبيلية، وعلى طول الساحل الشرقي والجنوبي من إسبانيا على البحر الأبيض المتوسط. وكانت حالة اليهود الاقتصادية وطرائقهم في الحياة تختلف اختلافاً كبيراً، فمنهم من كان يعمل في التجارة داخل البلاد وخارجها، ويحقق ثراءً واسعاً، ومنهم من كان فقيراً لا يملك شروى نقير. وكانت ملكية الأرض هي الأساس الذي تقوم عليه معيشة بعض اليهود في إسبانيا، فكان بعض هؤلاء يعيشون في قرىً، ويزرعون أراضيهم بأيديهم، بينما تولى آخرون الإشراف على المزارع التي يمتلكها النصارى. وتدل التشريعات الكثيرة المتعلقة باليهود في إسبانيا على أن

---

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٨٠-٤٨٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٨٢.

(٣) حتاملة، الأندلس، ص٥٤.

فعالياتهم التجارية كانت مهمة بقدر أهمية نشاطهم الزراعي[١].

وكان اليهود في ظل القوط الغربيين يعانون من سوء المعاملة، والتضييق عليهم، وقد صدرت تشريعات معادية لهم منذ عهد الملك القوطي الأريك الثاني (٤٨٤-٥٠٧م). كما نص بعض قرارات المجامع الكنسية في طليطلة على إكراه اليهود على اعتناق النصرانية، وحُرّم على أي يهودي أن يشتري عبداً نصرانياً. وقد ظل هذا التشريع سارياً في عهود الملوك القوط المتعاقبين.

وكان اليهود يقومون بالأعمال المالية والحسابية في دواوين الحكومة، وكانوا على اتصال بأبناء ملتهم في شمالي إفريقية [٢]، وعلى الرغم من أهمية الأعمال التي كانوا يقومون بها إلا أنهم كانوا يعيشون على هامش الحياة [٣]. ولم يكونوا يعنون الكثير للقوط الغربيين عندما حكموا إسبانيا، واعتنقوا الديانة النصرانية على المذهب الأريوسي. ولكن عندما أصبحت الكاثوليكية هي الدين الرسمي للدولة تحولت النقمة بين القوط ورجال الكنيسة إلى اليهود، وعندما أصبح رجال الكنيسة يوجهون سياسة الدولة أخذ القوط يعاملون اليهود معاملة قاسية [٤].

لقد كان اليهود مكروهين في اسبانيا بسبب اختلاف عقيدتهم، ولتعاطيهم الربا، وقد دفعهم شعورهم بالاضطهاد إلى بذل محاولات لقلب نظام الحكم عن طريق الثورة وحبك المؤامرات[٥].

وقد أصدر الملك سيسيبوتو (٦١٢-٦٢٠م) مرسوماً ضد اليهود ليجبرهم على قبول التعميد واعتناق المسيحية، وقد جردهم من العبيد والمستأجرين، ولهذا أصبح من الصعب عليهم أن يزرعوا أراضيهم، أو أن يمتلكوا المزارع الكبيرة. كما إن الملك هدد بأنهم إذا لم يقبلوا التعميد فإنهم سيطردون من إسبانيا، ثم اتخذ مجمع طليطلة الرابع قراراً بإجبار اليهود على اعتناق المسيحية، فقبل الآلاف منهم ذلك ولكن ظاهرياً، أما الذين رفضوا فقد طردوا من المملكة، وصودرت أملاكهم وذلك سنة ٦١٣م [٦].

---

(١) المرجع نفسه، ص١١٠٧.

(٢) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٢.

(٣) بشتاوي، عادل سعيد، الأندلسيون المواركة، دراسات في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، ط٢، دمشق، ١٩٨٥، ص٢٠١.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٠١-٢٠٢؛ بدر، أحمد، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، ط٢، دمشق، ١٩٧٢، ص٩-١٠.

(٥) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٢؛ حتاملة، أيبيريا، ص٢٥٢.

(٦) حتاملة، أيبيريا، ص٢٤٣.

http://al-maktabeh.com

وصدر في عهد الملك كنتيلا (Khintila) (٦٣٦-٦٤٠م) قانون ضد اليهود يقضي بعدم السماح لأي كان بالعيش في الدولة إذا كان خارجاً عن المذهب الكاثوليكي، ويبدو أن بعض اليهود الذين سبق طردهم من إسبانيا تمكنوا من العودة إليها خلال الفوضى التي مرت بالمملكة في أوقات سابقة [١].

وأبعد اليهود في عهد الملك أرفيخيو (٦٨٠-٦٨٧م) عن كل وظائف الدولة، وعن تولي المزارع الكبيرة، وحرم عليهم وعلى عبيدهم أن يعملوا في حقولهم أيام الآحاد والعطل الدينية النصرانية. ووصلت ذروة التضييق على النشاط الاقتصادي لليهود في عهد الملك أخيكا (٦٨٧-٧٠١م)، فقد أصدر تشريعات تهدف إلى شل القدرة الاقتصادية لليهود، والحد من أرزاقهم، ولذلك أجبروا على بيع عبيدهم، والممتلكات التي سبق أن اشتروها من النصارى إلى خزينة الدولة بسعر محدد. كما منعوا من مزاولة التجارة على مختلف أشكالها أو أن يتاجروا فيما وراء البحار. وقد استطاع اليهود التخلص من بعض آثار هذه القوانين عن طريق دفع الرشوة للنبلاء ورجال الدين، إلا أنهم تأثروا بإجراءات الملوك القوط ضدهم إلى حد كبير، ودفع ذلك كثيرين منهم إلى الالتجاء إلى شمالي إفريقية، وغالة في جنوبي فرنسا. كما قام بعضهم بالاشتراك في بعض الحركات المناوئة للسلطة.

وقد دبر يهود إسبانيا بالاشتراك مع يهود المغرب مؤامرة لإسقاط الدولة القوطية، واستنجدوا بالعرب المسلمين في شمالي إفريقية لتحقيق هذا الهدف، فعقد مجمع كنسي في طليطلة عام ٦٩٤م أصدر مرسوماً بمصادرة أملاك اليهود، وفصل أبنائهم عنهم بعد سن السابعة، وتربيتهم في أوساط مسيحية حتى ينشأوا نشأة مسيحية، وهو الأمر الذي أثار غضب اليهود وحنقهم على الدولة القوطية [٢].

وعلى الرغم من صدور القرارات الكنسية والمراسيم الملكية بطرد اليهود من إسبانيا، ومغادرة كثيرين منهم البلاد، إلا أنهم تغلغلوا فيها مجدداً في عهد الملك غيطشة الذي سمح لهم بالعودة، وذلك قبيل الفتح العربي الإسلامي [٣]. ويرى بعض الباحثين أن استعانة يهود إسبانيا بالعرب المسلمين كانت مما يسر عملية فتحها [٤]. والحقيقة أن فتح الأندلس كان تخليصاً لليهود من محنتهم وعذابهم على يد رجال الكنيسة الكاثوليكية في عهد القوط[٥].

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٤٦.

(٢) حتاملة،ايبيريا، ص٢٦٤؛ وانظر: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٣.

(٣) حتاملة، أيبيريا، ص٢٥٣.

(٤) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٢؛ بدر، دراسات في تاريخ الأندلس، ص٩-١٠.

(٥) بشتاوي، الأندلسيون الموارکة، ص٢٠٢.

جـ - المجامع الكنسية في طليطلة

تقع مدينة طليطلة وسط شبه الجزيرة الأيبيرية على مسافة ستين ميلاً إلى الجنوب الغربي من مدريد، وتعد من حيث موقعها مركز أيبيريا (إسبانيا)، وهي بين الشرق والشمال من قرطبة، وإلى الشرق من طلبيرة (Talavera)، وتشرف على مايليها من اسبانيا إلى الجنوب[١]. وقد استولى الرومان على طليطلة عام ١٩٣ ق.م، وازدهرت تحت حكمهم، وأصبحت بعد دخول المسيحية إلى إسبانيا ذات أهمية كبيرة بوصفها مركزاً لهذا الدين. وقد استولى عليها القوط الغربيون عام ٤١٨م، وأصبحت في القرن السادس الميلادي عاصمة مملكتهم[٢].

وكانت كنيسة طليطلة ذات تأثير كبير في إسبانيا ليس في الحياة الدينية وحسب، وإنما في الحياة السياسية أيضاً، وذلك منذ اعتناق القوطيين الدين المسيحي على المذهب الأريوسي، إلا أن شهرتها في هذا المجال ازدادت بازدياد فعاليتها في الحياة الدينية والسياسية بعد تحول القوطيين إلى المذهب الكاثوليكي، حتى أن إسبانيا خضعت لسلطة رجال الدين، وأصبح للكنيسة، ولأسقف طليطلة سلطة عظيمة[٣]. وكانت كنيسة طليطلة، عبر المجامع الدينية التي تعقد فيها، تشترك في وضع القوانين المدنية إلى جانب القوانين الدينية، وهي القوانين التي أصبحت أساس الدستور الإسباني فيما بعد[٤].

وكانت علاقة كنيسة طليطلة بالبابا في روما علاقة ولاء، وأصبح لأسقف طليطلة بعد أن توثقت علاقته بالبابا، نفوذ يعلو على نفوذ الملك في بعض الأحيان، وكان الملك، في كثير من الأحيان، يستعين بالمجامع الدينية التي يرأسها أسقف طليطلة لتأييد شرعيته في الحكم[٥].

ولعل أول مجمع كنسي عقد في طليطلة في عهد الملوك القوط الأريوسيين، هو ذلك المجمع الذي دعا إلى عقده الملك ليوفيخيلدو (٥٧٢-٥٨٦م) في محاولة منه لمعالجة ثورة ابنه إيرمنخيلدو الذي تحول إلى الكاثوليكية، وقد عقد هذا المجمع من القساوسة الأريوسيين في طليطلة عام ٥٨٠م، وأعلن المجمع أنهم ليسوا بحاجة إلى إعادة التعْميد، وحدد كيفية التحول من الكاثوليكية إلى الأريوسية، وهو ما أشرنا إليه سابقاً [٦].

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٥، ص٥٣٦، ٥٥١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٦١.

(٢) حتاملة، موسوعة، ج٢، ص٦٩٤.

(٣) حتاملة، أيبيريا، ص٢٥٧؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٨٠.

(٤) حتاملة، أيبيريا، ص٢٥٨.

(٥) حتاملة، أيبيريا، ص٢٥٨.

(٦) المرجع نفسه، ص٢٣٥.

وبدأت المجامع الكنسية في طليطلة عصرها الذهبي عندما تحول القوط إلى المذهب الكاثوليكي في عهد الملك ريكاريدو (٥٨٦-٦٠١م)، وقد عُرف أول مجمع ديني عقد في عهده بـ (مجمع طليطلة الثالث) الذي افتتحه الملك بنفسه عام ٥٨٩م، وقد حضر هذا المجمع ثلاثة وستون أسقفاً من إسبانيا وغالة (جنوبي فرنسا) وأربونة، ووجه الملك في هذا المجمع رسالة دعا فيها الشعب القوطي إلى التحول إلى الكاثوليكية، كما أعلن إنابته ورجوعه إلى المذهب الكاثوليكي، وكذلك إرجاع عامة الناس إلى هذا المذهب[١].

وأدى المجمع الكنسي الثالث في طليطلة إلى انتهاء الخلاف المذهبي، وأصبحت سيطرة الكاثوليكية حقيقة واضحة، وتحولت الغالبية إلى هذا المذهب، وأصبح هناك دين واحد للقوط والاسبان والرومان، وبذلك تأسست الوحدة الكاثوليكية في إسبانيا[٢].

وليس واضحاً لماذا عرف مجمع طليطلة الذي تم فيه التحول من الأريوسية إلى الكاثوليكية بأنه (الثالث) وليس الأول، وخاصة أنه أول مجمع يعقد في عهد الكاثوليكية في إسبانيا. وربما سبقه مجمعان في عهد الأريوسية، وكان أولهما هو ذلك الذي عقده الملك ليوفيخيلدو. وعلى كل حال تم عقد مجمعين دينيين في طليطلة في عهد الملك القوطي الكاثوليكي غونديمارو Gundemara (٦١٠-٦١٢م)، وكان ملكاً يتمتع بمزايا حسنة، أصدر في فترة حكمه القصيرة عدداً من المراسيم لصالح الكنيسة الكاثوليكية[٣].

وعقد المجمع الكنسي في طليطلة في عهد الملك سيسيبوتو (٦١٢-٦٢٠م)، وكان هذا الملك قد أصدر مرسوماً ضد اليهود الذين كانوا يعيشون في إسبانيا، ويتمسكون بعقائدهم وقوانينهم وشعائرهم، ليجبرهم على قبول التعميد واعتناق المسيحية، وقد أعلن المجمع إجبار اليهود على اعتناق المسيحية[٤]، وعقد المجمع الرابع عام ٦٣٣م في عهد الملك سيسيناندو (Sisenando) (٦٣١-٦٣٦م)، وكان برئاسة أسقف إشبيلية سان إيزيدورو San Isidoro، وكان عقد هذا المجمع بناء على رغبة الملك لإضفاء صفة الشرعية على حكمه. وقد وافق الأساقفة على حرمان ذرية خلفه سوينتيلا من المطالبة بالحكم. وبذلك فإن الكنيسة تدخلت للتخفيف من تعطش القوط للدماء [٥].

وفي عهد الملك كنتيلا (Khintila) (٦٣٦-٦٤٠م) تم انعقاد المجمعين الخامس والسادس

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٣٩، وانظر النص الكامل لقرار مجمع طليطلة الثالث في الصفحات ٢٦٦-٣١٤.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٣) حتاملة، أيبيريا، ص٢٤٢.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٤٣.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٤٦.

في طليطلة، حيث صدر قانون ضد اليهود يقضي بعدم السماح لأي كان بالعيش في الدولة إذا كان خارجاً عن المذهب الكاثوليكي [١].

وعقد في عهد الملك أرفيخيو (٦٨٠-٦٨٧م) المجمع الكنسي الطليطلي الثاني عشر الذي وافق على انتخابه للعرش، كما عقد المجمع الثالث عشر الذي أعلن العفو عن باولو ومن معه من العصاة الذين تآمروا على سلفه الملك وامبا (Vamba) (٦٧٢-٦٨٠م)، وأعاد لهم أملاكهم وألقابهم وعقاراتهم. وكان باولو هذا إغريقياً وجهه وامبا لإخماد ثورة قام بها البشكنس، إلا أنه خان الملك، وانضم إلى الثوار في أربونة، وأعلن نفسه ملكاً [٢].

وبعد موت أرفيخيو تولى العرش أخيكا (Egica) (٦٨٧-٧٠١م)، وقد عقد المجمع الكنسي في عهده ثلاثة مجامع كان أولها المجمع الرابع عشر عام ٦٨٨م، وقد عمل هذا المجمع على تسوية المنازعات القائمة بين أخيكا وورثة سلفه الملك أرفيخيو [٣]. وعقد المجمع الثاني عام ٦٩٣م، وقد حاكم هذا المجمع أسقف العاصمة طليطلة لأنه تزعم مؤامرة تستهدف اغتيال الملك وأسرته وبعض أنصاره. وقرر المجمع الاكتفاء بعزل الأسقف من منصبه. وقد جاء هذا الحكم المخفف مراعاة لمركز الأسقف الديني الرفيع [٤].

وعقد المجمع الثالث في عهد أخيكا، وهو المجمع السادس عشر من المجامع الكنسية في طليطلة عام ٦٩٤م، وكان هدف هذا المجمع هو الحكم في مؤامرة دبرها يهود إسبانيا بالاشتراك مع يهود المغرب لإسقاط الدولة القوطية. وقد أصدر المجمع مرسوماً بمصادرة أملاك اليهود، واتخذ بحقهم عقوبات أخرى أشرنا إليها سابقاً [٥].

ويمكن القول من استقراء الأحكام التي كانت تصدرها المجامع الكنسية في طليطلة، أن هذه المجامع كانت بمثابة جمعيات وطنية لمملكة القوط الغربيين، تجتمع بين حين وآخر للنظر في مسائل الدولة الكبرى، وكان أصل المجمع الكنسي دينياً يتألف من كبار رجال الدين الكاثوليك، ويعقد للنظر في أمور الكنيسة ورعاياها، غير أن هذا المجلس بعد اعتناق القوط المذهب الكاثوليكي أصبحت له أهمية كبيرة، ويعقد بأمر الملك، ويحضره كبار رجال الدولة، ثم أصبح مجمعاً سياسياً ودينياً في آن واحد، يصدر القوانين والأحكام في مختلف القضايا،

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٤٦.

(٢) حتاملة، أيبيريا، ص٢٤٨-٢٥١.

(٣) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٣.

(٤) المرجع نفسه، ص٥٣؛ حتاملة، أيبيريا، ص٢٥٢.

(٥) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٣؛ حتاملة، أيبيريا، ص٢٥٢.

ثم أصبح محمكة عليا واتسع سلطانه، وانضم إليه النبلاء، فأصبح مجلساً اعلى للدولة[١].

ويمكن القول إن مجمع طليطلة الكنسي كان من الناحية النظرية قيداً على سلطة الملك، وأما من الناحية العملية فقد كان سنداً مهماً لسلطته. وفي القرن السابع الميلادي كان المجمع لا ينعقد إلا بأمر الملك، وكان الأساقفة يتخذون القرارات التي يوجههم الملك إلى اتخاذها، وينفذون ما يطلبه[٢].

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن المجامع الكنسية في طليطلة أن نؤكد على تأثير الكاثوليكية على إسبانيا، وعلى المجتمع الإسباني، فباعتناق ريكاريدو وأهل بيته هذا المذهب، تبعه كبار رجال المملكة القوطية، وأصبحت الكاثوليكية بمرور الزمن متأصلة في البلاد، وزادها قوة ميل الإسبان إلى التشدد والتعصب لكل مايؤمنون به، وبالتالي أصبحت إسبانيا من أمنع معاقل الكاثوليكية [٣].

وكان تحول القوط إلى الكاثوليكية قد أدى إلى امتزاج الشعبين القوطي والأيبيري الروماني، غير أن هذا الامتزاج ظل محدوداً، وذلك بسبب حرص القوط على الاحتفاظ لأنفسهم بمركز الشعب الحاكم [٤].

وكان القوط الغربيون، بالمقارنة مع سكان إسبانيا، عبارة عن أقلية صغيرة، ولكن الثروات والممتلكات كانت مركزة في أيديهم[٥]، وبالتالي كانوا يشكلون طبقة تهيمن على الطبقات الأدنى في المجتمع .

طبقات المجتمع في إسبانيا

لقد استبد القوط، وخاصة قبيل الفتح الإسلامي، بالحكم، وكانت سياستهم سيئة مما أدى إلى سوء حالة إسبانيا، واضطراب حياة سكانها، فقد انتشرت الفوضى، وأصبح معظم الناس يعيشون في شقاء بسبب استغلال الشعب لحساب الطبقة الحاكمة والمترفة وأصبح الصراع مستمراً بين المحكومين والحاكمين، وبين الحاكمين أنفسهم. أما الشعب الإسباني، فكان – مثل غيره من الشعوب الأوروبية في العصور الوسطى – مقسماً إلى

---

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٣.

(٢) السامرائي، خليل إبراهيم، وعبد الواحد ذنون طه، وناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، ص١٤.

(٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص٩.

(٤) المرجع نفسه، ص٩-١٠.

(٥) طه، عبدالواحد ذنون، دراسات في التاريخ الأندلسي، ط١، ١٩٨٧، ص١٥.

http://al-maktabeh.com

طبقات بعضها مهضوم الحقوق، وبعضها الآخر مترف، واسع الامتيازات [١].وقد كانت طبقات المجتمع الإسباني قبيل الفتح كما يلي:

أولا: الطبقة العليا (الأرستقراطية)

تتألف هذه الطبقة من النبلاء القوط الغربيين، وبقايا طبقة النبلاء الرومان، ويتميز أفراد هذه الطبقة بأصلهم النبيل، وامتلاكهم المزارع والضيع الكبيرة. وكانت إسبانيا حتى منتصف القرن السابع الميلادي تحكم وتدار بإدارة مشتركة من الطبقتين النبيلتين القوطية والرومانية. ومن المظاهر المهمة لهذا النظام أن الطبقة النبيلة القوطية كانت مسؤولة عن السكان القوط، بينما تمارس الطبقة النبيلة الرومانية سلطاتها على السكان الرومان، أما السياسة العامة فكان يقررها الملك القوطي وموظفوه الكبار[٢].

وكانت العائلة النبيلة القوطية تتألف من عدة مراتب، أعلاها مرتبة الكبار (Grandes)، تليها مرتبة الدوقات (Duques)، ثم الكونتات Condes، ثم الأشراف (Gardingos)، وكان هؤلاء يمارسون السلطة العسكرية، ويليهم مرتبة : قادة الألف الذين كان الواحد منهم يقود ألف رجل، ثم قائد الخمسمائة، ثم قائد المائة، ثم قائد العشرة[٣].

وكان ملاك الأراضي الرومان والقوط وكذلك الملك وكبار موظفيه يشرفون على مزارعهم عن طريق الوكلاء ومديري المال في مقاطعاتهم. وكان أفراد هذه الطبقة النبيلة أغنياء جداً بنوا ثرواتهم على حساب الطبقات الفقيرة المعدمة الأخرى. وقد أفلح بعض أفراد هذه الطبقة في الاحتفاظ بثرواتهم حتى بعد الفتح العربي الإسلامي[٤].

ويشار هنا إلى أن إسبانيا كانت مقسمه إلى عدد من المقاطعات تضم كل منها عدداً من المدن، ويحكم كل مقاطعة دوق، بينما يحكم كل مدينة قومس (Comes) بلقب كونت (Conde). وكان لهؤلاء النبلاء مجلس أصبح له نفوذ واسع حتى في تعيين الملوك وعزلهم[٥]، بل إن هؤلاء النبلاء كانوا يتنافسون فيما بينهم للوصول إلى العرش، ولذلك كثرت الدسائس والمؤامرات والأحقاد المتبادلة، مما أضعف قوة الدولة القوطية، وسرع سقوطها[٦].

---

(١) الحجي، عبدالرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط٣، دار القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص٢٩.

(٢) السامرائي، تاريخ العرب، ص١٦.

(٣) حتاملة، أيبيريا، ص٢٦١-٢٦٢.

(٤) السامرائي، تاريخ العرب، ص١٦.

(٥) حتاملة، أيبيريا، ص٢٦٢.

(٦) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٥١.

ويتميز أبناء الطبقة العليا أيضاً بأن ثراءهم كان فاحشاً، وقد بنوا هذه الثروات عن طريق ممتلكاتهم الشاسعة المعفاة من الضرائب، التي كان يعمل فيها العبيد والمسخّرون[١].

ثانياً: طبقة رجال الدين

كان لرجال الدين نفوذ سياسي إلى جانب نفوذهم الروحي، ذلك أن الدين في العصور الوسطى كان مسيطراً على كل شيء تقريباً حتى أن بعض الناس كان يعتقد أن باستطاعة رجل الدين أن يدخله الجنة أو النار [٢].

وقد أصبح لرجال الدين دور كبير ومؤثر منذ تحول إسبانيا من الأريوسية إلى الكاثوليكية لدرجة أنهم كانوا يتدخلون في تعيين بعض الملوك، وإكسابهم صفة الشرعية، وهذه المكانة التي احتلوها جعلتهم يتمتعون بامتيازات كثيرة، حيث امتلكوا الأراضي الواسعة، وكانوا يجبون الضرائب من الشعب لحسابهم، مما أكسبهم الثروة والرخاء [٣]. وكانت ممتلكاتهم العقارية معفاة من الضرائب مثلهم مثل النبلاء أبناء الطبقة العليا [٤].

ثالثا: الطبقة الوسطى

ويمكن أن يطلق عليها أيضاً طبقة الأحرار، أو الطبقة العامة، وتتألف من الأحرار والعبيد المعتقين، أي الذين ولدوا أحراراً أو أعتقوا. وينتمي غالبية هؤلاء إلى أصول قوطية ورومانية، وعاشوا في المناطق الحضرية والأرياف، ومنهم العمال في المدن الذين كانوا ينتظمون في أصناف ونقابات، ولا يحق لهم التحول عنها أو الانتقال من مدينتهم إلى مدينة أخرى، ومن يهرب منهم كان يجبر على العودة إلى مدينته الأصلية. وكان أفراد هذه الطبقة محرومين من الانتظام في سلك رجال الدين، أو أن يتولوا القضاء. وكان الريفيون من أبناء هذه الطبقة يضطرون في معظم الأحيان إلى تسليم أراضيهم لكبار النبلاء بسبب ظروفهم الاقتصادية الصعبة [٥]. وكانت هذه الطبقة تتحمل الضرائب المختلفة [٦].

وكانت الطبقة الوسطى التي تدل كثرتها عادة على رخاء المجتمع، وتدل قلتها على

---

(١) المرجع نفسه، ص٥١.
(٢) العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، ص٥١.
(٣) حتاملة، أيبيريا، ص٢٦٢.
(٤) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٢.
(٥) المرجع نفسه، ص٥٢؛ حتاملة، أيبيريا، ص٢٦٣.
(٦) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٢٩.

اختلاله، كانت هذه الطبقة في العهد القوطي قليلة العدد، وضعيفة النفوذ بسبب تأخر الصناعة والتجارة الذي نجم عن كثرة الحروب والمؤامرات وانعدام الأمن، وبسبب تخلف الزراعة بسبب سيطرة النبلاء الإقطاعيين على الأراضي الزراعية ومصادرتها وإجبار أصحابها على العمل فيها والتحول إلى رقيق، وإرهاقهم بدفع الضرائب والقيام بالأعمال العامة مثل حفر الترع، وإنشاء القناطر والطرق. وقد أدى ذلك إلى تأخر الزراعة، وتخلف إسبانيا اقتصادياً وخاصة في الفترة الأخيرة من حكم القوط [١].

رابعاً: الطبقة الدنيا

وهي طبقة العبيد، وتأتي في الدرجة الدنيا من السلّم الاجتماعي، وهي أكثر الطبقات عدداً وأقلها حقوقاً، وقد كانت تشكل جماهير غفيرة. وهذه الجماهير كانت ضحايا كل أنواع القهر والاضطهاد. فقد كان العبيد مملوكين لكبار النبلاء ورجال الدين، ويسخرون للعمل الزراعي وفي المنازل. وقد عاشوا في ظروف سيئة للغاية، ولذلك كان كثيرون منهم يحاولون الهرب للتخلص من العبودية. وكان القوط في أواخر عهدهم يجندون العبيد بالإكراه مما دفع كثيرين منهم إلى الهرب والاختباء [٢].

وكان العبيد مرتبطين بالأرض التي يشتغلون فيها، فهم ملك صاحبها، وينتقلون معها إذا بيعت أو انتقلت ملكيتها إلى شخص آخر [٣].

خامساً: اليهود

أشرنا سابقاً إلى أن اليهود في إسبانيا كان عددهم كبيراً، وأنهم كانوا كثيراً ما يتعرضون للأذى بسبب عقيدتهم، واشتغالهم بالربا، واشتراكهم في المؤامرات والدسائس. وقد كان الملوك القوطيون، والمجامع الكنسية تصدر القوانين والتشريعات التي تقضي بمصادرة أملاك اليهود، وتنصير أبنائهم. وقد أدى الضغط الكبير على اليهود إلى بذل محاولات لقلب نظام الحكم، وعندما فشلوا حاولوا – كما يرى بعض الباحثين – الاستعانة بالعرب المسلمين لإسقاط الدولة القوطية، وخاصة أنهم كانوا على اتصال بأبناء ملتهم في شمالي إفريقيا، وقد علموا منهم أنهم يتمتعون بالحرية الدينية في ظل الحكم الإسلامي[٤].

---

(١) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٢؛ حتاملة، أيبيريا، ص٢٦٣.

(٢) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٢؛ حتاملة، أيبيريا، ص٢٦٣.

(٣) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٢.

(٤) حتاملة، أيبيريا، ص٢٦٤؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٢؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص١٨-٢٠.

الفصل الثاني

فتح الأندلس والعهود التي مرت بها

http://al-maktabeh.com

فتح الأندلس
والعهود التي مرت بها

بدأ انهيار دولة القوط في إسبانيا يتسارع في عهد الملك غيطشة (Witiza)(٧٠١-٧٠٩م)، فبعد وفاة أبيه أخيكا اعتلى العرش، مخالفاً مبدأ الانتخاب الذي اتفق عليه النبلاء والتزموا به[١]، مما أثار حنقهم عليه. وأثار غضبهم أيضاً وغضب رجال الدين أمره بإزالة الأسوار عن المدن، ومنع استعمال الأسلحة حتى لا يثور عليه أحد[٢]. وزاد نقمة الناقمين عليه اختياره ابنه الصبي أخيلا (Achila) – أو كما تسميه المصادر العربية (وقلة) – حاكماً على طركونة وسبتمانيا، تمهيداً لاعتلائه العرش بعد وفاته، يضاف إلى ذلك أن غيطشة مال إلى إنصاف الناس من استبداد نبلاء القوط الذين أبعدهم عن نفسه، وحرمهم من بعض امتيازاتهم، وفرق شملهم، وقد اجتمعت كل هذه الأسباب لتكون حافزاً للنبلاء من أجل مضاعفة العمل للقضاء على غيطشة ودولته[٣].

وتوفي الملك غيطشة عام ٧٠٩م تاركاً وراءه ثلاثة أبناء هم : أخيلا (وقلة)، وألمند، وأرطباس، بالإضافة إلى أخوين آخرين كان أحدهما أسقفاً لإشبيلية يدعى أبة (Oppa)، وكان الآخر وصياً على أخيلا المرشح لوراثة العرش[٤]. وعندما توفي غيطشة تخوف النبلاء من استبداد الوصي بالحكم، واجتمعت لديهم الأسباب كلها للامتناع عن طاعة أخيلا، بل استقل بعضهم في الأطراف والنواحي، وعمت الفوضى والارتباك البلاد[٥].

---

(١) بشتاوي، عادل سعيد، الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ ١٠٠عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٤٤.

(٢) حتاملة، الأندلس، ص٥٣.

(٣) بشتاوي، الأمة الأندلسية، ص٤٤؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٠-٢١.

من أجل الاستزادة عن فتح الأندلس والعهود التي مرت بها انظر المراجع التالية:

- *BALLESTEROS Y BERETTA* (A.),Historia de España y su influencia universal. Barcelona, 1920.t.II.
- *Diaz Carmona, Francisco* : compendio de Historia de España. Barcelona, 1911.
- *Diaz-Plaja, (Fernándo)* La historia de Espana en sus documentons, Barcelona 1971.
- *Gomez Ranera*. Alejandro : Compendio de La historia de España. Desde su origen hasta el fin del Reinado de Doña Isabel II Y Año De 1868, Novena Edición, Madrid 1875.
- *GONZALEZ PALENCIA* (A.), Historia de la Espana Musulmana (col.Labor), Barcelona, 1932.

(٤) السامرائي، تاريخ العرب، ص٢١.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٥؛ مجهول، أخبار مجموعة، ترجمهُ إلى الإسبانية ونشره لافوينتي القنطرة، مدريد، ١٨٦٧م، ص١٥؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٢١.

وقد أسرع أخيلا (وقلة) بالعودة إلى العاصمة طليطلة قادماً من إحدى المقاطعات الشمالية حيث كان يقيم، ولكنه مُنع بالقوة العسكرية من دخول العاصمة، واختار النبلاء والقساوسة شخصاً آخر من غير الأسرة المالكة لتولي العرش، وهو الدوق لذريق (Rodrigo)، وأقاموه ملكاً على إسبانيا، وعندئذ انقسم الجيش والرأي العام على نفسه بين مؤيد للملك المخلوع ومعارض له، وعمت الفوضى السياسية البلاد [١].

وقد كان لذريق رجلاً شجاعاً، وقائداً وفارساً، إلا أنه كان بحاجة ملحة للمال بسبب ظروف توليه العرش، ولذلك بدأ حكمه بالاستيلاء على خزائن من سلفه من الملوك[٢].

ولم يرض أتباع غيطشة ومؤيدوه وأفراد أسرته عن تعيين لذريق ملكاً، وأخذوا يتحينون الفرص، ويبحثون عمّن يعيد إليهم عرش أبيهم، ووجدوا ضالتهم في المسلمين الذين استكملوا فتح شمالي إفريقية، وقد ظن أبناء غيطشة ومؤيدوهم أن المسلمين طلاب غنائم لا أكثر، ولذلك لن يستقروا في إسبانيا، فساعدوا في تمهيد الطريق أمامهم لدخولها[٣].

وقبل تناول فتح المسلمين إسبانيا التي أصبحت في عهدهم تعرف باسم (الأندلس) لا بد من الإشارة إلى أمر بالغ الأهمية، وهو أن طريق الفتح لم يكن سهلاً، أو مفتوحاً من دون عقبات، ذلك أن الاضطراب والفساد الاجتماعي، والتخلف الاقتصادي الذي عانت منه إسبانيا قبيل الفتح لا يعني أنها كانت بلا قوة عسكرية، فقد كان بإمكانها أن تحشد جيشاً قوياً مدرباً، ذلك أن دولة القوط ظلت رغم كل ما مر بها من ظروف تتمتع بقوة عسكرية كبيرة، وكان جيشها، بل جيوشها، تحارب على أرضها التي تعرفها جيداً، بينما

---

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص١٦؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٢١؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٣-٥٤؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٣.

من أجل الاستزادة عن فتح الأندلس والعهود التي مرت بها انظر المراجع التالية:

- *ANTONIO CONDE, JOSE:* «Historia de la dominación de los arabes en España. Sacada de varios Manuscritos y Memorias arābigas»,3 vols. Madrid,1820.
- *ALTAMIRA Y CREVEA* (R.). Historia de España y de la civilización española, Barcelona,1990,vol. I.
  «Les etudes sur les morisques en Espagne a la lumiere des travaux recents», Revue des Etudes Islamiques, 1967.
- *AGUADO BLEYE (P.)*, Manual de Historia de España, Madrid,1963, t. I.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص٥؛ ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، تاريخ افتتاح الأندلس، نشر خوليان ريبيرا، مدريد، ١٩٢٦م، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨، ص٢،٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٢١؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٣-٥٤.

(٣) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٠.

كان جيش العرب المسلمين الفاتح يحارب في أرض مجهولة، كثيرة الشعاب، وعرة المسالك، إلا أنه كان مسلحاً بعقيدة يفتديها بالنفس، ويتحلى بقيم إنسانية، وروح جهادية ليس هدفها القتل والتدمير، وإنما نشر الإسلام، وإعلاء كلمة الله، ولذلك استطاع المسلمون فتح الأندلس خلال فترة وجيزة مع أنهم أقل عدداً وعدة من عدوهم الذي يحارب على أرضه، قريباً من إمداداته [١].

وقد مرت الأندلس منذ بداية الفتح حتى سقوط غرناطة بثمانية عهود هي: عهد الفتح، وعهد الولاة، وعهد الإمارة الأموية، وعهد الخلافة الأموية، وعهد ملوك الطوائف، وعهد المرابطين، وعهد الموحدين، وعهد مملكة غرناطة. وفيما يلي نبذة مختصرة عن كل من هذه العهود التي استغرقت نحو ثمانية قرون من الزمان.

أولاً: عهد الفتح

ترجع فكرة فتح الأندلس إلى أيام الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فقد كان قائده عقبة بن نافع الفهري (٦٣هـ) يفكر في اجتياز مضيق جبل طارق لو استطاع، كما أن المسلمين قاموا بعدة نشاطات عسكرية على شواطىء إسبانيا الشرقية، وجزر ميورقة، ومنورقة، واليابسة، وفي عام ٨٩هـ/ ٧٠٧م جهز موسى بن نصير ولده عبدالله «فافتتح جزيرتي ميورقة ومنورقة»[٢]. ويروى عن عثمان بن عفان أنه كتب إلى الجيش الإسلامي في القيروان قائلاً: «أما بعد، فإن فتح القسطنطينية إنما يكون من قبل الأندلس..»[٣]، وكان الهدف من ذلك هو الإطباق على البيزنطيين من الشرق والغرب.

وقد كان موسى بن نصير في القيروان عندما كتب إليه يليان، حاكم سبتة الذي كان تابعاً

---

(١) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣١-٣٥.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٢٠٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٨٥، ١٩٨، ٢٨٨؛

(٣) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٢٠٤-٢٠٥.

من أجل الاستزادة عن فتح الأندلس والعهود التي مرت بها انظر المراجع التالية:

- *LAFUENTE ALCANTARA, MODESTO :* «Historia general de España desde los tiempos primitivos hasta la muerte de FernandoVII». Barcelona. 1877.
- *-LAFUENTE ALCANTARA. MIGUEL:* «Historia de Granada, comprendiendo las de sus cuatro provincias, Almeria, Jaén, Granada y Malaga.desde remotos tiempos hasta nuestros dias». 3 vols.Granada,1844.
- *-LAFUENTE ALCANTARA. MIGUEL:*« Historia de Granada», 3 vols.Granada,1843.

للإمبراطور البيزنطي، وتربطه بلذريق صلات من الود والولاء، كتب إلى موسى يدعوه لفتح الأندلس، وذلك بسبب اعتداء لذريق على ابنته فلوريندا عندما كانت في بلاطه لتتأدب بآداب الملوك[١].

وكان الإسلام قد استقر في شمالي إفريقية، وكان المسلمون من عرب وبربر قد انصهروا في بوتقة واحدة، وأصبحوا مستعدين لنشر هذا الدين في أرض جديدة [٢]، وقد استشار موسى بن نصير الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في فتح الأندلس، فأشار عليه بأن يختبر المنطقة بسرايا محدودة قبل أن يزج بجيش المسلمين في أرض غريبة، وأمام عدو لا يعرف مدى قوته [٣].

وقد وجه موسى بن نصير حملة بقيادة طريف بن مالك المعافري (المكنى بأبي زرعة)، جازت بحر الزقاق (مضيق جبل طارق)، ونزلت في جزيرة لاس بالوماس التي سميت فيما بعد (جزيرة طريف)، وذلك في رمضان سنة ٩١هـ / تموز ٧١٠م [٤].

وقد نجحت حملة طريف، وكان نجاحها حافزاً لتوجيه جيش كبير لفتح الأندلس، وكان هذا الجيش الذي وجهه موسى بن نصير بقيادة طارق بن زياد مؤلفاً من البربر (من آباء مسلمين وأمهات بربريات) وعدد قليل من العرب المسلمين [٥].

وقد حمل طارق جيشه المكون من سبعة آلاف في أربع سفن تجارية، فوجاً بعد فوج [٦]، وحل في الجبل الذي سمي باسمه (جبل طارق) يوم الاثنين الخامس من رجب سنة ٩٢هـ /

---

(١) ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ج٤، ص١٢١؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسين نصار، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٨٣م، ج٢٤، ص٤٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤، ٦؛ ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت ٢٥٧هـ)، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤م، ص٧٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦.

(٢) حتاملة، الأندلس، ص٥٧.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٢١-١٢٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٥٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٦.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٥٣.

(٥) ابن الكردبوس، أبو مروان عبدالملك (ت بعد ٥٧٣هـ)، تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٧١، ص٤٦؛ الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ج١، ص٩٨؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٧.

(٦) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٧؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٥٤.

نيسان ٧١١م[١]. وبنى قاعدة لجيشه أحاطها بسور يسمى (سور العرب)[٢] ثم انطلق لبدء عمليات الفتح، ففتح قرية إلى الشمال من الجبل تسمى قرطاجنة، ثم تقدم إلى الجزيرة الخضراء (Algeciras)، وقضى على إحدى السرايا القوطية [٣].

وسار طارق بعد تحقيق هذه الانتصارات الأولية شمالاً قاصداً قرطبة، وعندما انتهى خبر طارق إلى لذريق جمع جيشاً كبيراً لقتال المسلمين، فطلب طارق المدد من موسى بن نصير الذي أمده بخمسة آلاف مقاتل، والتقى الجيشان على وادي برباط أو وادي لكة يوم الاحد ٢٨ رمضان ٩٢هـ / ١٩ تموز ٧١١م [٤]. وقد استمرت المعركة ثمانية أيام، وكانت نتيجتها حاسمة لصالح المسلمين، وقد أورد المقري أن خلقاً عظيماً قتلوا من جيش لذريق[٥].

وفتحت معركة وادي لكة الطريق أمام طارق لمواصلة مهتمه، وخاصة بعد أن تدفق عليه المسلمون من المغرب عندما سمعوا بنتيجة المعركة، والنصر الذي تحقق فيها. فقد سار طارق بجيشه إلى شذونة (Medina Sidonia) الواقعة إلى الغرب من قرطبة[٦]، وحاصرها، وبعد أن غنم منها توجه إلى مورور التي تبعد عن قرطبة حوالي عشرين فرسخاً، ثم عطف على قرمونة، ثم مال إلى إشبيلية فصالحه أهلها على الجزية[٧].

وتجمعت فلول القوط الهاربين من معركة وادي لكة في مدينة أستجة Ecija الواقعة على بعد ستة وخمسين ميلاً جنوب قرطبة[٨] وكانت استجة مدينة حصينة، وقد هاجمها طارق، وظفر بها صلحاً[٩].

وأدرك الإسبان عندما رأوا طارقاً يوغل في البلاد أنه إنما جاء فاتحاً مستقراً، فهربوا إلى الحصون والمعاقل، ولجأ كبارهم إلى العاصمة طليطلة. وقد نصح يليان طارق بن زياد

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٥٤؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩؛ الناصري، الاستقصا، ج١، ص٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٢٢.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٢٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٦-٤٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٥٨-٢٥٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٧؛ الناصري، الاستقصا، ج١، ص٩٨.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٥٩.

(٦) حتاملة، موسوعة، ج١، ص٥٣١.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٠.

(٨) حتاملة، موسوعة، ج١، ص٥٦٠.

(٩) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ٨-٩.

http://al-maktabeh.com

بأن يجعل جيشه أربع فرق تتولى كل فرقة فتح منطقة، فتوجهت إحدى الفرق إلى قرطبة، والثانية إلى مالقة، والثالثة إلى غرناطة، وتوجه طارق نفسه على رأس الفرقة الرابعة إلى طليطلة[١].

ونجح مغيث الرومي الذي توجه إلى قرطبة في فتحها، وقد جمع من فيها من اليهود وضمهم إلى مجموعة من جند المسلمين، وأوكل إليهم جميعاً حماية المدينة[٢]. وفر القوط من أمام الفرقة التي توجهت إلى مالقة إلى رؤوس الجبال، ففتحت المدينة، ثم انضمت إلى فرقة غرناطة، وتمكنت الفرقتان من فتحها عنوة بعد حصار[٣]. وبعد نجاح هذه الفرق في مهامها تقدمت إلى تدمير (مرسية) و أخذتها صلحاً، ثم التحق معظم أفراد هذه الفرق بجيش طارق على أبواب طليطلة[٤].

وكان جيش طارق يتوجس من مهاجمة طليطلة، وخاصة أنها عاصمة الدولة، ولابد أن تكون مشحونة بالجند والعدد العسكرية، غير أنه عندما اقتحمها وجدها خالية، حيث فر عنها أهلها[٥].

وكتب طارق بن زياد إلى موسى بن نصير يعلمه بالفتح، فأمره موسى – بعد أن أعلم الخليفة الوليد بن عبد الملك بذلك – ألا يجاوز قرطبة[٦].

وعندما علم أبناء غيطشة بإنجازات المسلمين أيقنوا أن عهد القوط قد ولى إلى غير رجعة، وقدموا إلى طارق مطالبين بما اغتصبه لذريق من أبيهم، فزودهم بكتاب إلى موسى بن نصير، وتعهد لهم بإعادة ضياع أبيهم، وأرسلهم موسى بدوره إلى دمشق حيث قابلوا الخليفة الوليد بن عبد الملك، فأكرمهم «وأنفذ لهم عهد طارق في ضِياع والدهم، وعقد لكل واحد منهم سجلاً»، ثم عادوا إلى الأندلس، وحصلوا على ما أرادوا [٧].

أغرى نجاح طارق بن زياد في فتح مناطق شاسعة من الأندلس، أغرى موسى بن نصير، والي إفريقية، بزج مزيد من القوات الإسلامية في معركة الفتح، فدخل الأندلس في

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٨؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٠-٢٦١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٢٢-١٢٣.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص٢١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١١.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١١.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢.

(٦) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٨؛ حتاملة، الأندلس، ص٧٨-٧٩.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٥-٢٦٦؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٠.

شهر رمضان ٩٣هـ / ٧١٢م على رأس جيش أكبر من جيش طارق، كان مؤلفاً «من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر، وكان فيه عدد من كبار التابعين»[١]، ونزل موسى بجيشه في الجزيرة الخضراء حيث استقبل يليان، ورسم مع قادة الفرق العسكرية خطة حربية لاستكمال فتح الأندلس[٢].

وقد قضت خطة موسى بأن يتوجه إلى مناطق جديدة غير تلك التي فتحها طارق بن زياد، وقبل أن يبرح مكانه وبصحبته عدد من الأدلاء من أصحاب يليان، أمر ببناء مسجد في مكان الاجتماع سمي (مسجد الرايات) ليظل شاهداً على إجماع رايات العرب وقادة الجيش على فتح ما تبقى من الأندلس بقيادته[٣].

وبدأ موسى زحفه متوجهاً إلى شذونة ففتحها عنوة [٤]، ثم سار إلى مدينة قرمونة (Carmona) الواقعة على بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من إشبيلية[٥]، وكانت مدينة حصينة جداً، غير أنه تمكن من فتحها[٦]، وبذلك أمن خطوط مواصلاته من الجزيرة الخضراء إلى قرطبة، وتوجه إلى إشبيلية التي كانت «أعظم مدائن الأندلس شأناً، وأعجبها بنياناً، وأكثرها آثاراً»[٧]. وقد فتحها موسى بعد حصار أضعف مقاومتها، ومن ثم انهارت حاميتها وهربت، فدخلها وضم اليهود إلى قصبتها، وكان اليهود الحانقون على دولة القوط قد وجدوا في المسلمين منقذاً لهم من حكم القوط النصارى[٨].

واستأنف موسى جهاده لاستكمال فتح الأندلس، فتوجه إلى ماردة (Merdia)، الواقعة ما بين الغرب والشمال من مدينة قرطبة [٩]، وكانت ماردة «ذات عز ومنعة، وفيها كثير من

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٩؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٢٣.

(٢) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد المغربي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٨م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٨، ج٤، ص١٥٠-١٥١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٩.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٩.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٩.

(٥) حتاملة، موسوعة، ج٢، ص٨٢٩.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣-١٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٢٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٥٠.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٩.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٩؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٢٣.

(٩) حتاملة، موسوعة، ج٢، ص٩٨٧.

المصانع»[١]. وعلى الرغم من حصانة المدينة ومنعتها تمكن موسى من فتحها صلحاً، ولكن بعد أن فقد بعض جنوده شهداء أثناء محاولة اقتحامها[٢].

وتوجه موسى في عقب شوال ٩٤هـ/٧١٣م من ماردة إلى طليطلة حيث يوجد طارق بن زياد، وكان القوط في هذه الأثناء يتجمعون في المناطق الوعرة إلى الشمال من وادي آنة، ويتحصنون في شعاب الجبال بقيادة لذريق [٣]. ويبدو أن لذريق أعد العدّة للانتقام من المسلمين، وأخذ يتربص بهم. وعندما علم موسى بخبره استدعى طارق بن زياد، والتقى القائدان قرب نهير يدعى تايتر (Teitar) [٤] بين ماردة وطليطلة[٥]. ثم سارا في الطريق الممتدة بين ماردة وسلمنقة (Salamanca)، وكان لذريق قد كمن بقواته في منطقة وعرة قرب بلدة (Tamames)، وعندما وصلت جيوش المسلمين المكان انقضت عليها قوات لذريق، ولكن من دون تخطيط أو تنظيم، فحصدت خسراناً مبيناً، فقد فتكت بها جيوش المسلمين، وأفنتها عن آخرها، وكان لذريق، ملك القوط، بين القتلى[٦].

وسار موسى وطارق بعد هذا النصر الحاسم إلى طليطلة، ومنها كتب موسى إلى الوليد بن عبدالملك يخبره بالفتح[٧]، وعندما قرأ الوليد كتاب موسى خر ساجداً لله الذي منّ على المسلمين بهذا الفتح المبين والنصر المؤزر[٨].

وأمضى موسى وطارق فصل الشتاء في طليطلة التي أصبحت تعج بجيوش المسلمين، وقد استغل موسى هذه الفترة للقضاء على جيوب المقاومة القوطية، وتنظيم المناطق المفتوحة[٩]، وبعد انقضاء الشتاء توجه طارق بن زياد على رأس الجيوش إلى مدينة سرقسطة (Zaragoza)، أو المدينة البيضاء، الواقعة في شمال شرق الأندلس، على ضفاف نهر إبرو (Ebro) الذي يحاذي سورها من الشمال إلى الجنوب[١٠].وفتحها دون قتال، ثم

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٠.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٤-١٥.

(٣) حتاملة، الأندلس، ص٨٧؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٩٧.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦؛ حتاملة، الأندلس، ص٨٨.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٥؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٩٨-٩٩؛ حتاملة، الأندلس، ص٨٩.

(٦) ابن عبدالحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص٧٥.

(٧) المصدر نفسه،ص٨١.

(٨) ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، الإمامة والسياسة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠م، ج٢، ص٧٥-٧٦.

(٩) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٧٦.

(١٠) حتاملة، موسوعة، ج١، ص٥٠٣.

أوغل القائدان في البلاد دون مقاومة تذكر[١].

لقد افتتح طارق الذي كان في المقدمة، وموسى الذي كان يسير في أثر طارق «يوثق للناس ما عاهدوه عليه»[٢]، افتتحا عدداً من المدن في شمالي الأندلس، كما افتتحا المعاقل والحصون حولها، ومن أهم تلك المدن: برشلونة، ولاردة (Lerida)، وطركونة (Tarragona)، ووشقة (Huesca)[٣]. ثم توغل موسى في الشمال حتى وصل إلى جنوبي فرنسا[٤]. وأخذ يعد العدة لفتح بلاد جليقية (Galicia) الواقعة في شمالي الأندلس من جهة الغرب على ساحل المحيط الأطلسي، وتمتد من نهر دويره (Duero) جنوباً حتى الساحل الشمالي لشبه الجزيرة الأيبيرية، ومن الساحل الغربي على المحيط حتى قشتالة[٥]. وفي أثناء استعداد موسى لفتح هذه البلاد جاءه أمر الخليفة الوليد بن عبدالملك «بالخروج من الأندلس، والإضراب عن الوغول فيها»[٦].

وقد امتثل موسى لأمر الخليفة، غير أنه لم يعد مباشرة، وإنما تابع فتوحاته شمالاً لتأمين الحدود الشمالية لإقليم طليطلة، ثم قسم الجيش جيشين، تولى هو وطارق قيادتهما، وسلكا طريقين مختلفتين على أن يفتح كل منهما مايقابله من بلدان[٧].

وقد فتح القائدان معظم بلاد جليقية، وكادا يستكملان فتح شبه الجزيرة الأيبيرية كلها لولا أن الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك ألح على موسى بأن يسرع في العودة، حيث أرسل له رسولاً ثانيا وافاه بمدينة لك (Lugo) الواقعة على حدود الأندلس الشمالية الغربية على نهر منهو (Minho)[٨].

وبدأ موسى وطارق رحلة العودة في أواخر سنة ٩٥هـ / ٧١٤م[٩]، بعد أن استخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس، وأوكل إليه مهمة جهاد الأعداء، وافتتاح ما بقي من المدن[١٠].

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٢٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٥١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦؛ حتاملة، الأندلس، ص٩٠-٩١.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٣-٢٧٤؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص١٠٣؛ حتاملة الأندلس، ص٩١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٧٨؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٤.

(٥) حتاملة، موسوعة، ج٢، ص٤٠٢-٤٠٣.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٥؛ وانظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص١٩.

(٧) مؤنس، فجر الأندلس، ص١٠٤؛ حتاملة، الأندلس ص٩٣.

(٨) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٥١؛ حتاملة، موسوعة، ج٢، ص٩٥٢.

(٩) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٧.

(١٠) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥١.

وغادر موسى وطارق الأندلس في ذي الحجة من سنة ٩٥هـ / أيلول ٧١٤م عائدين إلى إفريقية، ومنها إلى دمشق حيث وصلها موسى وسلم للوليد بن عبدالملك «الأخماس والمغانم والتحف والذخائر»[١]. وبدأ بخروج موسى بن نصير من الأندلس وتوليته ابنه عبد العزيز عليها عهد الولاة.

ثانياً: عهد الولاة

كان عبد العزيز بن موسى بن نصير كما يصفه المقري «من خير الولاة»[٢]، وقد أقره الخليفة سليمان بن عبدالملك في ولاية الأندلس، وبدأ بذلك هذا العهد، عهد الولاة الذي استمر اثنتين وأربعين سنة (٩٥- ١٣٨هـ / ٧١٣-٧٥٥م).

وقد بدأ عبدالعزيز عهده في تنظيم أحوال الأندلس، وتطهير جيوب المقاومة القوطية فيها[٣]، وقد أشار بعض المصادر إلى أنه افتتح في ولايته مدائن كثيرة، من دون أن تذكر تلك المدائن[٤]. وهو الأمر الذي يشير إلى أن جهد عبدالعزيز في استكمال الفتح لم يكن كبيراً، وخاصة أن مدة ولايته كانت قصيرة (٩٥-٩٧هـ / ٧١٣-٧١٥م)، وكانت هناك مناطق في الشمال الغربي من شبه الجزيرة الأيبيرية لم يتمكن طارق وموسى من فتحها بسبب استدعائهما المبكر إلى دمشق[٥].

وقد تسبب زواج عبدالعزيز من امرأة قوطية في تأليب بعض المسلمين عليه، ومن ثم إنهاء حياته، وقد اختلفت المصادر في تلك المرأة، فعمم بعضها وقال إنها امرأة قوطية اسمها أيلة[٦] (Egilona) وكنيتها أم عاصم[٧]، وخصص بعضها الآخر فذكر أنها ابنة لذريق[٨] أو امراته[٩]. فقد أغرته تلك المرأة بلبس التاج[١٠]، وألحت عليه بأن يعامل المسلمين

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٨-١٩.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨١.

(٤) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥١.

(٥) السامرائي، تاريخ العرب، ص٤٧.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٠.

(٨) ابن عبدالحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص٨٤.

(٩) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٤٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٥٥.

(١٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣-٢٤؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٠.

http://al-maktabeh.com

مثلما كان يعامل لذريق أهل مملكته من حيث سجود الوافدين عليه بين يديه[1]. وقد اتهم بعض المسلمين عبدالعزيز بالتنصر، وثاروا عليه وقتلوه في رجب ٩٧هـ / ٧١٥م[2].

وأجمع المسلمون بعد مقتل عبدالعزيز على تولية أيوب بن حبيب اللخمي، وهو ابن أخت موسى بن نصير[3]، غير أنه لم يلبث والياً سوى بضعة أشهر؛ إذ عزله الخليفة سليمان بن عبدالملك، ولكن خلال مدة ولايته القصيرة أنجز بعض الأعمال الإدارية والعسكرية، فقد نقل عاصمة الولاية من اشبيلية إلى قرطبة، وحاول تطهير المناطق الشمالية من القوط، حيث اعتنى بهذه المناطق، وأنشأ بلدة حصينة إلى الشمال الشرقي من طليطلة أطلق عليها اسم: قلعة أيوب (Calatayud)[4].

ويذكر هنا أن المناطق الشمالية الغربية من أيبيريا ظلت العقبة الأساسية في سبيل استكمال فتح شبه الجزيرة بكاملها، وهي مناطق شديدة الوعورة اعتقد الفاتحون الأوائل أنها غير مهمة فأغفلوها، إلا أنها أصبحت موطناً لتجمع فلول القوط الذين تزعمهم شخص يدعى بلاي. وقد اعتصم بلاي في صخرة بلاي، على أعلى قمم جبال كنتبرية. وأطمأن به المقام في هذا المكان لبعده عن العرب، فأصبح يشكل تهديداً خطيراً للمسلمين في الأندلس[5].

هذا، وقد ولي على الأندلس بعد أيوب اللخمي: الحر بن عبد الرحمن الثقفي (٩٧-١٠٠هـ / ٧١٦-٧١٩م)، ولم تشر المصادر إلى أنه قام بعمل ذي بال خلال ولايته التي امتدت سنتين وثمانية أشهر[6].

واختار عمر بن عبدالعزيز، عندما تولى الخلافة إثر وفاة سليمان بن عبدالملك في صفر ٩٩هـ / أيلول ٧١٧م، اختار السمح بن مالك الخولاني لولاية الأندلس(رمضان ١٠٠- ذو الحجة ١٠٢هـ / آذار ٧١٩-٧٢١م) [7]. وقد قام السمح ببعض الأعمال الإنشائية المهمة

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١؛ ابن عبدالحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص٨٤.

(٢) ابن عبدالحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص٨٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٥٥.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٠٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥١-١٥٢.

(٥) السامرائي، تاريخ العرب، ص٤٥-٤٦.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٤٤؛ المقري، نفح الطيب، ج٣ ص١٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤،ص١٥١؛ الرقيق القيرواني، أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم (ت ٤٢٥هـ)، تاريخ إفريقية والمغرب، نشر رفيق السقطي، تونس، ص٩٧؛ المقري، نفح الطيب، ج٣ ،ص١٥؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٣.

منها بناء قنطرة على نهر الوادي الكبير، وبناء سور حول قرطبة[١]. كما قام ببعض الأعمال العسكرية في الشمال، حيث افتتح عدداً من المدن[٢]، لكنه استشهد في معركة عنيفة مع القوط قرب مدينة طولوشة (Toulouse) وقعت في يوم عرفة سنة ١٠٢هـ / ١٠ حزيران ٧٢١م[٣].

واحتاج المسلمون بعد معركة طولوشة إلى قائد ينظم انسحابهم، ويعيد تنظيم صفوفهم، فاجتمعوا على عبدالرحمن الغافقي الذي انسحب بالجيش، وأشرف على شؤون الأندلس إلى أن قدم واليها الجديد عنبسة بن سحيم الكلبي (صفر ١٠٣- شعبان ١٠٧هـ / آب ٧٢١- كانون الثاني ٧٢٦م)[٤].

وقد أدرك أهل الأندلس في عهد عنبسة خطر بلاي، فتوجه على رأس حملة لتأديبه، والقضاء على مقاومة القوط في الشمال، ولكن بلاي انسحب من مواقعه، وتحصن في مغارة كوفادونجا Govadonga، وتمكن من إحراز النصر على الحملة، وقتل كثيرين من أفرادها[٥]. ويشير بعض الباحثين إلى أن عنبسة لم يتوقف عن الجهاد، فقد توغل في المناطق الواقعة إلى الشمال من مدينة شالون (Chalon) ووصل حتى بلدة سانس Sens في فرنسا[٦]. ولم يتح لعنبسة الاستمرار في جهاده في الشمال، فقد اضطر للعودة إلى قرطبة عندما علم بحدوث اضطرابات فيها بسبب العصبية القبلية، غير أن بعض القوط كمنوا له واغتالوه قبل وصوله، وذلك في شعبان ١٠٧هـ / ٧٢٥م[٧].

وقد سير أمور الأندلس بعد عنبسة: عذرة بن عبدالله الفهري (شعبان – شوال ١٠٧هـ / كانون الثاني – آذار ٧٢٦م)[٨]، وكان أهل الأندلس قد طلبوا من والي إفريقية: بشر بن صفوان الكلبي إرسال والٍ إلى الأندلس بعد استشهاد واليهم عنبسة، فأرسل يحيى بن سلمة العاملي الكلبي (شوال ١٠٧-ربع الأول ١١٠هـ / آذار ٧٢٦ تموز ٧٢٨) وقد استمرت ولاية يحيى الكلبي سنتين وستة أشهر لا تذكر المصادر أنه قام خلالها بما يستحق الذكر[٩].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٦؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٤.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٥؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥٢.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٦.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٧؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٥٦.

(٥) السامرائي، تاريخ العرب، ص٤٨.

(٦) سالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة) مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ص١٣٨-١٣٩.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٧.

(٨) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٧.

(٩) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٨؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٧.

وكان عهد الولاة خلال هذه الفترة مضطرباً، فكان والي إفريقية يولى أحدهم على الأندلس، وقبل أن يستقر له الأمر كان يولي غيره، فبعد يحيى به سلمة ولي الأندلس حذيفة بن الأحوص الأشجعي القيسي، ثم عثمان بن أبي نسعة الخثعمي، ثم الهيثم بن عبيد الكناني (الكلابي)، ولم يقم أي من هؤلاء بقيادة الجيش الإسلامي أو توجيهه للجهاد ضد النصارى الذين كانو يتجمعون وينظمون صفوفهم في جليقية بقيادة بلاي، وبدلاً من ذلك بدأ الصراع يشتد بين المسلمين أنفسهم، بين القيسية واليمنية من جهة، وبين العرب والبربر من جهة أخرى، وخاصة في عهد الهيثم[١].

وقد توفي الهيثم بن عبيد الكناني سنة ١١١هـ / ٧٢٩م فقدم الناس في الأندلس على أنفسهم: محمد بن عبدالله الأشجعي[٢]، وعندما انتهت أخبار وفاة الهيثم وتعيين الأشجعى إلى والي إفريقية: عبيدة بن عبدالرحمن السلمي القيسي لم يعجبه اختيار الأشجعي، وأرسل بدلاً منه عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي (صفر ١١٢- رمضان ١١٤هـ / نيسان ٧٣٠-٧٣٢م)[٣].

وكان عبدالرحمن الغافقي من أعظم قواد المسلمين في الأندلس، وقد أمضى مدة من ولايته في النظر في مظالم الناس، ورفع هذه المظالم عنهم، ثم تفرغ للجهاد؛ إذ يذكر المقري أنه «غزا الإفرنجة، وكانت له فيهم وقائع»[٤]. وأكد ابن عبدالحكم أنه غزا إفرنجة «وهم أقاصي عدو الأندلس فغنم غنائم كثيرة ...»[٥].

وكان عبدالرحمن الغافقي قد خطط لفتح بلاد غالة (جنوبي فرنسا)، بعد تصفية ثورة للبربر حركها منوسة أحد زعمائهم، وكان منوسة قد دخل مع جيش طارق الذي كان معظم جيشه من البربر[٦] واستقر بعد فتح الأندلس في منطقة شرطانية (Cerretania) الواقعة في الشمال[٧]، وقد وثق منوسة علاقته مع النصارى، وتحالف معهم ضد المسلمين[٨]، ولذلك وجه الغافقي حملة للقضاء على ثورته، ولما اقتربت الحملة منه هرب واعتصم بالجبال، ثم انتحر ملقياً بنفسه من فوق صخرة شاهقة، أو ربما سقط عنها فلقي حتفه، أثناء مطاردة المسلمين له[٩].

(١) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٧-٢٨؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٩؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥٢.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٨.

(٣) ابن عبدالحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص٩٤.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٦.

(٥) ابن عبدالحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص٩٢-٥٣.

(٦) مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٥٠؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص١٩٢-١٩٣.

(٧) المجالي، تطور الجيش العربي في الأندلس، ص٥١.

(٨) حتاملة، الأندلس، ص١٢٢.

(٩) المرجع نفسه، ص١٢٢.

وتوجه الغافقي على رأس جيشه – بعد مقتل منوسة – لفتح غالة، وقد حقق العديد من الانتصارات، ووصل إلى مشارف مدينة تور Tours الواقعة على نهر اللوار في وسط غرب فرنسا، وكان ينوي فتح هذه المدينة [١]، وكانت مدينة تور من أهم مدن دوقية أكيتانيا. وقد عجز دوقها: أودو عن مقاومة زحف الغافقي، واستنجد بشارل مارتل (Charles Martel)، وكان حاجب ملك الفرنجة، فأسرع إلى نجدته بعد أن جهز جيشاً ضخماً ضم أعداداً كبيرة من العناصر البربرية المتوحشة وزودهم بأسلحة متفوقة [٢].

وكان الغافقي قد دخل مدينة بواتيه (Poitiers) الفرنسية، ثم واصل الزحف شمالاً نحو مدينة تور، والتقى مع جيش شارل مارتل على بعد نحو عشرين كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من بواتيه حيث وقعت معركة بلاط الشهداء، وذلك في أواخر شعبان من سنة ١١٤هـ/ منتصف تشرين الأول ٧٣٢م، وقد لحقت الهزيمة بالمسلمين في هذه المعركة الفاصلة، واستشهد فيها عبدالرحمن الغافقي[٣]. وكانت نتيجة معركة بلاط الشهداء وخيمة على المسلمين، فقد وضعت حداً للتوسع الإسلامي شمالاً في أوروبا، وقضت على أمل المسلمين في الوصول إلى القسطنطينية من جهة الغرب[٤].

وولي الأندلس بعد الغافقي: عبدالملك بن قطن الفهري (شوال ١١٤-شوال ١١٦هـ/ تشرين الأول ٧٣٢-تشرين الثاني ٧٣٤م)[٥]، وقد أدرك الفهري الآثار السيئة التي خلفتها معركة بلاط الشهداء على معنويات المسلمين، فأعاد تنظيم صفوفهم، وعمل على استعادة زخم الجهاد في نفوسهم، حيث قاد الجيش الإسلامي إلى الشمال، وعبر جبال البرت، وعمل على تحصين المدن والمواقع الإسلامية هناك[٦]. وعلى الرغم من الانتصارات التي حققها عبدالملك بن قطن إلا أن والي إفريقية عزله عن ولاية الأندلس، ذلك أنه، أي عبدالملك، كان كما تذكر بعض المصادر «ظلوماً جائراً في حكومته»[٧].

وولي على الأندلس بعد عبدالملك بن قطن: عقبة بن الحجاج السلولي في شوال ١١٦هـ/

---

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٢٦؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص١٤٢.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٦٧؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص١٤٢- ١٤٣.

(٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٧٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص١٤٤- ١٤٥.

(٤) حتاملة، الأندلس، ص١٢٦.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٨؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٦.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٦، وج٣، ص١٩؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٧٦؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص١٤٦.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٦؛ حتاملة، الأندلس، ص١٢٧-١٢٩.

٧٣٤م، وكان محمود السيرة، محباً للجهاد، مظفراً[١]. وقد توجه على رأس الجيش الإسلامي إلى الشمال، وافتتح عدداً من المدن والبلدات[٢]، وصال وجال في مقاطعات جنوبي فرنسا: سبتمانيا، والبروفانس مما أثار فزع شارل مارتل، فحشد جيشاً جراراً، وخرج لقتال المسلمين[٣]. وقد تمكن جيش شارل مارتل، وجيوش النصارى التي هبت لنجدته، من احتلال بعض المدن في الشمال، ثم حاصر جيش شارل مارتل مدينة أربونة الواقعة في أقصى جنوب شرق فرنسا[٤] إلا أنه ارتد عنها بعد أن خامره الذعر والخوف من مدد المسلمين[٥].

وبينما كان عقبة ينشر الدين الإسلامي في الأندلس بالحكمة والموعظة الحسنة، حيث كان «إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه دين الإسلام، ويقبح له عبادة الأصنام»[٦]، مما أدى إلى دخول عدد كبير من النصارى في دين الإسلام[٧]، بينما كان يفعل ذلك ثار بربر إفريقية على واليهم عبدالله بن الحبحاب، فثار البربر في الأندلس على واليهم أيضاً، وخلعوه[٨]، وكان قائدهم في هذه الثورة عبدالملك بن قطن الفهري الذي نصب نفسه والياً على الأندلس، وذلك في صفر ١٢٣هـ / كانون الثاني ٧٣١م[٩]، ويذكر ابن القوطية أن الأندلس دانت له[١٠].

وأصبحت الفتن والاضطرابات ما بين بربر ويمن وقيس هي الطابع السائد في الأندلس وإفريقية، وكان عبدالملك بن قطن الذي اشتعلت على يديه هذه الفتن يتزعم اليمنية، وكذلك كان عبدالرحمن بن علقمة اللخمي قائد المسلمين في غالة يمنياً متعصباً، وقد زج نفسه في أتون الفتنة في الأندلس، وأصبح جزءاً منها، بدل أن يستغل وفاة شارل مارتل سنة ١٢٣هـ / ٧٤١م، ويطرد النصارى من الشمال[١١].

وقد بادر الخليفة هشام بن عبدالملك – عندما علم بهذه الفتنة التي أشعلها البربر – بادر إلى عزل الوالي عبيد الله بن الحبحاب وولى بدلاً منه كلثوم بن عياض القشيري، وأمره بقتال

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٦.
(٢) حتاملة، الأندلس، ص١٣٠.
(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٤.
(٤) حتاملة، موسوعة، ص١٨.
(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٤.
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩.
(٧) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩.
(٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٠.
(٩) مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٨-٢٩.
(١٠) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٠.
(١١) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣١؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٨٦.

http://al-maktabeh.com

البربر[1]. وقد قاتلهم لكنهم تغلبوا عليه وقتلوه سنة ١٢٤هـ/ ٧٤٢م[2]، وكان ابن أخيه بلج بن بشر القشيري قائد جيش كلثوم بن عياض يصارع البربر في سبتة، وقد ضيقوا عليه، وحاصروه، وكان الخليفة هشام بن عبد الملك قد ولاه إفريقية بعد مقتل عمه كلثوم بن عياض[3]، ولكن الخليفة عندما أدرك أن بلجاً ليس بإمكانه إدارة إفريقية بعد أن تكاثر عليه البربر وجه إليها والياً جديداً وهو حنظلة بن صفوان الكلبي وذلك في صفر ١٢٤هـ/ ٧٤٢م[4]، وكان بلج القشيري مازال محصوراً في سبتة، وقد ألح على والي الأندلس عبدالملك بن قطن أن يغيثه، فيرسل سفناً تنقله وصحبه إلى الأندلس، فرفض عبدالملك بإصرار[5]، لكنه اضطر عندما اضطرمت الأندلس بنيران الفتنة التي أشعلها البربر في كل الأرجاء إلى الموافقة على إدخال بلج ومن معه[6]، وكانت موافقته مشروطة بأن يمكث في الأندلس سنة واحدة ثم يخرج منها، وهو شرط وافق عليه بلج[7].

دخل بلج الأندلس ومعه نحو عشرة آلاف من عرب الشام عرفوا في المصادر الإسلامية بـ (طالعة بلج)[8]، وقد تمكن هؤلاء الذين عضدوا عبدالملك بن قطن من سحق ثورة البربر في الأندلس[9]، وعندئذ طلب عبدالملك من بلج أن يغادر الأندلس كما اشترط عليه في البداية فرفض متعللاً بأسباب منها أنه لا يملك سفناً يعود بها، وأنه على استعداد للمغادرة إذا تم تأمين السفن لنقلهم مجتمعين، وكان تأمينها مستحيلاً على ابن قطن[10]. ثم وثب الشاميون على ابن قطن، وأخرجوه من القصر، وأدخلوا بلجاً مكانه، وبايعوا له[11].

وقد بدأ بلج بن بشر القشيري (ذو القعدة ١٢٣ – شوال ١٢٤هـ/ ٧٤١-٧٤٢م) ولايته بقتل

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٠.

(٢) ابن عبدالحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص٩٩؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٣-٣٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٠.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٠؛ ابن عبدالحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص١٠٢؛ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص١١٥.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٢؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٧-٣٨.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٠.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٠؛ ابن عبدالحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص١٠٠؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٨.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣١.

(٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٣١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٠؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢١.

(١٠) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٠.

(١١) مجهول، أخبار مجموعة، ص٤١؛ حتاملة، الأندلس، ص١٤٣.

عبدالملك بن قطن[1] الذي هرب ابناه: أمية وقطن، وأخذا يحشدان المسلمين في الأندلس للأخذ بثأر أبيهما، فلبى نداءهما العرب الذين كانوا قد دخلوا الأندلس مع طارق بن زياد وموسى بن نصير، كما لبى نداءهما البربر، وممن لبوا النداء اثنان من كبار القادة هما: عبدالرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، وعبدالرحمن بن علقمة اللخمي[2].

والجدير بالذكر أن المسلمين الذين دخلوا الأندلس مع طارق وموسى ومن جاء بعدهما قد عرفوا بالبلديين، وكان معظمهم يمنية، وقد اعتبروا أنفسهم أهل البلاد، بينما عرف الذين دخلوها مع بلج القشيري بالشاميين، وقد اعتبرهم البلديون طارئين على الأندلس، وليس لهم حق فيها، ولذلك كان من الطبيعي أن يقتتل الفريقان لأتفه الأسباب، فالنفوس محتقنة، والبلديون متحفزون للانقضاض على الشاميين، وقد وجدوا في قتل عبدالملك بن قطن ما يبرر انقضاضهم على الشاميين[3].

وقد حشد البلديون والبربر جيشاً كبيراً بلغ في بعض الروايات مائة ألف[4]،أما الشاميون (طالعة بلج)، فكانوا بين عشرة آلاف واثني عشر ألفاً باختلاف الروايات[5] والتقى الطرفان في معركة كبيرة قرب قرطبة، وعلى الرغم من قلة عدد الشاميين إلا أنهم انتصروا في هذه المعركة مع أن قائدهم بلج جرح في المعركة، ومالبث أن توفي في شوال سنة ١٢٤هـ / آب ٧٤٢م[6].

وولي الأندلس بعد بشر: ثعلبة بن سلامة العاملي (شوال ١٢٤- رجب ١٢٥هـ / آب ٧٤٢- أيار ٧٤٣م)[7]، فاستأنف قتال البربر الذين أعادوا تنظيم صفوفهم، وأخذوا يستعدون لطلب الثأر[8] بمساعدة البلديين، فخرج ثعلبة لقتالهم حول مدينة ماردة الواقعة

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٢؛ ابن عبدالحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص١٠٠.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢١؛ ابن عبدالحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص١٠٠؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٢.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٢.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٢؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٢؛ ابن عبدالحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص١٠٠.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٢؛ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٢؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢١-٢٢.

(٦) مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٣، المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٢؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٢-٤٣؛ ابن عبدالحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص١٠٠-١٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥٤.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٢-٣٣؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٢.

(٨) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٢.

مابين الغرب والشمال من مدينة قرطبة[1]، وقاتلهم قتالاً شديداً[2]، إلا أنهم تمكنوا من حصره في ماردة[3]، وكادوا يطبقون عليه، فطلب المدد من قرطبة، ثم استغل التهاءهم بالاحتفال بالعيد (عيد الفطر أو الأضحى)[4]، وانقض عليهم، وفرق شملهم بعد أن أسر منهم الآلاف، وكسر شوكتهم[5].

وضج أهل الأندلس لكثرة القتل في المسلمين على يد إخوانهم، فوفد بعضهم على والي إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي يطلبون تعيين وال جديد غير ثعلبة، فعين أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي والياً على الأندلس (رجب ١٢٥- رجب ١٢٧هـ / ٧٤٣-٧٤٥م)[6] وكان أبو الخطار «رجلاً من خيار أهل الشام من أهل دمشق»[7] وقد توجه معه إلى الأندلس ثلاثون رجلاً «وهي الطالعة الثانية من الشاميين»[8].

وقد عمل أبو الخطار على إصلاح ذات البين في الاندلس،حيث اطلق سراح من أسرهم ثعلبة[9]، وأعطى الأمان لابني عبدالملك بن قطن: أمية وقطن[10]. ولكن لم يمض وقت طويل حتى طالب البلديون بترحيل الشاميين من الأندلس، فوعد باتخاذ إجراءات ترحيلهم[11].

وقد تمثلت تلك الإجراءات التي اتخذها أبو الخطار فعلاً في ترحيل الوالي السابق ثعلبة بن سلامة العاملي إلى إفريقية[12]، وتوزيع الشاميين على أقاليم الأندلس، فقد أمرهم بالتفرق عن قرطبة، وعين لكل جماعة منهم ماينا سبهم من المناطق (الكور) من حيث شبهها بالمناطق الشامية التي جاءوا منها «فأنزل أهل دمشق بإلبيرة، وأهل الأردن برية،

---

(١) حتاملة، موسوعة، ج٢، ص٩٨٧.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٤.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٢.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٤؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٢٢.

(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٥٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٣.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٥-٤٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٦٠.

(٧) مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٦.

(٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٤.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٦٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٦٤.

(١٠) مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٦.

(١١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٦٠؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٤-٤٥.

(١٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٥.

وأهل فلسطين بشذونة، وأهل حمص بإشبيلية، وأهل قنسرين بجيان، وأهل مصر بباجة وبعضهم بتدمير. وكان إنزالهم على أموال العجم من أرض ونعم»[١].

ولم يلبث أبو الخطار أن تعصب لليمانية واعتزل القيسية[٢]، وكان سبب ذلك أنه اختصم عنده رجل من قومه مع خصم له من بني كنانة، فمال أبو الخطار مع ابن عمه، فالتجأ الكناني إلى الصميل بن حاتم الذي كان قد قدم إلى الأندلس مع أهل الشام، والصميل يعد أحد سادات مضر، وقد عاتب أبا الخطار، ووقعت مشادة بينهما انتهت بإهانة الصميل، فتألب قومه ضد أبي الخطار، وبذلك تجددت الفتنة في الأندلس، وكانت هذه المرة بين قيس ويمن[٣].

لقد تكاتف مع الصميل بن حاتم كل من أبي بكر ابن الطفيل العبدي، وثوابة بن سلامة الجذامي، وشنوا الحرب على أبي الخطار، وتمكن ثوابة من أسره في رجب ١٢٧هـ / نيسان ٧٤٥م[٤].

ولي ثوابة بن سلامة الجذامي الأندلس (رجب ١٢٧-محرم ١٢٩هـ/نيسان ٧٤٥ - تشرين الأول ٧٤٦م) وهي في اضطراب شديد، فقد تمكن مؤيدو أبي الخطار من إطلاق سراحه ونقله إلى غربي الأندلس[٥]، وهناك حشد اليمانية وأقبل بهم على قرطبة[٦]، غير أن الصميل بن حاتم تمكن من نزع فتيل غضبهم، فتفرقوا من حول أبي الخطار[٧]، واستمر ثوابة في ولايته، ولكن كان حاكماً اسمياً بينما كان الحاكم الفعلي هو الصميل بن حاتم، وقد استمر الوضع على هذه الحال إلى أن توفي ثوابة[٨].

واتفق أهل الأندلس على ان يتولى أمرهم بعد ثوابة: عبدالرحمن بن كثير اللخمي[٩]، وبعد نحو أربعة أشهر، وذلك سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، اجتمعت قيس ويمن على يوسف بن

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٤؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٦؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٥؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٤.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦١؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٤.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٤.

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٥؛ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص١٢٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٧.

(٨) مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٧.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٦١.

عبدالرحمن الفهري الذي ولي الأندلس خلال الفترة (١٢٩-١٣٨هـ / ٧٤٧-٧٥٥م)[١]، واستقامت الأمور في الأندلس، وأسلمت قيادتها ليوسف الفهري، إلا أن ذلك لم يطل، فقد غدر يوسف بيحيى بن حريث الذي كان قد منحه كورة رية طعمة له، ليسكته عن أهل الشام الذين كان يكرههم كراهية شديدة، فقد عزله عن كورة رية، مما جعله يغضب غضباً شديداً، ويتحالف مع أبي الخطار الكلبي ضده[٢].

وهكذا عادت الأندلس إلى الانقسام بين مؤيد لابن حريث وأبي الخطار وهم اليمنية، ومؤيد ليوسف الفهري والصميل بن حاتم، وهم القيسية[٣]. واستعد الفريقان للقتال، ووقعت بينهما معركة فاصلة في شقندة (Secunda)، وهي قرية تقع على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير مقابل قصر قرطبة[٤]، حيث صمم كل من الفريقين على إفناء الفريق الآخر[٥]، وانتصر في هذه المعركة يوسف الفهري والصميل بن حاتم، وقد قتل فيها من اليمانية أعداد هائلة، وأسر منهم خلق كثير[٦]. وكان أبو الخطار وابن حريث ممن قتلوا في هذه المعركة[٧].

وشهدت الأندلس في أعقاب مقتل أبي الخطار وابن حريث سنين قحط، فقد أصابها الجوع والقحط خلال السنوات ١٣١ - ١٣٦هـ / ٧٤٨-٧٥٣م، وخاصة في السنوات الثلاث الأخيرة، ما دفع أكثر الناس للهجرة إلى المغرب[٨]. وعلى الرغم من الجوع والقحط لم تهدأ الأندلس سياسياً، وكان الاستئثار بحكمها هو سيد الموقف حتى وإن كان ثمن ذلك هو التضحية بالأصدقاء، فقد بدأ يوسف الفهري التخطيط للتخلص من الصميل بن حاتم وسيطرته، وكان الصميل قد تولى سرقسطة سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م حيث أقطعه إياها يوسف الفهري إبعاداً له خوفاً من أن يغتصب ولاية الأندلس [٩].

ولم يعمل يوسف الفهري على إبعاد الصميل وحسب، وإنما حاول التخلص من كل زعيم متنفذ بين المسلمين في الأندلس، مثل شخص يدعى عامر من ولد أبي عدي أخي مصعب بن

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٥-٣٦؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٨-٥٩.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٥-٣٦؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٨-٥٩.

(٤) حتاملة، موسوعة، ج١، ص٥٤٩.

(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٩؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٥-٢٦.

(٦) مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٠.

(٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٦.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦١؛ حتاملة، الأندلس، ص١٥٨-١٥٩.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٧؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥٤؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٢.

http://al-maktabeh.com

هاشم صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأحد، وهو يمني ساءه ما فعل يوسف باليمنيين[١]. فقد حاول يوسف أن يقضي على عامر الذي بدأ يتحرك لانتزاع الولاية منه[٢]، كما حاول القضاء على الحباب بن رواحة الزهري الذي دعم عامراً في تحركه ضد القيسية بزعامة يوسف والصميل بن حاتم[٣]. وكان عامر عندما شعر بأن خطر يوسف يتهدده قد فكر في اللجوء إلى سرقسطة حيث يكثر قومه اليمنيون، ولكن الصميل تصدى له، وأوقع بقواته الهزيمة، إلا أنه لم يقض على قوته[٤]، ولذلك تمكن عامر بدعم الحباب من إعداد العدة لمهاجمة الصميل مرة أخرى، فطلب الصميل مدداً من يوسف الفهري الذي تثاقل عن نجدته، مما اضطر الصميل إلى الاستغاثة بالقيسية في جند قنسرين ودمشق الذين هبوا لنجدته[٥]. وكان مع القيسية مولى عبدالرحمن بن معاوية (بدر) الذي أرسله إلى الأندلس لاستطلاع أحوالها قبل أن يدخلها بنفسه[٦].

وقد انسحب عامر والزهري من أطراف سرقسطة عندما توالت الإمدادات القيسية على الصميل، وما إن انجلت غمته حتى عاد إلى قرطبة، وفي طريق عودته أبلغه الأمويون بأمر عبدالرحمن بن معاوية، وطلبوا نصرته، فوعد بذلك إلا أنه نكث وعده بعد وصوله، حيث خشي على سلطانه، فقد كان هو الوالي الحقيقي للأندلس، بينما كان يوسف الفهري والياً بالاسم، وحسب[٧].

وتتلخص الأوضاع في الأندلس خلال السنوات الأخيرة من ولاية يوسف الفهري بأن اليمنيين قد وغرت صدورهم ضد القيسيين، وكانوا يتحفزون لإدراك ثأرهم منهم، وقد وجدوا الفرصة للثأر في ظهور الأمير الأموي عبدالرحمن بن معاوية، ومن جهة أخرى توالت الثورات ضد يوسف، فقد ثار عليه عبدالرحمن بن علقمة اللخمي بأربونة[٨]، وعروة بن الوليد في مدينة باجة؛ وتميم بن معبد في سرقسطة وانضم إلى تميم: عامر بن عمرو بن وهب بسرقسطة أيضاً، هذا إضافة إلى الصميل بن حاتم الذي كان يوسف يضمر له

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٣.

(٢) انظر التفاصيل: حتاملة، الأندلس، ص١٦٠-١٦٣.

(٣) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥٤؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٦؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٤.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٧؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٤.

(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٤-٦٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٢؛ حتاملة، الأندلس، ص١٦٢.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٣.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥٤؛ حتاملة، الأندلس، ص١٦٤.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٨؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٦.

العداء، ويحاول دائماً إبعاده عن قرطبة، فبعد عودته إليها من سرقسطة أبعده مجدداً الى طليطلة[١].

وبينما كانت قوى المسلمين تتصارع في الأندلس، ويفني بعضها بعضاً كان النصارى في الشمال يرسخون أقدامهم، ويؤسسون مملكة قوية بقيادة بلاي الذي اتخذ من ركن بعيد في جليقية تسميه المصادر العربية (صخرة بلاي) مقراً له، وانطلق منه فضم المناطق المجاورة، ونجح في تأسيس مملكة صغيرة هي مملكة أشتريس التي كانت إيذاناً بولادة الإمارات النصرانية في شمالي الأندلس [٢].

لقد أخذ بلاي يوسع مملكته على حساب المناطق الشمالية من الأندلس، وحقق العديد من الانتصارات، وبعد وفاته سنة ١٣٣هـ / ٧٥١م خلفه ابنه فافيلا Fafila الذي توفي بعد سنتين من توليه السلطة، فتولاها ألفونسو الأول ابن بيدرو، دوق كنتبرية الذي وسع حدود المملكة، وقوى شوكتها، حيث استغل اقتتال المسلمين في عهد يوسف الفهري، وانشغاله بالأحداث الداخلية، وملك العديد من مدن الشمال [٣].

ولعل أهم حدث وقع في أواخر ولاية يوسف الفهري هو وصول عبدالرحمن بن معاوية إلى المغرب فاراً من وجه العباسيين، وبدؤه الاستعداد لدخول الأندلس، وهو ما شكل خطراً داهماً أخذ الفهري يحسب له، ويستعد لمجابهته [٤].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٨؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٦، ٣٠؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥٤؛ حتاملة، الأندلس، ص١٦٥-١٦٦.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص٦١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٣٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص١٦٩؛ حتاملة، الأندلس، ص١٦٦-١٦٧.

من أجل الاستزادة عن عهد الولاة في الأندلس انظر المراجع التالية:

- *LAFUENTE (MODESTO)*, Historia General de Espana . Madrid, 1850, vol. III.
- *Lafuente Alcantara*,Miguel: Historia de Granada.Comprendiendo la de sus cuatro provincias, Almeria, Jaén.Granada Y Málage, desde remotes tiempos hasta nuestros dias. Granada.1843.
- *HEEC. = F.J. PEREZ* DE URBEL, Historia de Espana,vol . VI. Espana Cristiana, ed. R. Menendez Pidal, Madrid.1956.
- *HEEM. = E. LEVI-PROVENCAL*, Historia de Espana. vol. IV. Espana Musulmana and vol. V. Espana Musulmana Institutuciones y vida social y intellectual, tr. E. Garcia Gomez, Madrid,157.
- *HEM. = A. GONZALEZ* PALENCIA, Historia de la Espana Musulmana (col. Labor), Barcelona.1932.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٠؛ حتاملة، الأندلس، ص١٦٨-١٦٩.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٦؛ حتاملة، الأندلس، ص١٦٩.

ثالثاً: عهد الإمارة الأموية

قتل العباسيون آخر الخلفاء الأمويين : مروان بن محمد بن مروان بن الحكم سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م[١]، وتتبعوا بني أمية حتى لا تقوم لهم قائمة، ولم يبق منهم إلا من اختفى أو هرب، وكان عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان قد اختفى في إحدى القرى على نهر الفرات[٢]، غير أن مقامه لم يطل في تلك القرية؛ إذ خرج منها عندما وصلها العباسيون الذي علموا بوجوده، وأخذوا يطاردونه، وكان معه أخ له في الثالثة عشرة من عمره، وعندما لحقت بهما خيل العباسيين قفزا إلى النهر، وقد تمكن عبدالرحمن من عبوره بينما فشل أخوه، فقبضوا عليه وقتلوه[٣].

وكمن عبدالرحمن بن معاوية في غابة كثيفة إلى أن فقد العباسيون الأمل في العثور عليه وعادوا أدراجهم، وعندئذ سار متخفياً إلى فلسطين حيث لحق به مولاه بدر[٤]، وانطلقا منها إلى المغرب، وكان فيها أخواله؛ إذ كانت أمه من قبيلة نفزة، إحدى قبائل البربر[٥]. واستخفى بين قبائل البربر في شمالي إفريقية، وظل يتنقل بينها نحو خمس سنين، ومن هناك بدأ «بمداخلة الأمويين في الأندلس»[٦]، فقد أرسل إليها مولاه بدراً ليعلمهم بقدومه، ويدعوهم إلى نفسه[٧]. وقد أمضى بدر في الأندلس نحو سنتين عاد بعدهما ليبشر عبدالرحمن بأن كثيرين من رجال الأندلس اجتمعوا عليه، ورضوا به[٨].

وشجعت بشرى بدر عبدالرحمن بن معاوية على الانتقال إلى الأندلس، فعبر مضيق جبل طارق في ربيع الآخر ١٣٨هـ / ٧٥٥م، وحل بالمنكب (Almunecar) الواقعة على بعد أربعين ميلاً إلى الجنوب من غرناطة[٩]، حيث استقبله بعض الأمويين، ونقلوه إلى قرية طرش (Torrox) على الساحل الشرقي للأندلس، وفيها استقبل مؤيديه من الأمويين واليمنيين

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٣٦٢؛ ابن خلدون،تاريخ، ج٤،ص١٥٤ ؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس،ص٤٦ ؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس،ص٥٥.

(٢) المقري، نفح الطيب،ج٣،ص٢٧ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤،ص٣٦٢.

(٣) المقري، نفح الطيب،ج٣،ص٢٧، ٢٨؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٥٠-٥٢،٥٤ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج٤، ص٣٦٢.

(٤) المقري، نفح الطيب،ج٣، ص٢٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب،ج٢،ص٤١ ؛ مجهول، أخبار مجموعة،ص٥٤.

(٥) مجهول، أخبار مجموعة،ص٥٤-٥٥.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢ ،ص ٤٠ ؛ المقري، نفح الطيب، ج١ ،ص٣٢٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦٢.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤ ،ص٣٦٢.

(٨) مجهول، أخبار مجموعة،ص٧٥ ؛ ابن خلدون،تاريخ، ج٤ ،ص١٥٥.

(٩) حتاملة، موسوعة، ج٢،ص١٠٦٤.

الحانقين على الصميل بن حاتم ويوسف الفهري[1]. وأخذ عبدالرحمن بن معاوية يتنقل بين مدن الأندلس وكورها ويتلقى بيعة عمالها[2].

وعندما رأى يوسف الفهري إقبال الناس على عبدالرحمن ومبايعتهم له حاول أن يثنيهم دون جدوى، وحاول أن يأخذ عبدالرحمن بالمكر والحيلة تارة، وبالإغراء تارة أخرى دون جدوى أيضاً[3]، ولما أدرك يوسف مدى إصراره على إزاحته من طريقه أخذ يستعد للحرب، وكذلك فعل عبدالرحمن؛ إذ تمكن من حشد آلاف الفرسان[4] وتقابل الطرفان على ضفتي نهر الوادي الكبير في ذي الحجة ١٣٨هـ / ٧٥٥م[5] «فتناوشا والنهر بينهما، فكان ماء النهر كثيراً لاسبيل إليه، ثم زاد حتى امتنعا، فأقاما عليه انتظاراً لنقصانه»[6].

وعندما طال انتظار عبدالرحمن بن معاوية نقصان النهر خطر له أن ينسحب ويحتل العاصمة قرطبة مستغلاً خلوها وبعد الفهري عنها، وقد رسم خطة ذلك، وبدأ التنفيذ، غير أن الفهري أعلم بذلك فسار بجيشه أيضاً إلى قرطبة، وحلا بصحراء المصارة متقابلين[7].

وقد عرض يوسف الفهري الصلح على عبدالرحمن،فأوهمه بقبوله وبيت الحرب[8]. وفي صباح يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة ١٣٨هـ / ٧٥٥م اشتبك الطرفان، واستعرت الحرب والقتال، وانتصر عبدالرحمن بينما هرب يوسف الفهري، واعتصم بمدينة غرناطة[9]. وقد دخل عبدالرحمن في اليوم نفسه القصر في قرطبة، وتمت له البيعة يوم الأضحى من سنة ١٣٨هـ / ٧٥٥م[10].

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج٣،ص٣١-٣٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب،ج٢، ص٤٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦٢؛ حتاملة، الأندلس، ص١٧٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٤-٤٥؛ المقري، نفح الطيب،ج١، ص٣٢٨؛ مجهول، اخبار مجموعة،ص٧٩؛ حتاملة، الأندلس، ص١٧٦-١٧٨.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٢-٨٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب،ج٢،ص٤٦.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٤٦؛ مجهول،أخبار مجموعة، ص٨٥-٨٦.

(٦) مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٦.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج٣،ص٣٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٦؛ ابن عذاري،البيان المغرب، ج٢،ص٤٧.

(٨) مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٧-٨٨؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٧.

(٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤،ص٣٦٢-٣٦٣؛ مجهول،أخبار مجموعة، ص ٨٩؛ المقري، نفح الطيب،ج١، ص٣٢٩.

(١٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٤٧؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٥٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥٥.

وقام الأمير الأموي عبدالرحمن بن معاوية، الذي لقب بـ (الداخل) أو بـ(صقر قريش)، قام بعد توليه الإمارة بالترتيبات الإدارية اللازمة، مثل تعيين الوزراء والحجاب والقضاة[١]، ومن ثم أخذ يعد العدة للقضاء على يوسف الفهري والصميل بن حاتم[٢]، وخرج في طلبهما سنة ١٣٩هـ / ٧٥٦م[٣].

وكان يوسف الفهري قد خرج بعد معركة المصارة إلى طليطلة، وكذلك وصل طليطلة الصميل بن حاتم وحشدا أعوانهما، ثم سارا إلى غرناطة حيث اعتصما بها،وخرج عبدالرحمن الداخل في طلبهما فخالفه يوسف إلى قرطبة «فأخذ جميع أهله وماله ولحق بمدينة إلبيرة»[٤]. وتذكر بعض الروايات أن يوسف لم يخرج من قرطبة، وإنما دخل قصره، وظل فيه إلى أن عقد الصلح بينه وبين عبدالرحمن الداخل في صفر ١٣٩هـ / ٧٥٦م، كما ضم هذا الصلح الصميل بن حاتم . وكان من شروط الصلح أن «يختلف (يوسف) كل يوم إلى ابن معاوية ويريه وجهه»[٥].

وساد الوئام قرطبة، واستقرت أمورها بعد الصلح، و«استوسق الأمر للأمير عبدالرحمن، وأمر بلعن المسودة (العباسيين) وقطع الدعاء لأبي جعفر المنصور. ودخل يوسف الفهري في عسكر الأمير كأحد رجاله فأنزله على ماله، وأطلق عياله»[٦] وأقام يوسف والصميل على أحسن حال «يختلفان إلى ابن معاوية، ويحضرهما الرأي مرة بعد مرة»[٧].

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٢؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٣-٥٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب،ج٢، ص٤٨.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٤٨

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦٣.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٤؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص ٩٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٨.من أجل الاستزادة عن عهد الامارة والخلافة الاموية في الأندلس انظر المراجع التالية:

- *ROMY (L.G.R.G.O.)*, Histoire d' Espagne, Paris,1849.
- *PEREZ DE URBEL* (F.J.), Historia de España, vol. VI, España Cristiana,ed. R. Menendez Pidal, Madrid ,1956.
- *LEVI-PROVENÇAL* (E.), Historie de l'Espagne musulmane,Paris,1950-1953,3vols,Esp. Tr.E.Garcia Gomez, Historia de España, vols. IV, V,España Musulmana, Madrid,1957. See abbr. HEEM.
- TORRES BALBAS (L.), Arte Califal in Historia de España, ed. R. Menendez Pidal, vol. V, España Musulmana, Madrid, 1957.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٤٨.

(٧) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٩٤.

http://al-maktabeh.com

ودخل الأندلس عدد من رجال المشرق ومن بني أمية في سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م، وأنزلهم الأمير عبدالرحمن الداخل بقرطبة،وأحسن جوائزهم[١]. ومن هؤلاء: عبدالملك بن عمر بن مروان، وجزي بن عبدالعزيز بن مروان وأولادهما وبناتهما[٢]، وكانت في قرطبة قبل عهد عبدالرحمن الداخل بيوتات من موالي بني هاشم وبني فهر وقبائل قريش وغيرهم، وكان هؤلاء قد نالوا حظوة عند يوسف الفهري أثناء ولايته، فانقطع ذلك عنهم في عهد الداخل، ولذلك أخذوا يوقعون بين يوسف والصميل من جهة وبين الداخل من جهة أخرى[٣]. وفي الوقت نفسه كان الداخل يسلط على يوسف من يهينه وينازعه في أملاكه[٤]. وقد أدّى ذلك كله إلى إيغار صدر يوسف حقداً وغلاً على الداخل، وفر من قرطبة إلى ماردة، وحشد أعوانه ومؤيديه من العرب والبربر، وتوافر له جيش بلغ عشرين ألفاً[٥].

وخرج الداخل في طلب يوسف الفهري، وقدم لحربه عبدالملك بن عمر بن مروان (المرواني) الذي كان الداخل قد ولاه اشبيلية،والتقى المرواني مع يوسف في معركة طاحنة انتصر فيها المرواني، وفر يوسف متخفياً يريد طليطلة، إلا أنه لم يصلها حيث قتله بعض رجال الداخل. وأما الصميل بن حاتم فقد كان الداخل بعد فرار يوسف من قرطبة قد سجنه، وبعد مقتل يوسف تم قتل الصميل بالسم في سجنه، وبذلك قضى الداخل على عدويه اللدودين[٦]. كما قضى على أولاد يوسف الفهري[٧]، «ومهد الدولة بالأندلس، وأثل بها الملك العظيم لبني مروان... وجدد ما طمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها»[٨].

لقد قطع الأمير الداخل جميع العلاقات الإدارية والسياسية مع الخلافة العباسية في المشرق، وأصبحت الأندلس دولة أموية خالصة[٩]. وكان عليه أن يثبت أركان هذه الدولة، وأن يعمل على استقرارها، ويقضي على أعدائها في الداخل والخارج. وقد تمثل أعداء

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٤٩.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٩٥-٩٦؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٤-٣٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦٤.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٥؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص ٩٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٩.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج٣،ص٣٥؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٩-١٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٤٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦٤.

(٧) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٠.

(٨) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٢٩.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢٩.

الداخل في الثائرين عليه وهم كثر[١]، وتمثل أعداء الخارج في النصارى المتربصين به على أطراف الإمارة الشمالية.

وكانت ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي (١٤٦هـ/٧٦٣م) الذي دعا للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، ولبس السواد، ورفع الرايات السود شعار بني العباس، أخطر تلك الثورات، وقد أعلنها العلاء في باجة، وانضم إليه خلق كثير، غير أن الداخل تمكن من القضاء على ثورته وقتله[٢].

وثار عليه هشام بن عروة فحاصره في طليطلة إلى أن استسلم في سنة ١٤٧هـ/٧٦٤م[٣]، وثار عليه سعيد اليحصبي، المعروف بالمطري، في كورة لبلة سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م الذي انضمت إليه جماعات من اليمانية سار بهم إلى إشبيلية، واستولى عليها، ثم انضم إليه جماعة من رؤوس القبائل، ولكن عبدالرحمن الداخل قضى على هذه الثورة، حيث حاصر الثوار في شذونة حتى طلبت الأمان فأمن أهلها، وعاد بزعماء الثوار إلى قرطبة[٤].

وثار على الداخل أبو الصباح بن يحيى اليحصبي سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م في إشبيلية، وكان أبو الصباح يخطط للاستيلاء على الأندلس كلها، وجعْلها إمارة يمانية، غير أن الداخل تمكن من القضاء على هذه الثورة، وقتل قائدها مما أوغر صدور اليمانية، وهبوا لطلب الثأر، فجابههم الداخل وقتل ثلاثين ألفاً منهم[٥].

وثار رجل من البربر من قبيلة مكناسة اختلفت المصادر في اسمه، وقد زعم أنه فاطمي يرجع بنسبه إلى فاطمة الزهراء والحسن بن علي بن أبي طالب[٦]، وقد أعلن الفاطمي ثورته في مدينة شنت برية (Santaver)، وتبعه خلق كثير من البربر، وقد كادت ثورته أن تعصف بالأندلس والإمارة الأموية فيها، حيث استغرقت نحو عشر سنوات، ولم يتمكن الأمير من القضاء عليه، وإنما قتله اثنان من أصحابه سنة ١٦١هـ/٧٧٧م فانتهت ثورته[٧].

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢٩؛ وانظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٠-٥١.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥١-٥٢؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٧-٥٨؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٦.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٣-١٠٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٧.

(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٤؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٣؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٥-٥٦.

(٦) ابن خلدون، تاريخ ،ج٤، ص١٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٤.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٤-٥٥؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٧، ١١١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص١٥٨.

ويلاحظ أن أكثر الثائرين على عبد الرحمن الداخل كانوا من بني يحصب، ومن أقارب يوسف الفهري، كما يلاحظ أن اليمنيين الذين وقفوا إلى جانب الداخل وساعدوه عندما دخل الأندلس كانوا من أكثر الناس حقداً عليه فيما بعد[١]. والجدير بالذكر هنا أن الدولة العباسية أخذت تحرك الثورات ضد الداخل في شمالي الأندلس، وتآمرت ضده مع شارلمان بن بيبان، أو شارل العظيم أو (قارلة) كما تسميه المصادر العربية[٢]، وهو ملك الفرنج، وكان هدف العباسيين من ذلك هو استعادة الأندلس إلى حظيرتهم، بينما كان هدف شارلمان هو تأمين حدوده الجنوبية، وربما احتلال الأندلس كلها لإحياء الامبراطورية الرومانية[٣]. وقد تمكن الداخل من القضاء على هذه الثورات في شمالي البلاد، كما أنه تمكن من إفشال خطط شارلمان[٤]، فقد سار إلى بلاد البشكنس، ودوخ بنبلونة وقلهرة، وصال وجال في تلك المناطق وأخضعها[٥].

وبعد قضائه على معظم الثائرين تفرغ عبدالرحمن الداخل للبناء والتعمير، فأعاد بناء المسجد الجامع في قرطبة[٦]، وبنى قصر الرصافة أو منية الرصافة على طراز رصافة الشام التي بناها جده هشام بن عبدالملك في دمشق[٧]، وقد توفي في ربيع الآخر من سنة ١٧٢هـ / ٧٨٨م[٨].

وولي إمارة الأندلس بعد عبدالرحمن الداخل ابنه هشام بن عبدالرحمن (الرضي) (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٨-٧٩٦م)، وكان لهشام أخوان أحدهما سليمان وهو الأكبر، والثاني عبدالله، الذي عرف بنسبته إلى بلنسية (عبدالله البلنسي)، وقد تنازع الإخوة الثلاثة إمارة الأندلس، ولذلك فإن هشاماً الذي بويع بالإمارة يوم الأحد الأول من جمادى الأولى ١٧٢هـ / ٧٨٨م[٩]، لم يهنأ أبداً، فقد شغلته الأحداث الداخلية والجهاد ضد النصارى طيلة مدة إمارته. وكان أول الثائرين أخواه، فقد كان سليمان في طليطلة، والياً عليها، وعندما سمع بخبر وفاة والده أخذ بيعة طليطلة وما جاورها لنفسه، وغلب عليها[١٠]،

---

(١) حتاملة، الأندلس، ص١٩٧-٢١٠.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص١١٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٠.

(٣) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥٨؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٠؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٠١؛ العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص١٠٦؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٤) حتاملة، الأندلس، ص٢١١-٢١٢.

(٥) ابن الأثير، الكامل في تاريخ، ج٥، ص٦٤؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١١٤؛ حتاملة، الأندلس، ص٢١٢.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٨؛ سالم، تاريخ المسمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٠٩.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٦٦-٤٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٨٤.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٨؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥٩؛ حتاملة، الأندلس، ص٢١٦.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦١.

(١٠) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٢.

ثم أخذ يستعد للاستيلاء على العاصمة قرطبة[1]. وأما عبدالله فقد رفض إلا ان يشارك أخاه هشاماً الحكم، ولما رفض هرب إلى أخيه سليمان في طليطلة وذلك في سنة ١٧٣هـ / ٧٨٩م[2].

وقد استمرت محاولات سليمان وعبدالله اغتصاب السلطة من أخيهما هشام أشهراً، ولكنه لاحقهما بإصرار، ولما قطعا الأمل من نيل مبتغاهما، وأدركا عقم محاولاتهما ركنا إلى الهدوء، ثم عادا إلى أخيهما الذي أمنهما، ثم أخرجهما من الأندلس[3].

وثار على هشام سعيد بن الحسين بن يحيى الأنصاري في سرقسطة، إلا أن ثورته لم تطل، فقد أنهاها موسى بن فرتون، عامل هشام على الثغر الأعلى حيث هاجم الأنصاري، وهزمه، واستولى على سرقسطة بعد أن قتله[4]. ثم غزا سرقسطة مطروح بن سليمان بن يقظان الأعرابي، غير أن هشاماً أرسل لحربه جيشاً سنة ١٧٥هـ / ٧٩١م لاحقه وتخلص منه[5].

وكان الأمير هشام الرضي كثير الغزو والجهاد [6]، وقد وجه حملات عديدة إلى ألبة والقلاع الواقعتين شمال نهر إيبرة، وإلى جليقية وأشتريس، وألحق بالنصارى هزائم كبيرة، كما أنه قاد جيوشه ضد قوات ألفونسو الثاني، ملك أشتريس، فاكتسحها أمامه، وطرد قواته من مناطق كانت قد استولت عليها مثل أربونة وجرندة[7].

وظل هشام الرضي يرسل الحملات العسكرية ضد النصارى في الشمال طوال سنتي ١٧٨-١٧٩هـ / ٧٩٤-٧٩٥م، فتصول وتجول في بلادهم، وتلحق الهزائم بجيوشهم وخاصة جيش ألفونسو الثاني الذي كان يضطر إلى الفرار من حصن إلى حصن، والمسلمون يلاحقونه حتى أفنوا معظم جيشه[8].

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٨٥؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٨٥-٨٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٢-٦٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٥٩.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٢-٦٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج٥، ص٨٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٨٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٣.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٨٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٣-٦٤.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٧؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤،ص١٥٩.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٠٠؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٨؛ ابن خلدون،تاريخ، ج٤،ص١٦٠.

وتوفي هشام الرضي بعد أن حكم ثماني سنوات، وذلك في صفر ١٨٠هـ / ٧٩٦م، وقد بلغ من عز الإسلام في أيامه وذل النصارى أنه لم يكن للمسلمين لدى النصارى في عهده أي أسير[١].

وبويع بعد هشام الرضي بالإمارة ابنه الحكم بن هشام (الربضي) (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٨٢١م)[٢]، وهو ابن ست وعشرين سنة [٣]. وكان حازماً صارما، كما كان طاغيا مسرفا، «وله آثار سوء قبيحة»[٤].

وقد تميز عهد الحكم الذي استكثر في الأندلس من المماليك، تميز عهده بأحداث بارزه، تمثلت في إخماد الثورات في عهده، وفي حروبه ضد النصارى.

وكان أول الثائرين على الحكم عمه عبدالله البلنسي الذي عاد إلى الأندلس، وتوجه إلى بلنسية، وحاول تأليب المسلمين ضد ابن أخيه، ولما لم يجد عندهم أذنا صاغية توجه إلى سرقسطة، وحل عند بهلول بن مرزوق المعروف بأبي الحجاج، والذي ثار على الأمير الحكم سنة ١٨١هـ / ٧٩٧م. وكان البلنسي ينوي التوجه إلى شارلمان لطلب عونه ضد الحكم، غير أن شارلمان لم يكن مستعداً ولا قادراً في تلك الفترة على تقديم العون، ولذلك اضطر البلنسي للعودة إلى سرقسطة ثم إلى بلنسية، ويبدو أنه لم يجد ماتوقعه من دعم في أي مكان ذهب إليه، فجنح إلى مهادنة الحكم الذي عفا عنه، وأكرمه [٥].

وثار على الحكم أيضاً عمه سليمان، فقد دخل الأندلس عائداً من منفاه في المغرب سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م[٦]، وتقدم متعرضاً لحرب الحكم بمن معه من البربر الذين قدموا معه، غير أن الحكم هزمه ثم طارده حتى ماردة، فقد أرسل وراءه جيشاً قبض عليه، وأتى به إلى الحكم، فأمر بقتله [٧].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٠١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٥٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٠١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٨؛ المراكشي، عبدالواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م، ص١٠-١١.

(٤) المراكشي، المعجب، ص١١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٧؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٨-٣٣٩.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٩-٧٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٠٢؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٢٠-٢٢١؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٢٨.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٠-٧١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٠٢؛ ابن خلدون،تاريخ، ج٤،ص١٦١.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٠٢.

http://al-maktabeh.com

وكانت وقعة الحفرة بطليطلة سنة ١٨١هـ / ٧٩٧م أبرز الأحداث في عهد الحكم، وتتلخص في أن المولدين شعروا بأن حقوقهم مهضومة على الرغم من أنهم أصحاب البلاد السابقون، فأخذوا يتململون، ويستعدون للثورة، ثم أعلنوها بقيادة عبيدة بن حميد سنة ١٨١هـ / ٧٩٧م[١]، وقد حاول الحكم إخماد حركتهم، وكلف عامله على طلبيرة (Talavera) وهو من المولدين أيضاً، ويدعى عمروس بن يوسف، أن يحارب أهل طليطلة ففعل، وضيق عليهم[٢] إلا أنه لم يتمكن من إنهاء تمردهم، ولذلك قرر الحكم أن يأخذهم بالحيلة؛ إذ ولّى عمروساً على طليطلة، وكتب إلى أهلها أنه قد ولّى عليهم رجلاً منهم، وكان قد دبر الحيلة مع عمروس[٣].

ولم يتقبل أهالي طليطلة عمروساً في بداية الأمر، إلا أنه ظل يستلطفهم حتى مالوا إليه، ثم أغراهم بقتل عبيدة بن حميد فقتلوه، وحملوا رأسه إلى عمروس في طلبيرة [٤]، وفيها قتل البربر الرجال الذين قدموا برأس عبيدة لثأر بينهم «فبعث عمروس برأس عبيدة، وبرؤوس المذكورين... إلى الحكم بقرطبة، وكتب إليه بخبرهم»[٥].

وظل عمروس يلاطف أهالي طليطلة حتى أدخلوه المدينة[٦]، وعندئذ كتب إلى الحكم يخبره، فبعث إليه الحكم تفاصيل خطة محكمة للقضاء على المولدين في طليطلة، وخلاصتها أن يقنع وجهاءهم، وكبار رجالات المدينة أن الجفاء بينهم وبين السلطان (الحكم) إنما سببه دسائس الحشم، وأن الأفضل أن ينقل هؤلاء الحشم إلى قصبة يبنيها في أطراف المدينة، فوافقوا على أن تُبنى القصبة في وسط المدينة [٧]، وكانت القصبة عبارة عن قصر واسع بناه عمروس عرف فيما بعد باسم (جبل عمروس)، واستخرج ترابه (أي القصر) من حفرة في وسطه[٨]، وعندما أتم البناء أعلم الحكم بذلك، فبعث إليه تفاصيل المرحلة الثانية من الخطة، حيث كتب إلى بعض قواده في الشمال بأن يكتبوا إليه، أي إلى الحكم، بأن العدو يهم بمهاجمة

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٠٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٠٥؛ ابن خلدون،تاريخ، ج٤،ص١٦٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٦٩.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٨.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٩؛ ابن خلدون،تاريخ، ج٤،ص١٦٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٠٥.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٠٥.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٩.

(٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٨-٦٩.

(٨) المصدر نفسه، ص٦٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٩.

الأندلس، وهو ما يقتضي النفير استعداداً للجهاد، وكان الهدف أن يسمع أهالي طليطلة أنّ الحكم مشغول عنهم بالاستعداد لمواجهة النصارى[١].

واستكمالاً للمرحلة الثانية من خطة الحكم وجه جيشاً بقيادة ابنه عبدالرحمن شمالاً، وعندما وصل الجيش إلى مكان قريب من طليطلة، وردت الأنباء أن النصارى عدلوا عن الهجوم على الأندلس وعندئذ أوهم عبدالرحمن وعمروس أهالي طليطلة أن الجيش عازم على العودة من حيث أتى[٢]، ثم خاطبهم عمروس بأن من الضروري القيام بالواجب تجاه عبدالرحمن وجيشه، وأقل ما يمكن القيام به هو أن يقوموا بزيارة مجاملة لعبدالرحمن، فقاموا بها، وعندئذ لاطفهم، وبالغ في إكرامهم حتى أطمأنوا إليه تماماً [٣]. ثم زين عمروس لأهالي طليطلة أن يدخلوا عبدالرحمن المدينة، فعزموا عليه أن يدخلها، وبعد إلحاح منهم استجاب، ودخل القصر[٤].

وأمر عبدالرحمن في اليوم التالي من دخوله القصر الذي كان له بابان بإعداد وليمة كبرى دعا إليها جميع المتنفذين في مدينة طليطلة، وقد أعدت الترتيبات بحيث يدخل المدعوون من باب، وبعد تناول الطعام يخرجون من الباب الثاني، وكان السيافون قد وقفوا على شفير الحفرة في وسط القصر، حيث قتلوا كل من حاول اجتيازهم[٥]، وكان عدد الذين قتلوا من كبار رجالات طليطلة في ذلك اليوم نحو سبعمائة[٦]، وبذلك خضعت طليطلة تماماً للحكم، ومع ذلك ظل مشحوناً ضد أهلها، وظل يتربص بهم حتى تمكن من دخولها، والسيطرة عليها سيطرة كاملة[٧].

وكانت وقعة الربض التي لقب الحكم بسببها بالربضي أشد هولاً من وقعة الحفرة بطليطلة. وقد حدثت في الربض (الحي) الجنوبي من أرباض قرطبة، سنة ١٨٩هـ / ٨٠٤م، وسببها أن الحكم كان مولعاً بحفلات الرقص والغناء، وكان يجاهر بالمعاصي، مما أثار الفقهاء والشيوخ الذين كانت تعج بهم قرطبة، وكان لهم نفوذ واسع في عهد الأمير الأموي

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٩؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٦٢.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٩؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٦٢.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٩-٧٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٧٠.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٩-٧٠؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٠؛ ابن خلدون،تاريخ، ج٤،ص١٦٢.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٠.

(٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٠-٧١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٢٤-١٢٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٤.

السابق حرمهم منه الحكم[١].

وبدأ الفقهاء والشيوخ يتبرمون بالحكم، ويعرضون به في خطبهم، ثم اجتمعوا، وقرروا خلعه، وتعيين أمير بدلاً منه هو محمد بن القاسم (ابن الشماس)، وهو من أبناء عمومة الحكم[٢]. غير أن ابن الشماس فضح أمرهم؛ إذ أفشى سرهم للحكم، وأبلغه بما يخططون[٣].

وبعد أن تثبت الحكم من صحة تخطيط الفقهاء لخلعه، رسم بدوره خطة مع ابن الشماس للتخلص منهم، فقد أرسل الحكم عدداً ممن يثق بأمانتهم أخفاهم ابن الشماس في داره، ثم أرسل في طلب الفقهاء الذين اتفقوا معه على خلع الحكم، وطلب منهم أن يسمع من كل من يريد خلع الحكم من الفقهاء حتى يطمئن «فأتوه، وسمع مقالتهم»[٤]، وكان الأمناء الذين اختفوا في دار ابن الشماس يسمعون كل شيء. وعندما تحقق الحكم من صحة ما نسب إلى الفقهاء قبض على اثنين وسبعين منهم، وقتلهم، وصلبهم جميعاً، وذلك في سنة ١٨٩هـ / ٨٠٤م[٥].

ولم تقض وقعة الربض على تحركات الفقهاء ومن لف لفهم، كما أنه ظل سادراً في غيه، منشغلاً باللهو والصيد والشرب مما زاد في حقد الفقهاء، وأهل قرطبة بشكل عام، كما أن الحكم استكثر من المماليك، وجعلهم حراسه الأمناء، وأصبح كل من الطرفين، أي الحكم والفقهاء، يتربص بالطرف الآخر إلى أن اشتعلت ثورة عارمة سنة ٢٠٢هـ / ٨١٨م، حيث تفجر الاحتقان لدى أهل الربض، وهب سكان ربض قرطبة هبة رجل واحد، وقتلوا المماليك، وهاجت قرطبة كلها بالفتنة وماجت حتى أتت على كل ما في طريقها [٦].

وأحدق الخطر بالحكم، فتأهب للموت بعد أن حاصرته الجموع الثائرة، ثم «فرق الخيل والأسلحة وجعل أصحابه كتائب»[٧]، وتمكن من النزول من أعلى القصر بعد أن لبس

---

(١) المراكشي، المعجب، ص١١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،، ص٥، ص١١٩.

(٢) المراكشي، المعجب، ص١١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٩؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١١٩؛ ابن خلدون،تاريخ، ج٤،ص١٦١-١٦٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١١٩-١٢٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٢.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٢.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٢٠.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٧٢؛ المراكشي، المعجب، ص١١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٣١.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٧٢.

سلاحه، وأخذ يحرض الناس «فقاتلوا بين يديه قتالاً شديداً»[١]. ومع ذلك أصبح وضعه حرجاً شديد الخطورة، إلا أنه لم يستسلم، بل تفتق ذهنه عن خطة جريئة نفذها فوراً، حيث أمر بعض قواده بالتوجه الى الربض وإشعال النار فيه، فنفذوا الخطة، وعندما علم الثوار بما نزل بهم في دورهم وذراريهم انفضوا من مواقعهم، وانصرفوا راجعين نحوها[٢].

وعندما أدار أهل الربض ظهورهم مسرعين لإنقاذ أهلهم وممتلكاتهم تبعهم الحكم وقواته وأعمل فيهم السيف، وقتل خلقاً كثيراً منهم، ودمر الربض على رؤوس أهله الذين لم يبق منهم إلا قلة، وحتى هؤلاء اضطرهم الحكم الى التفرق في أنحاء البلاد، ومن ثم أمر بهدم الربض «فهدمت وحرقت»[٣].

والجدير بالذكر أن بعض أهل الربض توجهوا إلى الاسكندرية، وكان عددهم نحو خمسة عشر ألفاً[٤]، وتمكنوا من الاستيلاء عليها، وتأسيس إمارة أندلسية فيها استمرت عشر سنوات[٥]. وعندما اضطرهم العباسيون إلى الخروج منها رحلوا إلى جزيرة كريت، وكانت تابعة للدولة البيزنطية، وأسسوا إمارة إسلامية فيها بزعامة أبي حفص عمر البلوطي[٦]. وأصبحت تلك الإمارة بمرور الزمن مصدر تهديد لحدود الدولة البيزنطية وسواحلها، وقد فشلت تلك الدولة مرات عديدة في استعادة السيطرة على الجزيرة، وبعد نحو مائة وخمسة وثلاثين عاماً من تاريخ إنشائها تمكنت في عهد الإمبراطور البيزنطي رومانوس الثاني من التغلب على الإمارة الإسلامية، وذلك في سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م[٧]. وليس معروفاً ما إذا كان سكان تلك الجزيرة المسلمون قد تنصروا وذابو في المجتمع البيزنطي، أم أن بعضهم على الأقل رحل إلى بلاد الشام[٨].

وكان الحكم الربضي على الرغم من كثرة الثورات والفتن في عهده «كثير الغزو والجهاد»[٩]؛ فقد وجه حملات متتالية إلى الشمال لمحاربة النصارى، وأوغل بعضها في

---

(١) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٧٢.

(٣) المراكشي، المعجب، ص١١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٧٣.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٣؛ المراكشي، المعجب، ص١١.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢١٤.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢١٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٩.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢١٢؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٤٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٢٤-٢٢٥؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٣٣-١٣٤.

(٨) حتاملة، الأندلس، ص٢٤٤.

(٩) ابن خلدون،تاريخ، ج٤،ص١٦٠.

فرنسا، وتمكنت تلك الحملات من العودة بكثير من الأسرى والغنائم [١].

وكان النصارى يستغلون انشغال الحكم بالثورات ضده، ويهاجمون الثغور، وقد تمكنوا عام ١٨٥هـ / ٨٠١ أثناء ثورة عميه سليمان وعبدالله من احتلال برشلونة وتطيلة، وأسر يوسف بن عمروس وذلك في سنة ١٨٧هـ / ٨٠٢م، غير ان عمروساً تمكن من تخليص ابنه[٢].

وقاد الحكم بنفسه حملة ضد النصارى سنة ١٩٤هـ / ٨٠٩م، وأوغل في بلادهم «وافتتح الحصون، وهدم المنازل، وقتل كثيراً، وأسر كذلك»[٣]. وأرسل حملة في سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م إلى برشلونة التي كان النصارى قد احتلوها أوقعت فيهم مقتلة عظيمة[٤]. وأرسل حملة أخرى ٢٠٠هـ / ٨١٥م إلى بلد الإفرنج لقنت النصارى درساً، حيث ظل القتل مستمراً فيهم ثلاث عشرة ليلة «وقفل المسلمون ظافرين ظاهرين»[٥]. ثم مرض الحكم، واشتد مرضه سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١م فأخذ البيعة لابنه عبدالرحمن، ومن بعده لابنه المغيرة، ثم توفي بعد أن حكم سبعاً وعشرين سنة [٦].

وتولى إمارة الأندلس عبدالرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢١-٨٥٢م) وقد عرف بـ (عبدالرحمن الثاني أو الأوسط) لأنه ثاني ثلاثة سموا بهذا الاسم ممن تولوا إمارة الأندلس. وقد كان عهده عهد رخاء؛ إذ كثرت الأموال عنده، فاتخذ القصور والمتنزهات، واتخذ السكة بقرطبة، ودخل الأندلس في عهده نفيس الوطاء، وغرائب الأشياء كما يذكر ابن عذاري[٧]. غير أن عبدالرحمن الأوسط عانى مثل سابقيه من الثورات الكثيرة التي قامت ضده، فانشغل بها كما انشغل بمقارعة النصارى.

وكان أول الثائرين ضد عبدالرحمن الأوسط عم ابيه عبدالله البلنسي، غير أنه توفي قبل أن تشتد ثورته، وذلك في سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٣م[٨]. وثارت في عهدة فتنة عاصفة بين المضرية

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٠٢.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص١١٠-١١١؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٢٥؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٤٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٤.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٤٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٥.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٠٣؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٤١.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩١؛ وانظر: مجهول، أخبار مجموعة، ص١٣٥؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٠؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٤٧.

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٠٦.

واليمانية استمرت سبع سنوات، فقد بدأت هذه الفتنة في تدمير سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م، وظل عبدالرحمن الأوسط يحاول إخمادها، ولم ينجح في ذلك إلا سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م[١]. كما ثار في عهده أهل ماردة في سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م، وقد استمرت ثورتهم حتى عام ٢١٨هـ / ٨٣٣م، ففي تلك السنة سير إليها جيشاً «ففتحها وفارقها أهل الشر والفساد»[٢].

وكانت أخطر الثورات ضد عبدالرحمن الأوسط تلك التي أشعلها هاشم الضراب في طليطلة، فقد تمكن هذا الثائر من حشد أعداد كبيرة من المؤيدين هاجم بهم مدينة شنت برية، وغيرها. وكان الأمير يرسل لمحاربته الجيش تلو الجيش دون طائل، ثم تمكن أخيراً من القضاء على ثورته، وذلك في سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٧م[٣].

وتعرضت سواحل الأندلس في عهد عبدالرحمن الأوسط لهجوم كاسح قام به المجوس (النورمان)، وهم جماعات من أصول جرمانية ينتمون إلى اسكندنافية، وينقسمون إلى ثلاثة أقسام:السويديين، والنرويجيين، والدنماركيين، وقد أطلق العرب عليهم تسمية (المجوس) ظنا منهم أنهم يعبدون النار، ذلك أنهم كانوا يشعلون النار في كل مكان يحلّون فيه. ويسمون أيضاً: الفايكنج (Vikingoes) بسبب بلادهم الأصلية كثيرة الخلجان[٤]. وقد هاجم الدنماركيون سواحل الأندلس في سنة ٢٢٩هـ / ٨٤٣م، في أكثر من مائة قطعة بحرية مابين سفينة وقارب، حيث تقدموا من لشبونة إلى قادس، ومنها إلى شذونة، ثم إلى إشبيلية، حيث تغلبوا على المسلمين؛ إذ «استأصلوا أهلها قتلاً وأسراً، فبقوا بها سبعة أيام، يسقون أهلها كأس الحمام»[٥].

وقد أرسل عبدالرحمن الأوسط جيوشاً لنجدة إشبيلية، تمكنت من قتل أعداد كبيرة منهم، وفكت الأسرى، وأحرقت معظم مراكبهم. وقد استأنف الناجون منهم هجومهم على

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨١-٨٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٨١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٠٥، ٢١٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٣٠؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٥٢-٢٥٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢١٧؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٦٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٣؛ حتاملة، الأندلس،ص٢٥٣-٢٥٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٣-٨٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢١٩، ٢٣٧؛ ابن خلدون،تاريخ، ج٤،ص١٦٥؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٥٤-٢٥٦.

(٤) حتاملة، الأندلس، ص٢٥٨.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٧؛ وانظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٧٢؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٤٤؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٤-٨٥.

مدن الأندلس، حيث توجهوا إلى لبلة (Niebla)[١]، ثم إلى شذونة[٢]، ثم إلى باجة، ثم عادوا إلى لشبونة حيث انقطع خبرهم وذلك سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٤م[٣].

وكان عبد الرحمن الأوسط محباً للجهاد؛ فقد قاد الجيوش بنفسه، وأرسل بعضها بقيادة العسكريين الأفذاذ من قادته مثل عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، وهاجموا جليقية وألبة والقلاع واحرقوها، وحاصروا عدة حصون هناك، وفتحوا بعضها، وذلك في سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٣م[٤].

وسير عبد الرحمن الأوسط في سنة ٢١٠هـ / ٨٢٥م جيشاً بقيادة عبيد الله بن البلنسي لمحاربة النصارى في مملكة أشتريس، وقد التقى هذا الجيش بجيوشها «فاقتتلوا، فانهزم المشركون، وكثر القتل فيهم، وكان فتحاً عظيماً»[٥]. وفي سنة ٢٢١هـ / ٨٢٧م سير الأمير جيشاً إلى برشلونة وغيرها من بلاد النصارى في الشمال وكسر شوكتهم، حيث دوخها وظل يعمل فيها السيف ستين يوماً [٦]. ووجه في سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٨م الى مملكة أشتريس ثلاثة جيوش، حققت انتصارات كبيرة على نصارى جليقية وألبة وقشتالة القديمة وغيرها[٧]. وشهدت السنوات ٢٢٤- ٢٢٩هـ / ٨٣٩-٨٤٣م ملاحم بطولية قامت بها جيوش الأمير عبد الرحمن الأوسط في بلاد النصارى وكانت بعض تلك الجيوش بقيادته، ففي سنة ٢٣١هـ / ٨٤٥م قاد جيشاً كبيراً هاجم به جليقية، وحاصر مدينة ليون، واقتحمها[٨].

ولم يلبث الأمير عبد الرحمن الأوسط أن توفي بعد أن أمضى أكثر من إحدى وثلاثين سنة في مقارعة النصارى والثوار، وبعد وفاته سنة ٢٣٨هـ / ٨٥٢م[٩]، تولى الإمارة ابنه محمد.

بويع الأمير محمد بن عبد الرحمن وهو ابن ثلاثين سنة وخمسة أشهر[١٠]، وقد حكم

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٧٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٧٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٨؛ ابن خلدون، تاريخ،ج٤، ص١٦٦.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨١-٨٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٤-٣٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٠٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢١٣.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢١٦.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٥؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص٢٤٠؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٥٩.

(٨) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٦؛وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٥-٨٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٥٨؛ ابن خلدون، تاريخ،ج٤، ص١٦٥-١٦٦.

(٩) ابن خلدون، تاريخ،ج٤، ص١٦٧؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٩٢.

(١٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٤؛ ابن خلدون، تاريخ،ج٤، ص١٦٧.

خلال الفترة (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م)، وسار على نهج والده، وكان «متنزهاً عن القبيح، يؤثر الحق وأهله، لا يسمع من باغ، ولا يلتفت إلى قول زائغ»[١]. «وهو أول من أقام أبهة الملك بالأندلس، ورتب رسوم المملكة، وعلا عن التبذل للعامة، فكان يشبه بالوليد بن عبد الملك في أبهة الملك»[٢].

وقد بدأ الأمير محمد عهده بمواجهة الثوار، وخاصة في طليطلة، التي كانت موطناً للثورات والثائرين، فقد خرج في سنة ٢٤٠هـ / ٨٥٤م بنفسه لقتالهم، بعد أن أرسل أخاه الحكم في السنة السابقة ٢٣٩هـ / ٨٥٣م على رأس جيش استطاع إضعاف ثورتهم، وأرسل في السنة نفسها بعض قواده لمحاربتهم منهم قاسم بن العباس الذي انهزم أمامهم[٣].

وكان الأمير محمد عندما خرج شديد الغضب على أهالي طليطلة وخاصة أنهم استعانوا بملك جليقية، وملك البشكنس ضده، ولذلك قتلهم في حملته قتلاً ذريعاً[٤]، وبلغت عدة القتلى من النصارى ومن أهالي طليطلة عشرين ألفاً منهم ثمانية آلاف من النصارى[٥]. وقد ظل الأمير محمد يرسل الجيوش المتتالية إلى طليطلة حتى أخضعهم، واستقرت أوضاعها، بعد أن أرغمهم على الرضوخ لسلطته سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٢م[٦].

وكانت ماردة في عهد الأمير محمد موطناً آخر للثورات، وقد ثار فيها سنة ٢٥٤هـ / ٨٦٨م عبد الرحمن بن مروان الجليقي، وهو أحد المولدين[٧]، وقد أيده في ثورته مولد آخر هو سعدون السرنباقي[٨]. فخرج إليهم الأمير محمد، وظل يقاتلهم حتى أذعنوا له[٩]، ومن ثم حملهم إلى قرطبة ليكونوا تحت مراقبة سلطته[١٠]. غير أن الجليقي تمكن من الهرب سنة

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٧؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٢.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥،ص٢٩٢-٢٩٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥،ص٢٩٣؛ ابن خلدون، تاريخ،ج٤، ص١٦٧.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٤-٩٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥،ص٢٩٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٠.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥،ص٢٩٤.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٦، ١٠١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥،ص٢٩٨؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٧٢-٢٧٤.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٠-١٠٢.

(٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٧.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥،ص٣٣٩.

(١٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥،ص٣٣٩؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٧٥.

٢٦١هـ / ٨٧٤م، واخذ يثير المشكلات مرة أخرى، بينما ظل الأمير محمد يلاحقه، ويحاصره حيثما حل، إلا أنه تمكن من الاتفاق مع ملك النصارى ألفونسو الثالث الذي دعمه عسكرياً، ومع ذلك ظلت قوات الأمير تلاحقه إلى أن استنفد قوته مما اضطره إلى اللحاق بألفونسو، وظل في كنفه حتى عام ٢٧٢هـ / ٨٨٥م، ففي تلك السنة عاد الجليقي إلى ماردة وبطليوس وقد استعاد بعض قوته، وأخذ يتحصن برؤوس الجبال، وعندما عجز الأمير محمد عن القضاء عليه فاوضه، فاشترط أن يبني مدينة تقابل بطليوس، فوافق الأمير. وقد بنى المدينة واستقل بها، وبنى فيها القصور، وأحاطها بالبساتين، واستقر فيها[١].

وبدأت في عهد الأمير محمد ثورة من اخطر الثورات التي شهدتها الأندلس وأطولها مدة، وهي ثورة عمر بن حفصون التي بدأت سنة ٢٦٧هـ / ٨٨٠م[٢]، وامتدت حتى سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م. وكان عمر بن حفصون من مسالمة أهل الذمة[٣]، وكان سبب ثورته أن عامل ريّة كان قد ضربه بالسياط «في فساد أخذه فيه»[٤]، وعندما تمكن من الهرب، غادر الأندلس إلى المغرب، وجمع بعض الرجال «وجعلهم تحت إمرته، فقادهم عمر» وعاد إلى الأندلس حيث استوطن في حصن بربشتر قرب مدينة مالقة في الجنوب، وكان الحصن من امنع قلاع الأندلس قاطبة[٥]. وقد ضبط الحصن وامتنع فيه، إلا أن قائد الأمير محمد: هاشم بن عبد العزيز تمكن في سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م من السيطرة عليه، وأخذه إلى قرطبة[٦]، إلا أنه هرب بعد مدة وجيزة، واستفحل شره، واشتد خطره، وملك ما بين الجزيرة الخضراء ومرسية[٧].

واكتسح المجوس في عهد الأمير محمد بعض سواحل الأندلس والمدن القريبة منها، وكانوا في اثنين وستين مركباً[٨]، وعزموا على مهاجمة إشبيلية، إلا أنهم اضطروا الى

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦،ص٥٩؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٨-١٠٩؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦،ص٣٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٦.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٩.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٦؛ ابن خلدون، تاريخ،ج٤، ص١٦٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦،ص٣٦؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٥.

(٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١١٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٦.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٦.

العدول عن ذلك أمام استعداد المسلمين، وتحولوا إلى الجزيرة الخضراء، فتغلبوا عليها[١]، ثم هاجموا مرسية، ثم توجهوا شمالاً، واكتسحوا بعض المناطق في جنوب غالة (فرنسا). ثم رجعوا لمهاجمة سواحل الأندلس، فلقيتهم مراكب الأمير محمد واضطرتهم إلى الانسحاب بعد تدمير اثنين من مراكبهم[٢].

ووجه الأمير عبد الرحمن جهوده أيضاً لمحاربة النصارى؛ فقد وجه حملة إلى ألبة والقلاع في سنة ٢٤١هـ / ٨٥٥م فتحت «كثيراً من حصون المشركين»[٣]. ودخلت جيوشه في سنة ٢٤٢هـ / ٨٥٦م برشلونة [٤]، ودخلت حملة جهادية كبرى في سنة ٢٤٦هـ / ٨٦٠م[٥] أراضي بنبلونة في الشمال، ودمرت بعض حصونها[٦]، وقاتل جيش المسلمين سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م النصارى في برشلونة، «فملكوا أرباضها، وبرجين من أبراج المدينة فقتل من المشركين بها خلق كثير، وسلم المسلمون، وعادوا..»[٧].

وكان الأمير محمد حريصاً على استنزاف قوة النصارى، ولذلك هاجمهم في ألبة والقلاع في سنة ٢٥١هـ / ٨٦٥م، والسنة التالية «فحارب أهلها، وأفسد زروعها، وغادرها هشيماً»[٨].

وقد توفي الأمير محمد سنة ٢٧٣هـ / ٨٦٦م[٩]، بعد حكم دام خمسة وثلاثين عاماً[١٠]، وولي الإمارة بعده ابنه المنذر(٢٧٣-٢٧٥هـ / ٨٨٦-٨٨٨م)[١١]، وكان أول ما واجه ثورة عارمة قادها عمر بن حفصون الذي انقاد له كثيرون، فقويت شوكته، وأخذ يستولي على الحصون والقلاع، وخاصة في منطقة ألبيرة وجيان[١٢]. وقد تصدى له الأمير حتى اضطر

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٩٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٠٠.

(٢) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين، المقتبس من أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبدالرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، ص٢، ص٣٠٨؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٩٧؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٠١.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٧؛ وانظر: المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٠١؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٨٥-٢٨٦.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٠٧؛ حتاملة، الأندلس، ص٢٨٦.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٩؛ وانظر التفاصيل: حتاملة، الأندلس، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠٦.

(١٠) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٢.

(١١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١١٣، ١٢٠؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١١٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦١؛ حتاملة، الأندلس،ص٢٨٩-٢٩٠.

(١٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٠.

http://al-maktabeh.com

إلى أظهار الإنابة إلى الطاعة[1]، غير أنه ما إن سنحت له الفرصة حتى عاد سيرته الأولى، فحاصره الأمير، وأثناء الحصار أصيب الأمير بمرض عضال توفي على أثره، وذلك في صفر ٢٧٥هـ / ٨٨٨م[2].

وولي إمارة الأندلس بعد وفاة المنذر أخوه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م)[3]. وقد بدأ عهده الذي استمر ربع قرن بمواجهة الأخطار التي أحدقت بالإمارة داخلياً وخارجياً، فقد كثر الطامعون بكرسي الحكم، حيث كان «في كل موقع منتزٍ، وفي كل جهة ثائر، وفي كل مكان متوثب»[4]، وجميع هؤلاء التقوا على هدف واحد هو تفتيت الأندلس، والقضاء على الشرعية فيها. وقد تزامن ذلك مع قلة موارد الدولة التي لم تعد كافية حتى لدفع أعطيات الجند[5]. وسبب قلتها هو أن الثوار في كثير من مناطق الأندلس امتنعوا عن دفع ما يستحق عليهم من جبايات[6].

وكان عمر بن حفصون الذي تمكن في عهد الأمير المنذرمن الهرب من قرطبة قد التجأ مرة أخرى إلى حصن ببشتر، وامتنع فيه، ثم تغلب على مناطق واسعة حوله، وقد خرج الأمير عبد الله لقتاله سنة ٢٧٦هـ / ٨٨٩م، واضطره إلى طلب الأمان فأمنه[7]، غير أنه عاد إلى العصيان في السنة التالية، وتوجه إلى جيان، ثم سيطر على معظم المناطق المحيطة بقرطبة[8]، ولم يتمكن الأمير عبد الله من القضاء على ثورته، بل استفحل أمره، وأظهر الدعوة للعباسيين في الأندلس، وطلب المدد من والي إفريقية مظهراً العزم على جعل الأندلس ولاية عباسية، إلا أن والي إفريقية لم يتمكن من إمداده[9].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١١٥-١١٧.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٢٠؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥٠؛ حتاملة، الأندلس،ص٢٩٢-٢٩٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٢٠؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥٠.

(٤) حتاملة، الأندلس،ص٢٩٦.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٢؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥١.

(٦) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥٠-١٥١؛ حتاملة، الأندلس،ص٢٩٧.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٢.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٢-١٢٣؛ مجهول، أخبار مجموعة،ص١٥١.

(٩) ابن خلدون، تاريخ،ج٤، ص١٧٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٣-١٢٤؛ حتاملة، الأندلس،ص٣٠٠-٣٠١.

واخذ الأمير عبد الله يرسل الجيش تلو الجيش لمحاربة ابن حفصون، وخاصة بعد أن تبين أنه نصراني[١]، حيث تبرأ منه كثيرون ممن كانوا مظاهرين له، وأصبح قتاله جهاداً في سبيل الله[٢]. وقد وجه الأمير ابنه أبان على رأس حملة في سنة ٢٩١هـ / ٩٠٣م إلى رية لقتال ابن حفصون، وحاربه لمدة أربعة اشهر فقد فيها ابن حفصون أعداداً كبيرة من رجاله ما بين قتيل وأسير[٣]. وتكرر الأمر نفسه سنه ٢٩٢هـ / ٩٠٣م واستمرت الغزوات ضده في السنوات التالية، إلا أنها لم تتمكن من القضاء على ثورته[٤]، وخاصة أن بني حجاج ثاروا في إشبيلية، وكانوا من أقوى أنصاره[٥].

وكانت غالبية عناصر الثورة التي نشبت في إشبيلية، ومن ثم في أطرافها، وفي ماردة، من البربر، وقد بلغت تلك الثورة ذروتها عندما اصطدم بنو حجاج مع المولدين في إشبيلية بسبب مقتل أحد رجالهم على يد بني حجاج، فقد اقتحم المولدون قصر الإمارة في اشبيلية، ونهبوا خيل ابن الأمير عبد الله، ثم تمكن ابن الأمير من دحرهم بمساعدة أحد القادة. وانتهت ثورة بني الحجاج عندما تمكن زعيمهم إبراهيم بن حجاج من إشبيلية، وبسط سلطانه عليها، وفي الوقت نفسه اعترف بحق أمير الجماعة، فسكت عنه الأمير[٦].

ولم تهدأ الثورات الأخرى في عهد الأمير عبدالله، فقد ثار ضده كثير من المولدين والعرب والبربر[٧].

لقد أمضى الأمير عبد الله مدة ولايته في مقارعة الثوار، وقد كثر الثوار في عهده كثرة غير مسبوقة، ومنهم عمر بن حفصون الذي استمرت ثورته دون انقطاع، على أن أعظم مصيبة حلت بالأمير عبد الله هي مقتل ولديه محمد والمطرف، فقد قتل المطرف أخاه محمداً، وقتل الأمير ابنه المطرف ثأراً لأخيه، وقد كان سبب هذه المأساة ولاية العهد، والتنافس بين الأخوين، فقد رشح الأمير ابنه محمداً لولاية عهده، فحقد عليه أخوه المطرف، وظل يتربص به إلى أن تمكن من قتله، وفي سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م أرسل الأمير ابنه المطرف بالصائفة مع الوزير القائد عبد الملك بن أمية «ففتك المطرف بالوزير لعداوة بينهما، وسطا به أبوه الأمير

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣٩؛ ابن خلدون، تاريخ،ج٤، ص١٧٣؛ حتاملة، الأندلس،ص٣٠٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٠-١٤١.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٤١ وما بعدها.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٢٦؛ ابن خلدون، تاريخ،ج٤، ص١٧٣.

(٦) انظر التفاصيل: حتاملة، الأندلس، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٧) حتاملة، الأندلس، ص٣٠٧-٣١٠.

عبد الله، وقتله أشر قتلة، ثأر فيها منه بأخيه محمد، وبالقائد عبد الملك»[1].

وتوفي الأمير عبد الله في شهر ربيع الأول من سنه ٣٠٠هـ / ٩١٢م[2]، وبوفاته انتهى عهد الإمارة الأموية في الأندلس، وبدأ عهد جديد، هو عهد الخلافة.

رابعاً: عهد الخلافة الأموية

ولي الإمارة بعد وفاة الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن حفيده عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)، وقد بويع بالإمارة يوم الخميس، مستهل ربيع الأول سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م[3]، بعد أن عزف عنها أعمامه أبناء الأمير عبد الله، وعددهم تسعة بعد مقتل محمد والمطرف بسبب ما أحاط بها من مكاره، وأحدق بها من أخطار[4].

وكانت الأندلس عندما تولى الناصر إمارتها «مضطربة بالمخالفين، مضطرمة بنيران المتغلبين»[5]، فقد اختلفت البلاد على الأمويين، واستولى أهل النفاق على كورها ومعاقلها[6]، ولذلك كانت تنتظر الناصر مهمات كبيرة، أولاها توحيد الأندلس، وتخليصها من المتربصين بها الساعين إلى تفتيتها، وكان أعتى الثوار وأقواهم شكيمة هو عمر بن حفصون الذي ادعى الإسلام بينما كان نصرانياً شرساً حاول القضاء على الدولة الإسلامية في الأندلس، ولذلك كان أول هم كبير للناصر هو القضاء عليه وقد فعل، فقد وجه لمحاربته الجيوش، وقاد بعضها بنفسه منذ السنة الأولى لتوليه الإمارة، وظل يلاحقه ويلاحق أبناءه ومؤيديه إلى أن قضى على ثورته قضاء تاماً سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م[7].

وكان القضاء على ثورة عمر بن حفصون وغيرها إنجازاً كبيراً، يسجل للأمير الأموي عبد الرحمن الناصر، وقد تم هذا الإنجاز في الوقت الذي أصبحت فيه الخلافة العباسية

---

(١) ابن خلدون، تاريخ،ج٤، ص١٧٦؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٠؛ حتاملة، الأندلس، ص٣١١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٤٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٤٣.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٤٣؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٥٨؛ حتاملة، الأندلس، ص٣١٥.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٣.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٤٣.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٦٠-١٦٤؛ ابن حيان، المقتبس، ص٧٢ وما بعدها؛ ابن خلدون، تاريخ،ج٤، ص١٧٩-١٨٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٩١؛ حتاملة، الأندلس،ص٣١٨-٣٢٧.

في المشرق على حافة الانهيار، وأصبحت الدولة الفاطمية في شمالي إفريقية تمد أطماعها إلى المغرب والأندلس، وهي دولة شيعية ولذلك أدرك الناصر ضرورة وجود خلافة سنية قادرة على مقاومة الفاطميين، والحد من نفوذهم[١]. ولهذه الأسباب اتخذ الأمير الأموي عبد الرحمن الناصر قراراً بإعلان الخلافة، وأصدر بذلك مرسوماً عممه على عماله في أنحاء الأندلس،وذلك في مستهل ذي الحجة من سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م[٢].

وبعد إعلان الخلافة صمم الخليفة عبد الرحمن الناصر على قطع دابر الثوار والمخالفين، وخاصة في غربي الأندلس، ومنهم:عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الجليقي في بطليوس، وعبد الرحمن بن سعيد بن مالك في باجة، وخلف بن بكر في اكشونبة وغيرهم، فقد نهض الخليفة لحربهم، في ربيع الآخر من سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م[٣]، وذلك بعد أن دعاهم للطاعة، والدخول في عصمة الجماعة فرفضوا[٤]. وعندئذ أخضعهم الناصر بالقوة[٥].

وبعد إطفاء نار الثورات في الغرب تفرغ الناصر لإخضاع طليطلة التي لم تهدا منذ بداية العهد الأموي[٦]، وقد بدأ ذلك بدعوة أهلها إلى الطاعة ونبذ الخلاف، حيث أرسل إليها وفداً من العلماء لإقناعهم بالدخول في الجماعة[٧]، غير أنهم رفضوا، فوجه إليها جيشاً بقيادة وزيره سعيد بن منذر حاصرها وذلك سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م وأمده بقوات إضافية في السنة نفسها، وظلت هذه الجيوش تضغط على أهالي طليطلة دون أن تحقق هدفها، وهو إخضاع المدينة إخضاعاً تاماً، بل حاول أهلها الاستعانة بالنصارى ضد الناصر، فاستشاط غضباً، وتوجه بنفسه على رأس جيش لمحاربتهم وإخضاعهم، وذلك سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م، وعندما أدركوا أن لا قبل لهم بقوات الناصر، بعد أن هدهم الحصار اضطروا إلى الخضوع والانقياد «فبذل لهم الأمان، وبسط فيهم الإحسان، وعم جميعهم بالأمان العام»[٨]. ودخل

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٢٤ وما بعدها.

(٢) ابن حيان، المقتبس، ص٢٤١-٢٤٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٩٨-١٩٩؛ حتاملة، الأندلس،ص٣٣٧-٣٣٨.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ص٢٤٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٩٩.

(٤) ابن حيان، المقتبس، ص٢٤٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٠.

(٥) ابن حيان، المقتبس، ص٢٤٦-٢٥٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٠-٢٠٢؛ حتاملة، الأندلس،ص٣٤٠-٣٤١.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٢٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٢٩؛ حتاملة، الأندلس،ص٣٤١-٣٤٤.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٢؛ ابن حيان، المقتبس، ص٢٨٠.

(٨) ابن حيان، المقتبس، ص٣١٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٧؛ حتاملة، الأندلس،ص٣٤٥-٣٤٦.

الناصر مدينة طليطلة في السادس والعشرين من رجب سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م[١]، وأمر بإعداد الترتيبات الأمنية الملائمة لكي لا يعود أهلها إلى الثورة، وقد أقيم بناء في موقع يتحكم بحركتهم، وشحنه بالرجال والسلاح[٢]، كما أمر بإعادة بناء ما تم تدميره من معالمها الرئيسة خلال حركات التمرد والعصيان[٣].

وأخذ الناصر بعد أن استقر له الأمر في الأندلس يتطلع إلى مد نفوذه على المغرب لتخليصها من الفاطميين الشيعيين الذين أعلنوا خلافتهم في شمالي إفريقية، وأخذوا يحاولون اجتياز مضيق جبل طارق إلى الأندلس[٤]. وبدأ الناصر- لتحقيق غايته -بمكاتبة من توسم فيهم الولاء لبني أمية من بربر المغرب[٥]، وكان البربر يخشون ضياع ملكهم على يد الفاطميين، ولذلك وجدوا في دعوة الناصر مخلّصاً لهم[٦]، وعلى رأس هؤلاء البربر موسى بن أبي العافية أمير مكناسة الذي ملك قواعد الغرب الأوسط، فقد استجاب للناصر وكاتبه سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م، وسنة ٣١٩هـ / ٩٣١م راغباً في موالاته، والدخول في طاعته[٧].

وكاتب الناصر أيضاً محمد بن خزر، أمير زناتة مستغلاً عداوته للفاطميين، وأغراه بضرورة «جهاد الشيعة والضلال»[٨]. وقد أثمرت جهود الناصر؛ إذ بايعه ابن خزر سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م، كما والى الناصر عدد من أمراء الأدارسة، ودعوه إلى تعيين عامل أندلسي على سبتة، فأرسل إليهم أمية بن إسحاق القرشي، وشك مدينة سبتة بالرجال، وأتقنها بالبنيان، وبنى حولها سوراً منيعاً[٩]. وفي سنة ٣٢١هـ / ٩٣٣م امتد نفوذ الخليفة الناصر إلى مدينة أصيلا في المغرب[١٠]. وعندما انتشرت دعوة الخليفة الناصر بين بربر المغرب وفي معظم أرجائها، هب الفاطميون لتخليص شمالي إفريقية من المد الأندلسي، وحركوا أساطيلهم لاستعادة السيطرة عليها، ومن جهته أرسل الناصر أساطيله لنجدة

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ص٣١٩-٣٢٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٧.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ص٣٢٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٧-٢٠٨؛ حتاملة، الأندلس،ص٣٤٦-٣٤٧.

(٤) ابن حيان، المقتبس، ص٢٥٥-٢٥٧؛ ابن خلدون، تاريخ،ج٤، ص١٨١.

(٥) ابن حيان، المقتبس، ص٢٥٦؛ ابن خلدون، تاريخ،ج٤، ص١٨١؛ حتاملة، الأندلس،ص٣٤٨.

(٦) ابن حيان، المقتبس، ص٢٦١.

(٧) المصدر نفسه، ص٢٦٢-٢٦٥.

(٨) المصدر نفسه، ص٢٥٩.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٤؛ حتاملة، الأندلس،ص٢٥٠-٢٥١.

(١٠) ابن حيان، المقتبس، ص٣٢٦؛ حتاملة، الأندلس،ص٢٥١-٢٥٢.

الموالين له، ودارت بين الطرفين معارك طاحنة كان النصر فيها للأمويين[١].

وازداد نفوذ الخليفة الناصر في المغرب، وكثر الموالون له من زعماء البربر، وبعد وفاة الخليفة الفاطمي سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م[٢] ترسخ هذا النفوذ وامتد حتى القيروان[٣] وكانت آخر حملات الناصر إلى إفريقية سنة ٣٤٨هـ / ٩٥٩م لقتال جوهر الصقلي، قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، وكانت حملة ناجحة[٤].

وكان النصارى قد استغلوا ما كان يقع في الأندلس من اضطرابات داخلية وثورات وحروب أهلية للاعتداء على ثغور المسلمين، وكان أكثر نصارى الشمال اعتداء مملكة ليون(Leon) ومملكة نبارة (النافار) في عهد ملكها غرسيه الأول (٢٩٣-٣١٤هـ / ٩٠٥-٩٢٦م)[٥] وكانت أولى المعارك بين المسلمين والنصارى في عهد الخليفة الناصر معركة يابرة (Ivora) سنة ٣٠١هـ / ٩١٤م، فقد هاجم ملك ليون أردون الثاني (٣٠١-٣١٢هـ / ٩١٤-٩٢٤م) مدينة يابرة الأندلسية، واحتلها[٦]، وقد تمكن المسلمون من إخراجهم منها، إلا أنهم أعادوا تنظيم صفوفهم وتكاثروا، واحتلوها مرة أخرى بعد قتال عنيف[٧].

وقد فقد المسلمون في معركة يابرة سبعمائة رجل، وسبي من أولادهم ونسائهم أكثر من أربعة آلاف[٨]. وكان أردون الثاني بعد أن حقق هذا النصر الحاسم على يابرة قد رحل عنها، وخلت المدينة من الناس لمدة سنة كاملة، ثم ابتناها عبد الله بن محمد الجليقي في سنة٣٠٢هـ / ٩١٤م[٩].

وحاول أردون الثاني ملك ليون في سنة ٣٠٢هـ / ٩١٤م احتلال ماردة في غربي الأندلس؛ إذ خرج يريدها بجيش من ستين ألفاً،واحتل في طريقه عدداً من الحصون، ووصل إلى ماردة وعسكر قريباً من قصبتها، إلا أنه لم يجرؤ على اقتحامها، وقفل عائداً إلى ليون[١٠].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٩؛ ابن حيان، المقتبس، ص٣٦٩-٣٧٤، ص٤١٣-٤١٥، ص٤٢٧؛ حتاملة، الأندلس،ص٢٥٢-٢٥٣.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٥٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٢١٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٥) حتاملة، الأندلس،ص٣٥٦.

(٦) ابن حيان، المقتبس، ص٩٣-٩٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص١٦٦.

(٧) ابن حيان، المقتبس، ص٩٤-٩٥؛ حتاملة، الأندلس،ص٣٥٧.

(٨) ابن حيان، المقتبس، ص٩٥.

(٩) المصدر نفسه، ص٩٦.

(١٠) المصدر نفسه، ص١٢٢-١٢٤؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٨٢؛ حتاملة، الأندلس،ص٣٥٩-٣٦٠.

واعتدى ملك النافار شانجه بن غرسيه الأول في سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م على مدينة تطيلة وريفها،وقتل من المسلمين عدداً كبيراً[١]، فهب الخليفة الناصر لما تكررت اعتداءات النصارى لحماية ثغور الأندلس الشمالية، وأرسل جيشاً بقيادة أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي عبده، وقد اقتحم هذا الجيش في سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م أراضي قشتالة التي تقع بين ليون والنافار، ودك حصونها وكاد أن يحقق نصراً مؤزراً، غير أن نصارى قشتالة استغاثوا بغيرهم من نصارى ليون والنافار، وأغاث النصارى أيضاً المنافقون من أهل الثغر الأعلى، فدارت الدائرة على المسلمين، ثم واصل النصارى هجومهم، وكانوا يحرقون ويدمرون، ومما احرقوه المسجد الجامع في حصن بلتيرة (Valtierra) الواقع على ضفاف نهر الابرو إلى الشمال من تطيلة[٢].

وكان إحراق المسجد الجامع في حصن بلتيرة مما أجج غضب الخليفة الناصر لدين الله، فقد أعد العدة، ووجه الجيوش لحرب النصارى، وكان أولها بقيادة حاجبه بدر بن أحمد سنة ٣٠٦هـ / ٩١٨م الذي حقق نصراً مؤزراً على النصارى[٣]. وقاد الناصر بنفسه جيشاً في سنة ٣٠٨هـ / ٩٢٠م، وكانت حملة كاسحة ألحقت بالنصارى هزائم متتالية، مما دعاهم إلى التكاتف وتوحيد جيوشهم والتصدي لجيش الناصر، إلا أنه تمكن من دحرهم، وتحقيق نصر حاسم عليهم، ثم أحرق بلادهم، وقد «اتصل الحريق في بلاد المشركين عشرة أيام في مثلها، واجتمع عند الناس ما أسرفوا في تبذيره»[٤]. واستمرت حملة الناصر نحو ثلاثة أشهر عاد بعدها إلى قرطبة[٥].

وقد هدأت جبهة الثغر الأعلى بعد تدويخ النصارى لمدة تقارب السنتين، ثم أخذ شانجه بن غرسيه مع مطلع عام ٣١١هـ / ٩٢٣م يتمادى في عدوانه على المسلمين، فأرسل الناصر جيشاً كثيفاً لقن النصارى درساً قاسياً «فارتدع بذلك المشركون، وانبسط المسلمون»[٦].

وقاد الناصر نفسه حملة أخرى ضد النصارى في المحرم من سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م[٧]،

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ص١٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٦-١٤٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٧٢؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٨٢؛ حتاملة، الأندلس، ص٣٦١-٣٦٢.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ص١٤٥-١٤٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٧٢-١٧٣.

(٤) ابن حيان، المقتبس، ص١٦٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٧٨-١٨٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٦٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٣٦٦-٣٦٧.

(٥) ابن حيان، المقتبس، ص١٦٨؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٨٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٦٣.

(٦) ابن حيان، المقتبس، ص١٨٨؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٨٤-١٨٥.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٨٥؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٨٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٦٣.

وسلك طريق الشرق عبر كورتي تدمير وبلنسية، ثم اخترق بلاد النصارى، وأخذ يستولي على الحصون والقلاع، ويحرق ويقتل ويسبي ويغنم، ويلاحق قوات النصارى بقيادة شانجه بن غرسيه التي انهزمت أقبح هزيمة[١].

وبدأ الناصر في سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٣م الاستعداد لحملته الثالثة ضد النصارى، وقد انطلقت تلك الحملة بعد الاستعداد لها في منتصف جمادى الآخرة من تلك السنة، وبدأت بإخضاع من خلعوا طاعته من أهالي سرقسطة، حيث استولى على حصونهم ثم اقتحم بلاد النصارى، وبدأ بمملكة النافار، فسارعت الوصية على عرشها وهي (طوطة) والدة الملك غرسيه بن شانجه إلى طلب الصلح، فوافق بعد أن أعلنت خضوعها له[٢].

وانطلق الناصر بعد عقد الصلح مع طوطة فاكتسح ألبة والقلاع، واشتبك مع جيوش ملك ليون روميرو الثاني ابن أردون الثاني (٣٢٠-٣٣٩هـ / ٩٣٢-٩٥٠م) في حرب ضروس انتهت بهزيمة النصارى[٣]. وبعد هزيمة النصارى عاد الناصر لإخضاع سرقسطة وثوارها وخاصة التجيبيين، وقد نزل على أبواب سرقسطة في شوال من سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٦م، وحاصرها حصاراً شديداً فاضطر التجيبيون إلى طلب الصلح، فصالحهم ودخل المدينة في المحرم سنة (٣٢٦هـ / ٩٣٦م)[٤].

وقاد الناصر حملة جديدة ضد النصارى بعد إخضاع سرقسطة، وأثناء هذه الحملة وقعت معركة تسمى معركة الخندق، وذلك سنة ٣٢٧هـ / ٩٣٨م، ذلك أن النصارى تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالمسلمين، حيث ألجأوهم إلى خندق بعيد المهوى «لم يجدوا عنه محيداً فتردى فيه خلق، وداس بعضهم بعضاً لكثرة الخلق»[٥]. وفي هذه الحملة أسر النصارى أحد قادة الناصر وهو محمد بن هاشم التجيبي الذي ظل في الأسر حتى سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م حيث تمكن الناصر من افتكاكه مقابل فدية[٦].

وقد استعد الناصر لقيادة حملة ضد النصارى سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩م، ثم عدل عن ذلك عندما طلب ملك ليون راميرو بن أردون الثاني الصلح، فصالحه سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م على

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ص١٩٠-١٩٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٨٥-١٨٧؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٦٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٣٦٨-٣٦٩.

(٢) ابن حيان، المقتبس، ص٣٣٣-٣٣٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٦٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٣٧١-٣٧٢.

(٣) ابن حيان، المقتبس، ص٣٣٩-٣٤١.

(٤) حتاملة، الأندلس، ص٣٧٣-٣٧٦.

(٥) ابن حيان، المقتبس، ص٤٣٥؛ حتاملة، الأندلس، ص٣٧٨.

(٦) ابن حيان، المقتبس، ص٤٣٦؛ حتاملة، الأندلس، ص٣٧٨- ٣٧٩.

الشروط التي فرضها الناصر[1].

ولم يلبث النصارى أن نكثوا عهدهم، فأرسل الناصر جيوشه إلى بلادهم خلال السنوات ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م، و٣٣٦هـ/ ٩٤٧م، و٣٣٩هـ/ ٩٤٧م، و٣٤٤هـ/ ٩٥٥م، وقد حققت هذه الجيوش انتصارات ساحقة على النصارى، وافتتحت كثيراً من حصونهم، وقتلت عشرات الآلاف منهم[2]. وكان الناصر قد استثمر كل وقته في الجهاد وإخماد الفتن والثورات، إلى جانب البناء والتعمير[3].

وقد توفي الناصر في صدر رمضان سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م[4]، بعد حكم دام خمسين سنة وسبعة أشهر وثلاثة أيام[5]. وولي الخلافة بعده ابنه الحكم الثاني (المستنصر بالله) (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م)[6]، فقد بويع ثاني يوم وفاة أبيه، أي في الثالث من رمضان سنة ٣٥٠هـ، وأول ما أخذ البيعة على صقالبة قصره ومنهم جعفر بن عثمان المصحفي الذي ولاه الحجابة سنة ٣٥١هـ/ ٩٦٢م[7].

وكان أول ما فعله المستنصر في بدايات حكمه، هو العمل على كسر شوكة النصارى الذين أطمعتهم وفاة الناصر بالأندلس، فقد قاد حملة سنة ٣٥١هـ/ ٩٦٢م، واقتحم بعض مدنهم، منها شنت اشتيبن (San Esteban) «وفتحها عنوة واستباحها»[8] وأمام عنف المستنصر اضطر النصارى إلى تجنب مواجهته، وعقد السلم معه[9]. وعندما نكثوا عهودهم دوخ بلادهم بالحملات المتتابعة، وخاصة بلاد ألبة، وكان في كل سنة تقريباً يرسل حملة أو أكثر، مما أدى إلى زرع الرعب والهلع في قلوب النصارى، فعادوا إلى طلب الصلح، والتماس الهدنة، وقد اضطرهم إلى ذلك ما وقع بينهم وبين المسلمين في سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م، حيث دارت بين الطرفين معركة كبرى على ضفاف نهر دويرة «فنزل بينهم قتال شديد وراء النهر

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ص٤٦٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٢، ٢١٧-٢٤٠؛ حتاملة، الأندلس، ص٣٨٠-٣٨١.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٦٦، ٣٧٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٠٩؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٥٨-٥٩؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٨٤-١٨٥.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٥٩.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٧٩.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٦٠؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٨٧-٣٨٨.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٣٦٠؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٨٧-٣٨٨.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٢-٣٨٣.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٨٥.

حميت منه نفوس المسلمين، فجلدوهم القتال... فزلزل الله بالمشركين، وولوا مقتحمين النهر والسيوف آخذة مآخذها من نحور الكفرة وظهورهم»[١].

وتعرضت سواحل الأندلس الغربية في عهد الحكم لهجوم المجوس ثلاث مرات، كانت الأولى في سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م، والثانية في سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م، والثالثة في سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م، إلا ان رد أساطيل الحكم كان قوياً عنيفاً، مما أفشل هجومهم في كل مرة[٢].

ووطد المستنصر نفوذه في المغرب، وقضى على ثورة هناك قام بها ضده الحسن بن قنون الحسني، وقطع الدعوة للأمويين، وذلك في سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م[٣]، فقد أرسل أساطيله بقيادة عبدالرحمن بن رماحس الذي هاجم طنجة، واستولى عليها في ذي القعدة من تلك السنة [٤]، ثم استولى جيشه على مدينة أصيلا، ومحا آثار الشيعة فيها[٥]. ثم جمع الحسن بن قنون فلول جيشه، وحاول التصدي للأندلسيين في المغرب، إلا أنه فشل في كل محاولاته، فانفض من حوله مما اضطره إلى الإذعان والخضوع لحكم المستنصر، وذلك في سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م[٦].

وقد توفي المستنصر في الثالث من رمضان سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م، بعد حكم خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وثلاثة أيام[٧]، وتولى الخلافة بعده ابنه هشام (المؤيد بالله) (٣٦٦-٤٠٣هـ/ ٩٧٦-١٠٢١م)، وكان صغيراً اختلفت الروايات في تحديد عمره، وحسب هذه الروايات لم يتجاوز عمره اثنتي عشرة سنة [٨].

وتذكر بعض المصادر أن هشاماً بن الحكم نظراً لصغر سنه لم يظهر للناس، ولم ينفذ له أمر[٩]. وقد قام بأمور الأندلس في عهده أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي الذي

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٢٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٨-٢٤١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٨٣-٣٨٤؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٢٧.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٦٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٢.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٥؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٨٩.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٦؛ حتاملة، الأندلس، ص٣٩٣.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٨؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٩٤ وما بعدها.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٨٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٣.

(٨) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٨٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٣، المراكشي، المعجب، ص١٤؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٨٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٦.

(٩) المراكشي، المعجب، ص١٤.

http://al-maktabeh.com

قلده الحجابة[١]، والمنصور محمد بن أبي عامر، الذي قلده الوزارة[٢]. وقد خطط ابن أبي عامر منذ البداية للسيطرة على مقاليد الأمور كلها[٣]، وتنفيذاً لهذه الخطة حجب هشاماً عن الناس، وأبعد المتنفذين في الدولة عن مناصبهم، وفتك بالصقالبة الذين كان يعتمد عليهم في حراسة القصر، وإدارة البلاد[٤]. كما تمكن المنصور من الاستيلاء على قيادة الجيش[٥]، وبذلك جمع في يده مقاليد الأمور.

وقاد المنصور جيشاً ضد النصارى في عدد كبير من الغزوات، حقق خلالها انتصارات كبيرة، وكانت أولى غزواته في رجب سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م إلى الثغر الأعلى حيث «غنم وسبى، وقفل بالسبي والغنائم إلى قرطبة»[٦]. وقاد غزوته الثانية خلال السنة نفسها، فافتتح حصن مولة «وظهر فيه على سبي كثير، وغنم المسلمون أوسع غنيمة»[٧]. وقام في صفر من سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م بغزوته الثالثة ضد النصارى، وحقق انتصارات أيضاً[٨].

وكان المنصور يخطط منذ البداية إلى انتزاع الحجابة من جعفر بن عثمان المصحفي، وقد انتزعها فعلاً؛ إذ ظل يدس ضده لدى الخليفة هشام بن الحكم حتى صدفه عن الحجابة وولى عليها المنصور[٩].

وهكذا استفحل المنصور، وأخذ يقوم بما يعجز بعض الخلفاء عن القيام به، فقد أمر ببناء مدنية بطرف قرطبة على نهر الوادي الكبير سماها (الزاهرة)، وانتقل إليها سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م بعد أن شحنها بالأسلحة والأموال والأمتعة، وغيرها، وأقطع ما حولها لوزرائه وكتابه وقواده وحجابه[١٠]. وتلقب بالمنصور سنة ٣٧١هـ / ٩٨١م ودعي له على المنابر بهذا اللقب[١١].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٠٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٦؛ المراكشي، المعجب، ص١٤-١٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٨؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٠١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٩-٢٦١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٦؛ المراكشي، المعجب، ص١٥.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٦٤.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦٤.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦٥.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦٧.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٦٧-٢٦٨.

(١٠) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٦٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٠٧؛ المراكشي، المعجب، ص١٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٨٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٠٦.

(١١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٢٧٩-٢٨٠؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٧؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٨٩-١٩٠.

وكان المنصور دموياً في تعامله مع منافسيه، ومع أعداء الدولة من الثوار، وكان يضرب بعضهم ببعض حتى تخلص منهم وصفا له الجو. وقد تمكن بهذه الطريقة من السيطرة على المغرب[١].

وجند المنصور أعداداً كبيرة من البربر والمماليك[٢]،«وأخر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم»[٣]. وفي سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م رشح ابنه عبدالملك للولاية، وقدم أخاه عبدالرحمن للوزارة[٤]، وأكثر من البربر في الأندلس[٥].

واستمر المنصور في قيادة الصوائف والشواتي إلى بلاد النصارى، وقد تجاوز عدد غزواته إلى بلادهم سبعاً وأربعين غزوة، وكانت أشدّ هذه الغزوات وأعنفها غزوته الثامنة والأربعون التي هدم خلالها كنيسة شانت ياقوب «وكانت كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا، فيها يحلفون وإليها يحجون من أقصى بلاد رومة وما وراءها»[٦]. ولم يكتف المنصور بهدم الكنيسة، وإنما هدم أيضاً سور المدينة وما فيها من مصانع ومعالم[٧]. وقد استمرت غزوة شنت يا قوب من ٢٤ جمادى الآخرة سنة ٣٨٧هـ إلى الثاني من شعبان من السنة نفسها (٩٩٧م). ولم تكن الغزوة الأخيرة التي قادها، فقد كان، وخاصة في أواخر عهده، يغزو مرتين في السنة[٨]، وقد توفي في إحدى هذه الغزوات، في رمضان سنة ٣٩٢هـ / آب ١٠٠٢م[٩].

وكان المنصور، إلى جانب غزو النصارى، شغوفاً بالعمران، كما كان محباً للعلم والعلماء، ومما بناه: قنطرة على نهر الوادي الكبير، وقنطرة أخرى على نهر شنيل، ومسجد جامع في قرطبة، هذا إضافة إلى بنائه مدينة الزاهرة[١٠].

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٢٨٢؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٠٨-٤٠٩.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٧؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٨٩.

(٤) حتاملة، الأندلس، ص٤٠٩.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٢٩٣-٢٩٤.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤١٣-٤١٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٢٩٤.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤١٥؛ وانظر التفاصيل: حتاملة، الأندلس، ص٤١٠-٤١١.

(٨) المراكشي، المعجب، ص٢١.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٣٠١؛ المراكشي، المعجب، ص٢١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٠٢.

(١٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٢٨٧-٢٩٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٠٨-٤٠٩؛ حتاملة، الأندلس، ص٤١٢-٤١٣.

وقد خلف المنصور ابنه عبد الملك بن أبي عامر، الذي أقره الخليفة هشام «على ما كان عليه أبوه معه»[١]، فقد ولي الحجابة للخليفة الأموي في ٢٧رمضان٣٩٢هـ / ١٠٠٢م، واتخذ من الألقاب السلطانية: المظفر وسيف الدولة[٢]. وكان عبدالملك ذا شخصية مهزوزة؛ فقد كان يستغرق في الملذات، ويسرف في شرب النبيذ، ولكنه يستشعر الذنب، ويلجأ إلى الله باكياً طالباً الغفران حالما يصحو من سكره، وكان إلى جانب ذلك شجاعاً في ميادين القتال[٣].

وقد حقق على النصارى بعض الانتصارات، فخلال عام ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م قاد حملة توجه بها إلى طليطلة، ومنها إلى مدينة سالم حيث وافاه عدد من موفدي ملوك النصارى، منهم شانجه (سانشو) بن غرسيه، ملك النافار، وألفونسو بن أردون، وجدد السلم معهم، ثم استأنف سيره إلى سرقسطة، ومنها واصل زحفه شمالاً، ودوخ بلاد الكفرة الذين لم يكن بينه وبينهم عهد، وقد دمر خلال هذه الحملة خمسة وثمانين حصناً، وسبى من النصارى خمسة آلاف وخمسمائة وسبعين رأساً [٤].

وقاد المظفر حملة أخرى ضد النصارى سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م، وحملة ثالثة سنة ٣٩٦هـ / ١٠٠٥م، وحملة رابعة سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م، واستهدف خلال هذه الحملات ممالك النصارى، وخاصة مملكة النافار التي نقضت العهد معه، وافتتح عدداً من الحصون، وحقق انتصارات كبيرة، حيث ألحق بجيوش ملك النافار هزيمة ساحقة [٥]. واستعد المظفر سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م لغزو سانشو بن غرسيه مرة أخرى، وخرج على رأس الجيش، إلا أنه عاد قبل أن يحقق هدفه بسبب مرض ألم به، وقد توفي ليلة الجمعة ٤ صفر ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م[٦]، وتذكر بعض المصادر أنه مات مسموماً على يد أخيه عبدالرحمن[٧].

وولي عبدالرحمن الذي تلقب بـ (الناصر)، وغلب عليه لقب (شنجول)، الحجابة للخليفة الأموي هشام بن الحكم (المؤيد بالله)، وكان شنجول أكثر إسرافاً وإقبالاً على المجون

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٦٦.

(٢) المراكشي، المعجب، ص٢٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٢٣؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٦٥-٦٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٤-٩؛ حتاملة، الأندلس، ص٤١٥-٤١٦.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٠-٢١؛ حتاملة، الأندلس، ص٤١٧-٤١٨.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٣-٢٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٥٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٨٣.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٨٣-٨٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٣٦-٣٧؛ ؛ حتاملة، الأندلس، ص٤١٨-٤١٩.

والملذات وشرب الخمور، من أخيه المظفر[1]، وقد بدأ عهده بالتزلف للخليفة هشام الذي لقب شنجول بـ(الحاجب المأمون ناصر الدولة أبي المطرف)[2]، ثم أخذ شنجول يضغط على الخليفة حتى ولاه عهده، وذلك في سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م[3].

وقد أشاع شنجول خبر توليته العهد في الأندلس، وأشاع في الناس أن الخليفة ولاه عهده، واختاره للخلافة دون الأمويين بني عمه وأهله، فثارت ثائرة الأمويين وفي مقدمتهم محمد بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر، وقد حقدوا على شنجول، وأجمعوا على الإطاحة به[4]، وقد تمكنوا من ذلك، حيث كان شنجول على رأس جيشه في جليقية لمحاربة النصارى عندما هاجم محمد بن هشام بن عبدالجبار قصره في قرطبة في ١٦ جمادى الأولى ٣٩٩هـ/١٠٠٨م، ثم هاجم قصر الخليفة هشام المؤيد، وتلاحقت الأحداث التي تم خلالها خلع هشام، وتولّى ابن عبد الجبار الخلافة[5].

ولقب الخليفة الأموي محمد بن هشام بن عبدالجبار نفسه بـ (المهدي)، وبايعه الناس في جمادى الآخرة من سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م[6]. وقد استغل المهدي غياب شنجول في جليقية، ودمرت قواته مدينة الزاهرة تدميراً تاماً[7]، وعندما علم شنجول بما يدور في قرطبة دعا أنصاره إلى محاربة أهل قرطبة، وكان من بينهم البربر الذين سرعان ما انحازوا عنه، والتحقوا بقوات الخليفة، فاضطر شنجول، وقد انفض الناس من حوله، إلى التخلي عن ولاية العهد، ثم حاول الهرب إلى بلاد النصارى، غير أن قوات المهدي لحقت به وقتلته، وعادت بجثته إلى قرطبة[8].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٨٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٤٠-٤١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٢٤؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٢٠-٤٢١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٨٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٤٤-٤٦؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٢٤-٤٢٥.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٢٦؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٦٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٨٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٤٢-٤٣.

(٥) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٩٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٨٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٢٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٦٠-٦١.

(٦) المراكشي، المعجب، ص٢٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٦١-٦٢.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٦٤، ٦٥.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٩-٧٢؛ المراكشي، المعجب، ص٢٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٢٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٨٤.

وكان الخليفة هشام المؤيد في تلك الأثناء سجيناً لدى المهدي الذي أوهم الناس أنه مات[1]، كما قام المهدي بسجن أحد منافسيه من الأمويين وهو سليمان بن هشام بن عبدالرحمن الناصر، وسجن معه جماعة من قريش، وإضافة إلى ذلك أساء إلى زعماء البربر. وعلى مستوى الأخلاق الشخصية كان المهدي خالعاً سكيراً، فنبذه الناس، وأخذوا يبحثون عن بديل يولونه أمرهم[2].

وقد وجد البربر أن البديل المناسب هو هشام بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر، فقصدوا داره، وأخرجوه منها، وبايعوه في أواخر شوال من سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م، وقد تلقب بـ (الرشيد)، غير أن المهدي تمكن من قتله، وتشتيت من كانوا معه[3].

وجمع البربر فلولهم، وتوجهوا إلى سليمان بن الحكم بن عبدالرحمن الناصر، وكان مقيماً بشقندة، وبايعوه بالخلافة في ذي القعدة من سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م، ولقبوه بـ(المستعين)، وعقدوا العزم على التخلص من المهدي بأي ثمن، حتى وإن كان ذلك بالتحالف مع النصارى. وقد استنجدوا بالنصارى فعلاً، فأعانوهم ضد المهدي، ونشبت معركة هائلة في قرطبة بين المستعين والبربر والنصارى من جهة، والمهدي ومؤيديه من جهة أخرى، كان النصر فيها للمستعين، وقد قتل في تلك المعركة أكثر من ثلاثين الفاً من المسلمين «فكانت أول ثارات المشركين على المسلمين»[4].

وتمكن المهدي بعد هزيمته من الإفلات من قبضة المستعين، حيث هرب، وأخذ يجمع الأنصار حوله، وخاصة أهالي طليطلة الذين كانوا يؤيدونه، ومثلما فعل المستعين من قبل استعان المهدي بالنصارى فأعانوه، وهزمت جموعهم المستعين الذي فر إلى شاطبة، وبذلك استعاد المهدي ملكه، وصمم على ملاحقة البربر، وكسر شوكتهم، فطاردهم بقواته من المسلمين وقوات النصارى، غير أن بعض مؤيديه، وفي مقدمتهم العامريون غدروا به وقتلوه في ذي الحجة من سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، وأعادوا هشاماً المؤيد إلى كرسي الخلافة، وجددوا له البيعة[5].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٧٧؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٦٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٧٧- ٧٨؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٢٧؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٦٨؛ وانظر التفاصيل: حتاملة، الأندلس، ص٤٢٧-٤٢٨.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٨٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٢٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٨٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٢٩.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٨٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٨٤-٨٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٢٨.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٠٠-١٠١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٨٥؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٣٠-٤٣٤.

http://al-maktabeh.com

وقد عين هشام المؤيد الفتى واضح العامري حاجباً له، ودعا المستعين ومن معه من البربر إلى الدخول في طاعته، فرفضوا، بل شددوا الحصار على قرطبة، واشتبكوا مع أهلها، وقتلوا كثيرين منهم، وأهلكوا الزرع والضرع[١]. وحاول واضح العامري الصلح معهم فقتلوه[٢]. واستمروا في الإغارة على نواحي قرطبة، وفتكوا بأهالي جيان وبلنسية. ثم هاجم المستعين والبربر قرطبة، وهزموا أهلها هزيمة شنيعة في شوال من سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م[٣].

وهكذا تمكن المستعين من استعادة كرسي الخلافة بمساعدة البربر، بعد أن خلع هشاماً المؤيد وقتله سراً[٤]. وبعد استقرار المستعين في أعقاب الأحداث الدموية على كرسي الخلافة أخذ البربر يعيثون في البلاد، ويستولون على أنحائها، حيث كان كل زعيم منهم يستولي على مدينة، ويتقلد الحكم فيها. أما العامريون فقد هربوا من قرطبة إلى شرقي الأندلس، واستولوا على عدد من المدن منها بلنسية، وشاطبة، ودانية[٥].

لقد تغلب البربر على معظم أنحاء الأندلس، وخلعوا طاعة المستعين عندما دخل الأندلس علي بن حمود الحسني الذي ينتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب قادماً من المغرب، حيث أيده البربر، وتعصبوا له، كما أيده العامريون. وقد قتل علي بن حمود الحسني المستعين وأخاه عبدالرحمن، وغيرهما من الأمويين، وذلك في المحرم من سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م[٦]، وبعد قتلهم حاول الحسنيون من بني هاشم إقامة خلافة لهم في الأندلس، فقد استولى علي بن حمود على قرطبة، ودعا الناس إلى بيعته، وتسمى أمير المؤمنين وذلك يوم الأحد ٢٢محرم ٤٠٧هـ / ١٠١٦م[٧]، أي بعد مقتل سليمان بن الحكم (المستعين بالله) في تلك السنة، حيث بدأ البيت الأموي بالانهيار، وقد بدا علي بن حمود الحسني الذي تلقب بـ (الناصر) عهده بالتنكيل بالبربر[٨]، ونكل ايضاً بأهالي قرطبة «وأغرمهم ضروباً من المغرم،

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٠١-١٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٤-١٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٦-١١٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٢٩؛ المراكشي، المعجب، ص٢٢؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٣٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٤٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١١٢ وما بعدها.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١١٥؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٣٥.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١١٧؛ المراكشي، المعجب، ص٢٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٨٤؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٣٥-٤٣٦.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٨٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٢٠؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٩٥.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٢١.

وعزم على إخلائها وإبادة أهلها»[١]. وكان الناصر يستعد لقتال منافسيه ومعارضيه، وخاصة خيران العامري الذي خرج إلى شرقي الأندلس عاصياً، ومؤيداً لأموي ظهر هناك هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر، حيث بايعه خيران وغيره، ولقبوه (المرتضي)[٢]. غير أن (الناصر) أي علي بن حمود الحسني قتل قبل أن يتوجه من قرطبة لقيادة جيشه الذي كان بانتظاره في ظاهرها [٣].

وبويع بعد علي (الناصر) بالخلافة أخوه القاسم بن حمود الحسني يوم الثلاثاء ٤ من ذي القعدة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م [٤]، وتلقب بـ (المأمون)، وقد بدأ عهده بالإحسان إلى الناس، واستمال العامريين فاستجاب بعضهم، وأطاعوه [٥]، وقبض على قتلة أخيه، وكانوا ثلاثة من الصقالبة، وقتلهم، وبعد ذلك «أقر القاضي والحكام والعمال على منازلهم»[٦] فارتاح الناس، واستبشروا خيراً. غير أن عهده لم يطل، فقد تآمر عليه ابنا أخيه الناصر وهما: يحيى وإدريس، وقد تمكن يحيى من إضعافه، ومن ثم انتزاع كرسي الخلافة من تحته، بينما فر المأمون إلى إشبيلية[٧].

وقد تلقى يحيى بن حمود الذي تلقب بـ (المعتلي) بيعة الناس في قرطبة في جمادى الأولى ٤١٢هـ / ١٠٢١م[٨]، وبينما كان يدعى للمعتلي بالخلافة في قرطبة، كان يدعى لعمه القاسم بالخلافة في إشبيلية[٩]. وقد انتهز المأمون فرصة خروج المعتلي من قرطبة إلى مالقة، فهاجمها، وتم تجديد البيعة له فيها في ١٨ من ذي العقدة ٤١٣هـ / ١٠٢٢م[١٠].

وهكذا تلاحقت الأحداث في الأندلس، وتخلى البربر عن المأمون، ولحقت كل طائفة منهم ببلد واستولت عليه [١١]، فعاد المأمون إلى إشبيلية، إلا أن أهلها أغلقوا أبوابها دونه، وأصبحت قرطبة تعاني من فراغ سياسي، وعندئذ ظهر الأموي عبدالرحمن بن هشام

---

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص١٢١.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٨٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٨٥-٢٨٦.

(٤) المراكشي، المعجب، ص٢٨؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٣١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٥٤.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٨٦.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٣٠.

(٧) المراكشي، المعجب، ص٢٨-٢٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٣٠-١٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٨٦؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٤٤.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٨٦.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٣٢؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٤٥.

(١٠) المراكشي، المعجب، ص٢٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣٣.

(١١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٣٢؛ المراكشي، المعجب، ص٢٩.

(المستظهر) فبايعه أهلها بالخلافة في رمضان ٤١٤هـ / ١٠٢٣م[١].ثم مال أهل قرطبة إلى اختيار سليمان بن المرتضي خليفة، غير أن المستظهر فاجأهم وأفشل خطتهم[٢]. ولم يتمكن المستظهر من الاحتفاظ بكرسي الخلافة، ذلك أنه فتك بكثيرين من رجال قرطبة فكرهوه، ثم قتلوه، وبايعوا محمد بن عبدالرحمن بن عبيد الله الناصر، ولقبوه (المستكفي بالله)، وذلك في ٣ من ذي القعدة ٤١٤هـ / ١٠٢٣م[٣].

وقد كان المستكفي فاسقاً سيء الخلق، منصرفاً إلى اللهو والعبث[٤]، ولذلك لم يقو أهل قرطبة على احتماله طويلاً، فثاروا عليه، وخلعوه، ثم أخرجوه من قرطبة، وبعد سبعة عشر يوماً من خلعه وجد مقتولاً، وذلك في ربيع الآخر ٤١٦هـ / ١٠٢٥م[٥].

وهكذا توالت الأحداث، وفشلت محاولات القرطبيين في إيجاد خليفة مناسب يتولى زمام السلطة، وكانت الأنظار ما تزال تتجه إلى بني أمية، لعلها تجد خليفة منهم يضبط الأمور، ويعيد للأندلس أمجادها. وقد قاد عملية البحث عن خليفة أموي «عميد الجماعة وكبير قرطبة»[٦] أبو الحزم جهور بن محمد بن عبيد الله، فوجد هشام بن محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر في شرقي الأندلس، فعمل على إحضاره، وأجلسه على كرسي الخلافة في ٨ من ذي الحجة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م، وقد اتخذ لقب (المعتد بالله). واكتشف أهل قرطبة خلال نحو سنتين من حكمه أنه ليس ذلك الخليفة الذي توقعوا أن يملأ الفراغ، ويعيد إلى قرطبة والأندلس الأمجاد السالفة، فخلعوه في ٢ من ذي الحجة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م، ثم أخرجوه من قرطبة، فالتجأ إلى سليمان بن هود الجذامي الذي كان قد تغلب على الثغر الأعلى، وظل عنده إلى أن توفي سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م[٧].

وبخلع المعتد بالله سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م انفرط عقد الخلافة الأموية في الأندلس، وفي المغرب أيضاً، وانقطعت الدعوة لبني أمية، فلم يعد لهم ذكر في جميع أقطارهما، وتفرق شمل الأندلس، وأصبحت- بعد أن كانت دولة واحدة مرهوبة الجانب – دويلات كثيرة، وإمارات

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٣٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٣٧-٤٣٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٣٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٤٠-١٤١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٨٧.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٤١.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٨٧؛ المراكشي، المعجب، ص٣٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٤١-١٤٢.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٣٨؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٩٦.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٣٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٤٤-١٥١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٩٠؛ ؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٥٣-٤٥٦.

شتى، وقد عبر ابن خلدون عن هذا الوضع فقال: «صار ملكها في طوائف من الموالي والوزراء وأعياص الخلافة وكبار العرب والبربر، واقتسموا خططها، وقام كل واحد بأمر ناحية منها، وتغلب بعض على بعض، واستقل أخيراً بأمرها ملوك استفحل شأنهم»[١].

وقال ابن عذاري «فمن هذا التاريخ (٤٢٢هـ / ١٠٣٠م) كثرت الفتنة، وتمادى وانتزى كل واحد في موضعه، واستبد رؤساء الأندلس وثوارها فيما بين أيديهم من البلاد والمعاقل، وبغى بعضهم على بعض، ولله الحول والقوة»[٢].

وكان ابن الكردبوس أوضح تعبيراً عما حل بالأندلس بعد انهيار الخلافة الأموية، فبعد انقطاع اسم الخلافة «دارت الدوائر المبيرة، وفسد حال الرائس والمرؤوس، وارتفع كل خامل وخسيس، وثار الثوار، واشتعلت بكل مكان النار»[٣].

ويلاحظ أن في هذه الأقوال استشرافاً لعهد جديد من العهود التي مرت بها الأندلس، وهو عهد ملوك الطوائف.

خامساً: عهد ملوك الطوائف

بدأ هذا العهد بإلغاء الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م، وكانت الأندلس خلاله موزعة إلى دويلات وإمارات شتى ينضوي زعماؤها وقادتها تحت ثلاث مجموعات رئيسة، هي: أهل الجماعة، والبربر، والصقالبة. ومن أهل الجماعة: بنو جهور، وبنو عباد، وبنو هود، وبنو تجيب، وبنو برزال. وأما البربر فيقصد بهم هنا أولئك البربر الذين وفدوا على الأندلس في فترة حكم المنصور محمد بن أبي عامر، واستقروا فيها، ومنهم: بنو زيري. وأما الصقالبة فهم العامريون[٤].

وقد أسس هؤلاء الزعماء دويلات وإمارات في الأندلس، ووقعت فيما بينهم حروب بسبب محاولة كل منهم التوسع على حساب الآخرين، وقد استغل النصارى هذه الأوضاع، حيث

---

(١) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٠.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٥٢.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٦٨.

من أجل الاستزادة عن عهد ملوك الطوائف في الأندلس انظر المراجع التالية:

- *LEVI- PROVENCAL* (E.), L'Espana musulmane au Xe siecle, institutions et vie sociale, Paris, 1932.
- *Dosy (R.P.A), Spanish* Islam, Eng. Tr. (from: Histoire des Musulmans d'' Espagne) by F.G. Stokes, London,1913.
- *PHMS. = S.M. IMAMUDDIN*, A Political History of Muslim Spain, Dacca, 1961.

(٤) حتاملة، الأندلس، ص٤٥٧.

وجدوها ملائمة لاحتلال الأندلس، فراحوا يقضمون أطرافها، ويوسعون ممالكهم التي أصبحت بمرور الزمن ممالك قوية تمكنت في نهاية المطاف من إخراج المسلمين من الأندلس[١].

دويلة قرطبة

كان بنو جهور هم أول من بادر إلى إلغاء الخلافة الأموية في الأندلس، وبعد إلغائها تولى أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور إدارة حكومة قرطبة التي ضمت عدة مدن في وسط الأندلس مثل: جيان وبياسة، وامتدت حدودها من جبل الشارات (Sierra Morena) شمال قرطبة حتى حدود ولاية غرناطة[٢].

وقد أظهر أبو الحزم جهور أنه ليس طامعاً في الملك، ولا حريصاً عليه، ونعمت قرطبة في عهده بالاستقرار، وعمها الرخاء، وظلت كذلك طوال فترة حكمه التي امتدت نحو ثلاث عشرة سنة، حيث توفي في غرة صفر سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م[٣].

وتولى حكم قرطبة بعد وفاة أبي الحزم ابنه الوليد (الرشيد) وقد بدأ عهده مقتفياً سياسة والده، إلا أنه حاول أن يستغل سلطته، فيجعل حكم قرطبة وراثياً، فقد حاول أخذ البيعة لابنه عبدالملك الذي كان فاسداً، فسخط أهل قرطبة على الرشيد، وتحينوا الفرصة المواتية لخلعه وخاصة أن ابنه عبدالملك تجاوز كل الحدود، حيث استباح الأموال، وشرع في المعاصي والفسوق، ثم أخذ ينافسه أخوه عبدالرحمن على السلطة مما أغضب أهل قرطبة من الرشيد الذي ما لبث أن مات بعد إصابته بالفالج، وكانت وفاته سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م[٤].

وقد تغلب عبدالملك بن جهور على أخيه، واستبد بحكم قرطبة التي زادت أمورها سوءاً عندما هاجمها المأمون يحيى بن ذي النون، وهو الأمر الذي دفع عبدالملك إلى طلب العون من المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية، فأعانه. وبعد هزيمة المأمون خلع أهل قرطبة عبدالملك، وولوا على قرطبة ابن عباد، وذلك سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م[٥].

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٥٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٩٠؛ المراكشي، المعجب، ص٣٢؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٢٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٦٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٩١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٨٦-١٨٧؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٦١-٤٦٢.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٣٢، ٢٥٦، ٢٦٠؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٦٤.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٥٧-٢٥٩؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٤؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٦٥؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٢٥.

http://al-maktabeh.com

دويلة إشبيلية

دخل جد بني عباد إلى الأندلس، وهو عطاف بن نعيم اللخمي، مع طالعة بلج بن بشر القشيري[١]، وقد تقلب عميد أسرتهم إسماعيل بن عباد في مناصب الدولة الأموية كان آخرها قضاء إشبيلية. وعندما انفرط عقد الخلافة الأموية تمكن من السيطرة على الأمور في إشبيلية بطريقة أرضت عموم أهلها. وبعد اعتزاله بسبب كبر سنه[٢] تولى منصب القضاء أبو القاسم محمد بن إسماعيل، ثم مال أهل إشبيلية إلى الاستقلال في إدارة مدينتهم بسبب الأوضاع العامة التي مرت بها الأندلس، واختاروا مجلساً لإدارتها مكونا من: أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد، وأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، ومحمد بن مريم الألهاني[٣].

وقد حكم مجلس إدارة إشبيلية في البداية بشكل جماعي[٤]، ثم بدأ أبو القاسم يتجه إلى الاستقلال بالحكم دون شريكيه إلى أن انفرد به، ورضي به الناس وذلك في شعبان ٤١٤هـ / ١٠٢٣م[٥]. وظل أبو القاسم الذي تلقب بذي الوزارتين، ونظم حكم إشبيلية أحسن تنظيم، ظل يحكم إشبيلية حتى وفاته في جمادى الأولى سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤٢م[٦].

وولي الأمر في إشبيلية بعد وفاة أبي القاسم ابنه أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل، وذلك في جمادى الأولى ٤٣٣هـ / ١٠٤١م. وتلقب بالمعتضد[٧] «وكان شهماً صارماً حديد القلب، شجاع النفس، بعيد الهمة، ذا دهاء»[٨].

وقد اعتمد المعتضد القوة في تحقيق أهدافه في الداخل والخارج[٩]، وكانت سياسته الخارجية تقوم على ضرب دويلات الطوائف ببعضها ليتاح له ضم المزيد من الأراضي إلى دويلة إشبيلية. وقد هاجم لبلة للاستيلاء عليها من صاحبها أبي عبدالله محمد بن يحيى

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص١٩٤؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٨٨؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٢٧.

(٣) ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٦٥٨هـ)، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٦٣، ج٢، ص٣٧.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٣١٥.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٣١٥؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠١؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٨٩.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٩١؛ المراكشي، المعجب، ص٥٠.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٠٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٩١؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٢٨.

(٨) المراكشي، المعجب، ص٥٠.

(٩) ابن عبود، محمد، التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، تطوان، ١٩٨٣، ص٦١-٦٣.

اليحصبي (عز الدولة)، فاستغاث ابن يحيى بالمظفر بن الأفطس، فأمده بقوة عسكرية، ودارت حرب ضروس بين الزعماء الثلاثة أسفرت عن عدول اليحصبي عن الاستعانة بابن الأفطس ووالى المعتضد[١].

واستطاع المعتضد خلال فترة حكمه أن يقضي على الدويلات القائمة في غربي الأندلس، فقد استولى على جزيرة شلطيش، ومدينة شنتمرية، ومدينة لبلة، ومدينة شلب، وأصبحت دويلة إشبيلية تمتد في عهده من نهر الوادي الكبير حتى المحيط الأطلسي غرباً، ثم استولى على رندة وأركش وشذونة وموررو وقرمونة والجزيرة الخضراء[٢].

وتوفي المعتضد بن عباد سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م[٣]، وولي بعده ابنه أبو القاسم محمد بن عباد، وتلقب بالمعتمد على الله، والظافر بحول الله. وقد غلب عليه لقب المعتمد[٤]. وكان المعتمد ذكي النفس، غزير الأدب، كما كان شجاعاً سخياً نزيهاً[٥]. وقد سار على نهج والده في اتباع سياسة التوسع. وامتدت دويلة إشبيلية في عهده إلى مدينة مرسية التي تبعد عن إشبيلية اثنتي عشرة مرحلة [٦]، وضمت دويلة إشبيلية أيضاً دويلة غرناطة التي أقامها الصنهاجيون من البربر على يد باديس بن حبوس بن ماكس بن زاوي بن زيري الصنهاجي[٧].

وكان باديس قد توفي سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م فولي بعده حفيده عبدالله بن بلقين [٨] الذي اشتدت حرب المعتمد بن عباد معه، وكان المعتمد يخطط للاستيلاء على غرناطة بأي ثمن، ولذلك عقد حلفاً مع ملك قشتالة ألفونسو السادس، ودفع له خمسين ألف دينار على أن يساعده في الاستيلاء عليها. وقد استغل ألفونسو ذلك، فعاث في بسائط غرناطة تخريباً وتدميراً. وقد خشي ابن بلقين على ملكه فاستعان هو الآخر بالملك ألفونسو، وتعهد بأن يدفع له جزية سنوية تبلغ عشرة آلاف مثقال من الذهب، وكان ألفونسو يأخذ الأموال ويترك المتنافسين يقتتلان بهدف إضعاف الأندلس، ويبدو أن المعتمد وابن بلقين أدركا ذلك،

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢١٠-٢١١.

(٢) السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٣١.

(٣) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٩١.

(٤) المراكشي، المعجب، ص٥٤؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٥٤.

(٥) المراكشي، المعجب، ص٥٤.

(٦) المراكشي، المعجب، ص٦٩.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٦٢-٢٦٤؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٩٨.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٦٦.

فاتفقا في أواخر سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م، ومع ذلك ظل المعتمد يخطط للاستيلاء على غرناطة، إلا أن سقوط طليطلة في يد النصارى سنة ٤٧٨هـ / ١٠٩١م حال دون ذلك[١].

وكان ألفونسو السادس بعد احتلاله طليطلة قد اشتط في مطالبه من المعتمد الذي كان يرسل له جزية سنوية، فقد طلب ألفونسو من المعتمد أن يتخلى له «عن جميع الحصون التي في الجبل، ويبقي السهل للمسلمين»، فرفض المعتمد، وبدأ يستعد لمواجهة ألفونسو، وكان من ضمن استعدادته طلب الغوث من المرابطين الذين أغاثوه، ومن ثم استولوا على إشبيلية، وذلك سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩٢م، كما سيأتي[٢].

دويلة بطليوس

تقع هذه الدويلة إلى الشمال والشمال الغربي من دويلة إشبيلية، وتفصل بينهما جبال الشارات، وقد كانت تشمل جميع أراضي البرتغال تقريباً، وعاصمتها مدينة بطليوس، أما أهم مدنها فهي: ماردة، ولشبونة، وشنترين، ويابرة، وشنترة، وقلمرية [٣].

وقد أنشأ دويلة بطليوس أبو محمد عبدالله بن مسلمة بن الأفطس [٤]، وهو من قبيلة من قبائل مكناسة من البربر[٥]، إلا أن بني الأفطس انتسبوا إلى قبيلة عربية شهيرة، وهي قبيلة بني تجيب، إحدى قبائل لخم [٦]. وبعد وفاة عبدالله خلفه ابنه محمد بن مسلمة بن الأفطس في جمادى الأولى من سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م وتلقب بالمظفر «وكان شاعراً أديباً وعالماً لبيباً، وبطلاً شجاعاً»[٧].

وكان المظفر مثل والده معادياً لبني عباد الذين عملوا على توسيع ملكهم على حساب جيرانهم، وقد استعان المظفر بالبربر، وأرسل جيشاً لمهاجمة إشبيلية، فجرد المعتضد بن

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٧٠-٧١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٩٤؛ حتاملة، الأندلس، ص٣٩٩-٥٠٠؛السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٣٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٣٨، ١٤١؛ المراكشي، المعجب، ص٧٠؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٠١-٥٠٢؛السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٣١؛ عنان، محمد عبدالله، دول الطوائف، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٨١، ٨٤.

(٣) عنان، دول الطوائف، ص٨١؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٣١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٣٥-٢٣٦؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٩٧؛ حتاملة، الأندلس، ص٥١٨.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٧٥.

(٦) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٥؛ حتاملة، الأندلس، ص٥١٨-٥٢٠.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٣٦.

عباد حملة على بطليوس، واشتبك الجيشان في عدة معارك دون أن يتغلب أحدهما على الآخر [١] وقد حاول ابن جهور الإصلاح بين الطرفين عدة مرات حتى تمكن من عقد الصلح بينهما في ربيع الأول سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م[٢]، ولكن بعد أن أنهكت قواتهما[٣].

وقد استغل ملك قشتالة وليون: فرناندو الأول اقتتال إشبيلية وبطليوس، واستولى على بعض المواقع الحصينة التابعة لابن الأفطس مثل بازو (Viseo) ومليقة (Lamego) الواقعتين على نهر دويرة، وذلك في سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م[٤]. وقد أدت الحروب بين دويلات الأندلس إلى إضعافها مما زاد من طمع ملوك النصارى بها، وخاصة ألفونسو السادس الذي تولى الملك سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م بعد وفاة والده فرناندو[٥].

وقد توفي ابن الأفطس سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م فورث الحكم ابنه المتوكل[٦] الذي كان أكثر ميلاً إلى العلوم منه إلى الحروب[٧]، ومع ذلك كان شجاعاً أبياً، فقد كتب إليه ألفونسو السادس بعد سقوط طليطلة في يده سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م يطلب منه تسليمه عدداً من القلاع والحصون، وتقديم ما يطلبه من أموال، وكتب لغيره من ملوك الطوائف مثل ذلك، غير أن المتوكل رفض بإباء، وأرسل إلى ألفونسو جواباً شديد اللهجة أكد فيه أن المسلمين لايرضون إلا بالنصر أوالشهادة[٨].

وقد حاول المتوكل توحيد الجهود في الأندلس، والوقوف صفاً واحداً أمام طغيان الملك ألفونسو السادس، غير أن ملوك الطوائف لم يستجيبوا لهذه الجهود باستثناء المعتمد بن عباد [٩].وظل بنو الأفطس يحكمون بطليوس الى ان استولى عليها المرابطون.

دويلة طليطلة

كانت طليطلة إحدى المدن المؤثرة في الأندلس، وقاعدة الثغر الأوسط، وكانت تشكل

---

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص٢١٠-٢١١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢١٢-٢١٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٥.

(٣) عنان، دول الطوائف، ص٨٤.

(٤) عنان، دول الطوائف، ص٨٦؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٢٣.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٧٦.

(٦) المصدر نفسه، ص٨٣.

(٧) المراكشي، المعجب، ص٤٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٢٢.

(٨) مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ط١، تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص٢٠-٢٣.

(٩) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٩٨؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٢٦.

حاجزاً أمام قوات الممالك الأسبانية الشمالية[١]. وقد انتزى عليها في عهد ملوك الطوائف بنو ذي النون، وهم من قبائل البربر، وكانوا يخدمون الدولة التي تزعمها المنصور محمد بن أبي عامر في أواخر عهد الخلافة الأموية[٢]. وكان أول زعماء طليطلة من بني ذي النون: إسماعيل بن عبدالرحمن بن ذي النون الذي اتبع سياسة حسنة مع أهالي طليطلة[٣]، فتقبلوه راضين.

وقد استعان إسماعيل بن عبدالرحمن الذي اتخذ لقباً سلطانياً هو (الظافر)[٤]، استعان على حكم طليطلة بشيخ من شيوخها كان يحظى باحترام أهل المدينة، وهو أبو بكر الحديدي[٥].

ولم يلبث الظافر أن توفي في سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م[٦]، فولي حكم طليطلة بعده ابنه يحيى بن إسماعيل الذي تلقب بالمأمون[٧]. وكانت مملكة طليطلة تجاور مملكة سرقسطة لأصحابها بني هود، وتقع بين الدويلتين مدينة (وادي الحجارة) التي كان المأمون وسليمان بن هود يتنازعانها. وقد استغل ابن هود وفاة الظافر واحتل المدينة[٨]. فدارت بين الطرفين معارك طاحنة استعان خلالها المأمون بالنصارى، الذين استغلوا ذلك، وعاثوا في بلاد المسلمين (دويلة ابن هود) طولاً وعرضاً حتى خربوها وأنهكوها. وكانت هذه القوات النصرانية تابعة لغرسيه بن سانشو، حاكم النافار[٩].

وانزلق سليمان بن هود، بعد رحيل قوات النصارى التابعة للنافار – إلى الاستعانة بملك قشتالة وليون، فرناندو الأول، حيث قدم له الهدايا والأموال على أن يدمر الأراضي الطليطلية، ففعل، وعاث فيها، واضطر كثيرين من أهلها إلى الجلاء عنها[١٠].

---

(١) السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٣٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦.

(٣) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٥، ص٢٥٢؛ المراكشي، المعجب، ص٤١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٥٢؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٦.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٧.

(٦) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٧.

(٧) النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٤٠٤؛ ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ)، المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م، ج٢، ص١٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٤٠.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٧.

(٩) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٧٨؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٨٠.

(١٠) ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله السلماني (ت ٧٧٦هـ)، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار مكشوف، بيروت، لبنان، آذار ١٩٥٦م، ص١٧٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٩-٢٨٠.

وفتح المأمون بعد وفاة سليمان بن هود سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م[١]، جبهة جديدة مع زعماء بطليوس، ونشبت بين الطرفين معارك وحروب، كما نازع بنو ذي النون الجهاورة في قرطبة، وبني عباد في إشبيلية، وبني عامر في بلنسية، وقد تمكن المأمون من الاستيلاء على قرطبة وبلنسية[٢].

وتوفي المأمون بن ذي النون سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م[٣] فخلفه حفيده، واسمه أيضاً يحيى، وهو يحيى بن إسماعيل الملقب بالقادر[٤]. وكان شاباً قليل الخبرة، ولذلك لم يكن قادراً على دحر الطامعين في دويلته من زعماء الدويلات المجاورة ومن النصارى وخاصة ملك أراغون: سانشو روميرو الذي أخذ يهاجم أراضيه[٥].

وقد طلب القادر عون ملك قشتالة وليون ألفونسو السادس لدرء الأخطار عن مملكته، فطلب منه ألفونسو أموالاً طائلة مقابل ذلك[٦]، وحاول القادر جمع الأموال من أهالي طليطلة فرفضوا دفع جزية للنصارى، وقرروا خلع القادر، ودعوا المتوكل بن الأفطس إلى تخليصهم منه، ولكنه علم بهذه الدعوة ففر من طليطلة واستغاث بألفونسو السادس الذي هب لنجدته لغرض في نفسه، فقد هاجم طليطلة بعد أن دخلها المتوكل الذي لم يتمكن من حمايتها، وانتهى الأمر باحتلالها من قبل ألفونسو سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م[٧]، حيث تخلى له عنها القادر مقابل مساعدته في استرجاع بلنسية[٨].

لقد أمد ألفونسو السادس القادر بن ذي النون بجيش قاده البرهانس Alvar Haenz، واجتاح مدينة بلنسية سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م حيث دخلها القادر والجنود النصارى[٩]. غير أن أهلها الذين لم تعجبهم استعانته بالنصارى قرروا خلعه، وفي الوقت نفسه هب المنذر بن هود إلى الاستيلاء على بلنسية بعد خروج النصارى منها، فسار إليها وحاصرها سنة

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٨٠-٢٨٨.

(٢) ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٥٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٥٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٥٨-١٥٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٦٥.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٧٨؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٧.

(٤) حتاملة، الأندلس، ص٤٨٣.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٧٨-٨١؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٨٣-٤٨٤.

(٦) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨١-٨٢.

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٢٨؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٤١، ٤٤٧؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٣-٨٤.

(٨) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٣٨.

(٩) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٦٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٧.

٤٨١هـ / ١٠٨٨م، وكان المستعين بن هود أخو المنذر ينافسه في الحصول على بلنسية، ولذلك استعان بقائد نصراني، وهو فارس قشتالي مغامر مرتزق، كان يحارب لحساب من يدفع له، ويسميه أتباعه (السيد)[١] استعان به للاستيلاء على بلنسية، وقد استغل السيد الأحداث التي كانت تدور بين المتنفذين في بلنسية، وحاصرها حصاراً شديداً لم تصمد لهوله، حيث سقطت في أيدي النصارى سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م[٢].

دويلة سرقسطة

حكم سرقسطة في عهد الخليفة الأموي المستعين بالله سليمان بن الحكم: منذر بن يحيى بن عبدالرحمن التجيبي[٣]، وقد استمال منذر في أول عهده النصارى وسالمهم، وبذلك ضمن للثغر الأعلى فترة من الهدوء والرخاء والاستقرار[٤]. وقد اعتبر المنذر سر قسطة، عاصمة الثغر الأعلى، والثغر الأعلى كله مملكته بعد انهيار البيت الأموي، واتخذ لنفسه لقباً سلطانيا هو (المنصور)، واستمر في حكم المنطقة حتى وفاته سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٣م[٥].

وتولى حكم سرقسطة بعد وفاة المنصور ابنه يحيى الذي تلقب بالمظفر، واستمر في حكمها حتى وفاته سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م، وقد كان عهده – كما يبدو – هادئاً لم تقع خلاله أحداث تستحق الذكر؛ إذ لم تزودنا المصادر بأخباره[٦].

وخلف المظفر ابنه يحيى (معز الدولة) الذي حكم سرقسطة نحوعشر سنوات وقد قتله أحد قواده، وهو عبدالله بن حكيم الذي اغتاله، ولم تذكر المصادر أسباب اغتياله. واجتمع على القاتل بنو عمه وولوه أمرهم «وكان عاهر الفرج، ذكر أنه كان يدخل على النساء الحمام»[٧]. ولذلك لم يحتمل أهل سرقسطة أفعاله، وهموا بقتله. ولما سمع سليمان بن هود الجذامي هذه الأخبار سارع إلى سرقسطة طمعاً في الاستيلاء عليها، قادماً من تطيلة حيث كان يقيم. وفي الوقت نفسه سارع إلى سرقسطة خال معز الدولة، وهو إسماعيل بن

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٦٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٣٠٥ وما بعدها؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٠٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٨٦-٤٨٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١١٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٩.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٧٥-١٧٧؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٠٣.

(٥) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٩.

(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٠٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٧٨، ٢٢١؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٠٤.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٢؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٠٤.

ذي النون للفتك بقاتل ابن أخته[١]. وكان هذا القاتل (عبدالله بن حكيم) متحصناً في قصبة المدينة، وعندما توالت الأحداث على هذا النحو خاف على نفسه وهرب من سرقسطة [٢].

وبعث أهل سرقسطة إلى سليمان بن هود الجذامي يطلبون منه القدوم ليتولى أمرهم، «فوصل إليهم، فولوه على أنفسهم، ونزل دار الإمارة بسرقسطة» وذلك في المحرم سنة ٤٣١هـ / ١٠٣٩م[٣]. وقد اختار سليمان لقب (المستعين بالله)[٤]، وكان قوي العزيمة شديد البأس. وقد سبقت الإشارة إلى أنه كان يتنازع مع المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذي النون مدينة وادي الحجارة، وأنهما كانا يستعينان بملوك النصارى مما كان له أثر بالغ الخطورة على الأندلس[٥].

وتوفي المستعين بالله سليمان بن هود سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م بعد أن قسم أراضي دويلته على أبنائه، وكانوا خمسة: فقد ولى ابنه أحمد مدينة سرقسطة، ويوسف مدينة لاردة، ومحمداً قلعة أيوب، ولبا مدينة وشقة، والمنذر مدينة تطيلة[٦].وكان ابنه أحمد الذي تلقب بالمقتدر أشهرهم وأشدهم بطشاً[٧]، وقد تمكن من انتزاع مافي أيدي إخوته باستثناء يوسف الذي تصدى له، غير أنه بعد حروب ومناوشات تمكن من استخلاص مدينة لاردة[٨]. ولم يكتف المقتدر بذلك، فقد أخذ يعمل على توسيع مملكته وتقويتها بإيجاد منفذ لها على البحر، ولذلك استولى على مدينة طرطوشة التي كان يحكمها الفتيان العامريون [٩].

وهكذا أصبح المقتدر صاحب مملكة قوية ممتدة، غير أنها كانت الأقرب إلى ممالك النصارى، مما عرضها لأخطار جسيمة. وأكبر هذه الأخطار ما تعرضت له إحدى مدن المملكة وهي بربشتر Barbastro الواقعة على بعد نحو ستين كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من سرقسطة، فقد هاجمها أحد قادة فرسان البابا الكسندر الثاني الذي قاد حملة كانت

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص١٧٩ – ١٨٠.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧؛ ص٢٩٢؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٩.

(٤) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧؛ ص٢٩٢.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٧ وما بعدها؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٠٦.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٢.

(٧) المصدر نفسه، البيان المغرب، ج٣، ٢٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧؛ ص٢٩٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٤١.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٣– ٢٢٤؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٠٧–٥٠٨.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٤؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٠٨.

تتكون من حشود فرنسية، وانطلقت من فرنسا بمباركة البابا، وحاصرت المدينة سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م لمدة أربعين يوماً، ثم اقتحم الفرنسيون المدينة وارتكبوا فيها من الفظائع ما يندى له الجبين[١].

وقد غادر قائد هذه الحملة الصليبية على بربشتر المدينة بعد أن ترك فيها حامية نصرانية كبيرة، وبعد فترة وجيزة قاد المقتدر جيشاً كبيراً بعد أن استنفر المسلمين للجهاد، فلبوا النداء، كما لبى النداء المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية، وتحركت هذه القوات الإسلامية في حملة مضادة لتحرير بربشتر، وقد تمكنت من ذلك، وألحقت بالنصارى هزيمة موجعة[٢].

وعاود النصارى تحرشهم بسرقسطة التي كانت تقع بين ثلاث ممالك نصرانية هي: أرغون، وقشتالة، والنافار، وقد حاصرها ملك قشتالة سانشو بن فرناندو سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م.

فافتداها المقتدر بأموال طائلة دفعها للملك النصراني، وكان المقتدر يرهق أهالي مملكته بجمع الأموال منهم ليعطيها جزية للنصارى[٣].

وكثرت مطالب النصارى من الأموال في عهد ملك قشتالة ألفونسو السادس، فأرهق ذلك المقتدر، كما ارهقته حروبه مع أخيه يوسف، وما لبث أن توفي سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨١م[٤] بعد أن قسم مملكة سرقسطة بين ابنيه: أبي العامر يوسف (المؤتمن) وأخيه المنذر، فجعل للمؤتمن سرقسطة وأعمالها، وللمنذر: لاردة، وطرطوشة، ودانية[٥].

ودارت حروب بين الأخوين أضعفت سرقسطة، فقد استعان كل منهما بالنصارى ضد الآخر، وكان النصارى يستنزفون الأموال، ويقتطعون الحصون والمعاقل، وزاد الأمر سوءاً أن المؤتمن استأجر قائداً نصرانياً لحرب أخيه هو السيد القمبيطور، الذي أصبح ينفرد باتخاذ القرارات الخطيرة[٦].

وتوفي المؤتمن سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م[٧]، وولي بعده ابنه أحمد الذي اتخذ لقب (المستعين

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٥-٢٢٦؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: حتاملة، الأندلس، ص٥١٠-٥١١.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٥٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٧-٢٢٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٧٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٥١١-٥١٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٩.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣،ص٥٥؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٩.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٦.

(٦) حتاملة، الأندلس، ص٥١٤.

(٧) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٤١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٩٢.

بالله)، وفي عهده عزم ملك قشتالة على احتلال سرقسطة، فتقدم إليها وحاصرها، إلا أنه اضطر إلى الانكفاء عنها عندما علم بأن المرابطين دخلوا الأندلس[١].

وقد سقطت في عهد (المستعين) كل من بلنسية ووشقة في أيدي النصارى، وذلك سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م[٢]، وظلت الأحداث والأخطار تتوالى على سرقسطة إلى أن دخلها المرابطون سنة ٥٠٣هـ / ١١١٠م[٣].

إمارات شرقي الأندلس

أنشأ الفتيان العامريون في شرقي الأندلس أربع إمارات هي: دانية والجزائر الشرقية (جزر البليار) وبلنسية، وألمرية، ومرسية. وكان أشهر هؤلاء الفتيان هو مجاهد بن يوسف بن علي العامري، وهو من أصل رومي، ومن موالي المنصور محمد بن أبي عامر[٤]. وقد تغلب على جزر البليار خلال الفترة ٤٠٥-٤٠٦هـ / ١٠١٤-١٠١٥م، وكان من قبل تغلب على مدينة دانية في أول الفتنة التي عصفت بالأندلس[٥].

وكان مجاهد العامري عندما فتح جزيرة سردينيا، إحدى جزر البليار، قد نكل بالنصارى قتلاً وسبياً، فهيج البابا بندكتوس الثامن حرباً صليبية ضده، حيث حشد النصارى من جنوة وبيزة ووجههم لقتاله سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م، وقد اشتبكت حشودهم مع المسلمين في معركة طاحنة انتصر فيها النصارى، وأسروا أعداداً كبيرة منهم ابن مجاهد العامري وأخوه وزوجه[٦].

واختار مجاهد الذي أثقلته الأحداث الجسام، وكادت تذهب بعقله، اختار لولاية عهده ابنه الأصغر حسن لأن ابنه الأكبر علي كان في الأسر، ولكنه بعد أن تمكن من افتدائه بعد نحو عشر سنوات من الأسر صرف ولاية العهد إليه، مما أورث عداوة شديدة بين الأخوين[٧].

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٤١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٣٤؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٢٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٠٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٤١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٥٣؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨.

(٤) المراكشي، المعجب، ص٤١؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢١١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٥٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٩٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٥٥؛ المراكشي، المعجب، ص٤١؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٦٦.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٩٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢١١.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٥٦-١٥٧.

http://al-maktabeh.com

وقد توفي مجاهد العامري سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م[١]، وولي بعده ابنه علي الذي تلقب بـ(إقبال الدولة)[٢].

وحاول إقبال الدولة استرضاء أخيه حسن دون طائل، فقد تآمر عليه حسن مع المعتضد بن عباد، وحاولا قتله، إلا أن المؤامرة فشلت، وفر حسن إلى بلنسية حيث عاش حتى وافته المنية[٣].

وحاول إقبال الدولة أيضاً توثيق علاقاته مع ملوك الفتنه الآخرين، وعدم التدخل في شؤونهم آملا أن تحمي سياسة الحياد التي اتبعها إمارته، غير أن المقتدر بن هود هاجمها، واستولى عليها، وأخرج إقبال الدولة منها سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م[٤].

وأنشأ الفتيان العامريون في شرقي الأندلس إمارة بلنسية، وذلك على يد «عبدي مهنة لمولاهما مفرّج العامري»[٥]. وكان هذان العبدان عاملي زراعة في بلنسية، ثارا في عهد الفتنة على والي المدينة، وانتزعا السلطة منه، ثم اهتما بجباية الأموال من بلنسية وشاطبة باستخدام العنف، وتدفقت عليهما أجناس من الناس: الصقلب والإفرنج، وكذلك الآلات والخيول، فأصبحت إمارتهما منيعة، وخاصة بعد أن أحاطاها بسور متين. غير انهما مالبثا أن توفيا في ذي الحجة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م[٦].

وحكم بلنسية بعد الأميرين، وكان اسماهما مظفر ومبارك، لبيب الصقلبي الذي أحدث في أهل بلنسية أحداثاً مقتوه بها[٧]، ثم شارك لبيباً الصقلبي حكم بلنسية مجاهد العامري الذي تمكن بعد فترة وجيزة من الانفراد بحكمها، إلا أن بعض الفتيان العامريين مالبثوا أن خلعوه، وولوا على بلنسية: عبد العزيز بن عبد الرحمن، أحد أحفاد المنصور محمد بن أبي عامر[٨]. وقد بايعه أهل بلنسية في ذي الحجة ٤١١هـ / ١٠٢٠م، وهو ابن خمس عشرة سنة[٩].

وقد تمكن عبد العزيز الذي اتخذ لقب جده (المنصور) من توسيع إمارته، فقد استولى

---

(١) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢١١.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٥٦.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٥٧-١٥٨.
(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٩٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٦٩.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٦٢.
(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٠-١٦٣.
(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٧١.
(٨) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٦٤.
(٩) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٦٤، ٣٠١.

على ألمرية وأعمالها بعد وفاة صاحبها خيران العامري سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م[١]. كما استولى على شاطبة سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م[٢].

وخلف المنصور بعد وفاته سنة ٤٥٢هـ/١٠٦١م ابنه عبدالملك[٣]، وكان خلافاً لأبيه منهمكاً في الشراب... مع رقة الديانة، ونقص المروءة... والانحطاط في مهاوي اللذات.

ولذلك تآمر عليه المأمون بن ذي النون، صاحب طليطلة، وقبض عليه وأخرجه إلى مدينة شنت برية حيث أقام إلى أن توفي سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م[٤] وبذلك أصبحت بلنسية تابعة لبني ذي النون، أصحاب طليطلة.

وأنشأ الفتيان العامريون في شرقي الأندلس أيضاً إمارة في ألمرية على يد خيران الصقلبي العامري، فقد تغلب عندما بدأت الفتنة على أوريولة، ومرسية، وجيان، وألمرية خلال الفترة ٤٠٤-٤٠٩هـ/١٠١٣-١٠١٨م[٥]، وكان خيران وافر الشجاعة والدهاء، بصيراً بالحروب ومكايدها، وقد تلقب بـ(الفتى الكبير)[٦].

وتوفي خيران (الفتى الكبير) سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م، فقام بعده بالأمر زهير العامري الذي وسع الإمارة حتى حدود طليطلة، وقد حاول الاستيلاء على غرناطة، واشتبك مع صاحبها باديس بن حبوس في معركة طاحنة كانت نتيجتها وبالاً عليه، فقد انهزم جيشه، بينما قتل هو في المعركة سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م[٧].

وولي ألمرية بعده الشيخ أبو بكر الرميمي ثم معن بن صمادح التجيبي، وكان معن من كبراء العرب، «وكان أبوه من قواد محمد بن أبي عامر، ولاه الولايات، وقاد له الجيوش»[٨]. غير أنه توفي في رمضان ٤٣٣هـ/١٠٥١م بعد حكم دام عشر سنوات أمضاها في محاربة مجاوريه[٩].

وولي بعد معن ابنه يحيى (المعتصم بالله) الذي طالت مدة حكمه نحو إحدى وأربعين

---

(١) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٧-٢٠٨.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٣٠٢.
(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٥، ٣٠٣.
(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٠٣.
(٥) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٨.
(٦) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢١٢؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٧٣.
(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٦٨-١٧٢؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢٠٨.
(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٦٧.
(٩) المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٧.

سنة أمضاها في الحروب والانكباب على اللذات، وقد توفي سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م بعد دخول المرابطين الأندلس، والاستيلاء عليها[١].

وقد جاور الفتيان العامريين في شرقي الأندلس بعض البربر الذين أقامو إمارة لهم هناك، وأشهرهم بنو رزين الذين كان يتزعمهم إبان الفتنة التي حلت بالأندلس: هذيل بن خلف بن لب بن رزين المعروف بلقب (ابن الأصلع)[٢]. وقد أنشأ إمارته في شنتمرية الشرق، وحافظ على هذه الإمارة حتى وفاته سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٥م[٣].

وتوالى على حكم شنتمرية الشرق التي تعرف أيضاً باسم (السهلة): أبو مروان عبد الملك بن هذيل (جبر الدولة)، ثم ابنه يحيى (حسام الدولة)، وقد خلع المرابطون هذا الأخير سنة ٤٩٧هـ / ١١٠٣م[٤].

وأقيمت في الأندلس بعد انفراط عقد الخلافة الأموية كيانات صغيرة إضافة إلى الدويلات والإمارات السابقة، فقد استقل بنو طاهر بزعامة أبي بكر أحمد بن اسحاق بن طاهر، وهو من العلماء المعروفين، في مدينة مرسية، وقد حكم المدينة حوالي ست وثلاثين سنة، وعندما توفي سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م تولى حكم مرسية ابنه محمد، وفي عهده استولى بنو عباد على المدينة سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م[٥].

وأقام بنو برزال حكومة في قرمونة رأسها أبو عبدالله محمد بن عبدالله البرزالي، وقد امتد نفوذه إلى مدينتي: استجة والمدور، وظلت هذه الحكومة قائمة حتى سيطر عليها بنو عباد سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م[٦].

وحكم مدينة رندة أبو النور هلال بن دوناس اليفرني، إلى أن توفي سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م، وظلت أسرة بني يفرن تحكم هذه الإمارة الصغيرة حتى سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م، حيث ورثها بعد أبي النور ابنه أبو النصر فتوح إلى أن ضمها بنو عباد في السنة المذكورة[٧].

وحكم بنو دمر مدينة مورور، وكانوا بزعامة نوح بن أبي تزيدي الدمري الذي حكم خلال الفترة ٤٠٣-٤٣٣هـ / ١٠١٣-١٠٤١م، وخلفه ابنه محمد حتى سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م

---

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص١٨١، ٣٠٧-٣٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٠٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٠٩-٣١١؛ وانظر التفاصيل: حتاملة، الأندلس، ص٤٧٧.

(٥) ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٦٥؛ عنان، دول الطوائف، ص٢١١؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٤٧.

(٦) السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٤٧.

(٧) المرجع نفسه، ص٢٤٧.

حيث توفي، ثم استولى بنو عباد على المدينة سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م[١].

وتغلب على مدينة أركش بنو خرزون بقيادة زعيمهم أبي عبدالله محمد بن خرزون سنة ٤٠٢هـ / ١٠١١م، وعندما توفي في تلك السنة تعاقب على حكم المدينة أبناؤه وأحفاده إلى أن سقطت في يد بني عباد سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨[٢].

ويلاحظ مما تقدم فيما يتعلق بعهد دول الطوائف أن هذا العهد اتصف بما يلي:

١. تحول الأندلس إلى كيانات صغيرة تزعمت كلاً منها أسرة من الأسر التي توارثت الحكم، وقد أدى نظام وراثة الحكم إلى حدوث نزاعات وحروب بين أفراد الأسرة الواحدة، وخاصة عندما كان زعيم الكيان يوصي بتقسيم أملاك دويلته بين أبنائه.

٢. لم تراع دويلات الطوائف المصلحة القومية العليا، ولا حتى مصلحة الجماعة التي تنضوي الدويلة تحت لوائها، وكان حكامها ضعافاً في وطنيتهم، وكان معظمهم ضعيفاً في دينه.

٣. فقدت الأندلس جراء الصراع العنيف بين دويلات الطوائف آلافاً من أبنائها، وتعرضت مناطقها المختلفة بسبب هذا الصراع إلى الدمار وفقدان الأمن، ونتيجة للاضطراب والفوضى التي سادت هذه المناطق ساءت أحوالها الاقتصادية.

٤. دخلت دويلات الطوائف بشكل أو بآخر في تحالفات مع أمراء وملوك النصارى في شمالي إسبانيا، مع أنهم هم الأعداء التقليديون للأندلس، وكانت تلك الدويلات تستنزف مالياً لاضطرارها إلى دفع مبالغ طائلة للأمراء والملوك النصارى من أجل مساعدة بعضها ضد بعضها الآخر، وهو الأمر الذي أدى إلى ضعفها، وفقدان استقلالها الذاتي، ومن ثم أصبحت لقمة سائغة التهمها النصارى بسهولة.

٥. حاول زعماء دويلات الطوائف تقليد الخلفاء العباسيين والفاطميين في ألقابهم وفي حياتهم، فاتخذوا ألقاباً سلطانية أكبر منهم، فكانت مسميات جوفاء ممجوجة في غالب الأحيان، وقد علق المراكشي على هذا الأمر الذي يثير السخرية منتقداً أربعة ممن تلقبوا بأمير المؤمنين من زعماء دويلات الطوائف قائلاً «.. أربعة كلهم يتسمى بأمير المؤمنين في رقعة من الأرض مقدارها ثلاثون فرسخاً في مثلها»[٣].

هذا، وقد تزامن ضعف الأندلس بتفتتها إلى دويلات وإمارات متناحرة، مع قوة الممالك

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٧١؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٤٨.

(٢) السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٤٨.

(٣) المراكشي، المعجب، ص٦٣-٦٨. وتبلغ مساحة الإمارة أو الدويلة حسبما ذكر المراكشي حوالي ١٤٤كم٢.

النصرانية المعادية باتحادها، ونموها، وتكاتفها، ولا بد لفهم الأحداث في سياقها التاريخي من التعرف على تلك الممالك التي كان إهمال المسلمين سبباً في نشوئها، وكان تفرقهم حافزاً على وحدتها، حتى أصبحت القوة الضاربة التي أخرجت المسلمين في نهاية الأمر من الأندلس كلها.

نشأة الممالك النصرانية

ذكرنا سابقاً أن العرب المسلمين وصلوا في فتوحاتهم لإسبانيا إلى المناطق الشمالية الغربية، وأوغلوا في الجبال الصخرية المفضية إلى سواحل كنتبرية على المحيط الأطلسي، فقد هاجم طارق بن زياد تلك المناطق، وأوغل في الجهة الشمالية لنهر الإيبرة، واضطر حاكم تلك الناحية النصراني: فرتون (Fortunias) إلى الدخول في طاعة المسلمين، وقد اعتنق هذا الحاكم الإسلام فيما بعد[١]. ثم فتح طارق مدن أماية (Amaya)، واسترقة (Astorga)، وليون (Leon) [٢].

وأما موسى بن نصير فقد سار أثناء الفتوحات على الضفة الشرقية لنهر الإيبرة في إقليم قشتالة، فافتتح عدة حصون منها حصن باروس (Villabaruz)، ووصل إلى حصن لك (Lucus) فافتتحه، وبث سراياه هناك حتى بلغوا صخرة بلاي (Pena de Pelayo) على المحيط الأطلسي[٣].

وكانت فلول القوط الهاربة من أمام الجيوش الإسلامية تتجمع في منطقتين: الأولى في هضاب كنتبرية، أي : النافار وبسكونية في الشرق، والثانية في هضاب أشتوريس في الغرب. وكانت الجماعة الأولى بقيادة الدوق بتروس (Pedro) (بطرة)، الذي كان من قادة الجيش في عهد الملكين القوطيين غيطشة ولذريق، وكانت هذه الجماعة قليلة الخطر بسبب موقعها في الطرف الغربي لجبال ألبرت في سهول النافار وبسكونية، وهو موقع كان عرضة لاقتحام الجيوش الإسلامية أثناء ذهابها إلى جنوبي فرنسا، وإيابها من هناك[٤].

أما الجماعة الثانية فكانت أعظم خطراً لتمركزها في جبال وعرة بعيدة عن طريق الفاتحين، وقد اعتصمت هذه الجماعة من فلول القوط في مغارة كوفادونجا التي تقع في سلسلة جبال كنتبرية المنيعة، وتحتل أعلى قممها التي يطلق عليها الاسبان قمم

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٥.

(٢) مؤنس، فجرالأندلس، ص١٠٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص١٠٢-١٠٣.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٦؛ حتاملة، الأندلس، ص٩٤.

(٤) السامرائي، تاريخ العرب، ص١٣٤.

أوروبا (Picos de Europa)، ويسميها المسلمون الصخرة. وكانت هذه الفلول بزعامة القائد بلايو (Pelayo) أو بلاي، وهو ينتمي إلى أصل قوطي نبيل، وكان الساعد الأيمن للملك لذريق[١]. وكان بلاي قد وقع في أسر المسلمين، وسجن في قرطبة، ثم تمكن من الفرار في زمن الوالي الحر بن عبدالرحمن الثقفي سنة ٩٨هـ / ٧١٨م، والتجأ إلى منطقة أشتوريس في الشمال الغربي من البلاد، وانتهى به المطاف إلى الصخرة التي عرفت باسمه (صخرة بلاي)، حيث بدأ بتجميع فلول القوط والأيبيريين والرومان المقيمين في هذه المنطقة، وأخذ يحرضهم ضد المسلمين، يقول المقري: «فعاب على العلوج طول الفرار، وأذكى قرائحهم حتى سما بهم إلى الثورة في مرتفعات الجبال، ومن وقته أخذ نصارى الأندلس في مدافعة المسلمين عما بقي بأيديهم. وقيل: إنه لم يبق بأرض جليقية قرية فما فوقها لم تفتح إلا الصخرة التي لاذ بها هذا العلج، ومات أصحابه جوعاً إلى أن بقي في مقدار ثلاثين رجلاً ونحو عشر نسوة، ومالهم عيش إلا عسل النحل...في خروق الصخرة..وما زالوا ممتنعين بوعرها الى أن أعيى المسلمين أمرهم، واحتقروهم، وقالوا: ثلاثون علجاً ماعسى أن يجيء منهم؟ فبلغ أمرهم بعد ذلك في القوة والاستيلاء مالا خفاء به»[٢].

ويشار هنا إلى أن استخفاف المسلمين بأمر بلاي وجماعته، وإغفال أمرهم، كان من أعظم الأخطاء التي ارتكبوها في الأندلس، فقد انضم إليه بمرور الزمن كثيرون من الأنصار، واختاروه ملكاً عليهم، وكان ذلك إيذاناً بميلاد مملكة أشتوريس النصرانية. وقد وطد بلاي سلطانه في تلك المناطق الجبلية الوعرة، وأخذ يغير على المناطق الاسلامية المتاخمة، مستغلاً انشغال المسلمين بالفتنة بين أبي الخطار والصميل بن حاتم[٣].

وتوفي بلاي سنة ١١٩هـ / ٧٣٧م فورثه ابنه فافيلا الذي دام حكمه سنتين فقط، حيث قتله دب تعرض له في الصيد[٤]. وكان دوق كنتبرية بتروس أو بطرة قد توفي أيضاً فورثه ابنه ألفونسو الأول (أذ فونش) الملقب بالكاثوليكي، وقد تزوج ألفونسو من أرمسندا (Ermesinda) ابنة بلاي، فتوطدت العلاقة بين إمارة كنتبرية ومملكة أشتوريس، ثم اتحدت الإمارة مع المملكة في مملكة واحدة هي مملكة ليون، وتم اختيار ألفونسو الأول ملكاً[٥].

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٣١٨.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٧؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٢٤.

(٣) السامرائي، تاريخ العرب، ص١٣٦-١٣٧.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٢٣.

(٥) السامرائي، تاريخ العرب، ص١٣٧.

وقد وسع ألفونسو الأول مملكة ليون وقواها، وخاصة أنه حكم خلال ظروف مواتية (١٢١-١٤٠هـ / ٧٣٩-٧٥٧م)، فقد انتهز خلافات المسلمين الداخلية، وتمرد البربر ونزوحهم عن المناطق التي كانوا قد سيطروا عليها في أشتوريس وكنتبرية وجليقية، وكذلك نزوح العرب الذين كانوا يستقرون في هذه المناطق، فاجتاحها النصارى، وقتلوا من بقي بها من المسلمين[١].

وعمل ألفونسو الأول وأخوه فرويلا حاكم مقاطعة كنتبرية على توسيع المملكة النصرانية، على حساب الدولة الإسلامية في الجنوب مستغلين المشكلات والثورات الداخلية، وخاصة في عهد الوالي يوسف الفهري، فاستولى ألفونسو على مدينة لك (Lugo) الحصينة، وعبر نهر دويرة أكثر من مرة، وعاث في أراضي الأندلس تدميراً وتخريباً[٢].

وتوفي ألفونسو الأول سنة ١٤٧هـ / ٧٦٥م، وكان فرويلا قد توفي في السنة السابقة، وقد خلف ألفونسو ابنه فرويلا الأول، ثم توالى الملوك والأمراء على حكم مملكة جليقية، ومنهم غرسيه بن ألفونسو الثالث (٢٩٧-٣٠١هـ / ٩١٠-٩١٤م) الذي نقل العاصمة من مدينة أوفيدو Oviedo إلى مدينة ليون لتوسط موقعها بين جليقية وأشتوريس، وأصبح اسم هذه المملكة النصرانية مملكة ليون، بعد أن كانت تسمى: مملكة أشتوريس وجليقية[٣].

وقامت إلى جانب مملكة ليون مملكة نافار أو نبارة في المناطق الواقعة إلى الجنوب الغربي من جبال ألبرت، في بلاد الباسك أو البشكنس الجبلية، وكانت عاصمة هذه المملكة مدينة بنبلونة، ومن زعمائها غرسيه أنيجز Garcia Iniguez الذي خلفه ابنه فرتون، وقد أسر المسلمون (فرتون) وأمضى فترة طويلة سجيناً في قرطبة[٤]. وقد تغلب على عرش النافار شانجه غرسيه الأول الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لهذه المملكة، وقد حكمها خلال الفترة (٢٦٣-٣١٤هـ / ٩٠٥-٩٢٦م).

وقامت بين مملكتي ليون والنافار مملكة سميت قشتالة (Castilla) لكثرة حصونها. وقد عرفت هذه الحصون في المصادر العربية باسم (القلاع)، ثم نسبت إلى ولاية ألبة (Alava) فعرفت باسم ألبة والقلاع، وكانت عاصمة هذه المملكة مدينة برغش Burgos، وكانت أراضيها تخضع لسلطة مملكة ليون، ثم استقلت بزعامة الكونت فرنان كونثالث (Fernan

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٨، ٦٢؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٤٥، وما بعدها.

(٢) السامرائي، تاريخ العرب، ص١٣٨.

(٣) السامرائي، تاريخالعرب، ص١٣٨.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٧؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص١٣٩.

Conzalez)[1]. وقد تمكن هذا الزعيم من توحيد كل قشتالة تحت لوائه، وتوسيعها على حساب جيرانه النصارى والمسلمين حتى أصبحت تسيطر في النهاية على كل اسبانيا[2]. وبعد وفاة فرنان حكم ابنه غرسيه حتى سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٥م؛ ثم ابنه شانجه غرسيه حتى سنة ٤١٢هـ / ١٠٢١م[3].

وكان أول ملوك قشتالة هو فرناندو الأول ابن شانجه غرسيه، وقد تمكن فرناندو من إخضاع مملكة ليون، وبذلك أصبحت مملكتا قشتالة وليون مملكة واحدة، وقد حكم فرناندو الأول هذه المملكة خلال الفترة ٤٢٦-٤٥٨هـ / ١٠٣٥-١٠٦٥م[4]. ثم حكمها شانجه الثاني ثم ألفونسو السادس (٤٦٥-٥٠٢هـ / ١٠٧٢-١١٠٩م)، وفي عهده دخل المرابطون الأندلس أكثر من مرة، وكانت بينه وبينهم حروب ومعارك طاحنة.

سادساً: عهد المرابطين

يرجع المرابطون في أصلهم إلى قبيلة لمتونة، إحدى قبائل صنهاجة من البربر[5]. وقد كانوا ينتشرون في الصحراء ما بين المغرب والسودان (في إقليم موريتانيا)، ويعيشون على اللحم واللبن، حيث يربون الأنعام[6]. ويسمون أيضاً (الملثمين)، لأنهم يضعون اللثام على وجوههم، ولا يكشفونها[7]. وقد بدأ نشوء دولتهم على يد رجل ليس منهم، وإنما من قبيلة جدالة شقيقة لمتونة، وهو يحيى بن إبراهيم الجدالي (الكدالي)، فقد حج إلى بيت الله الحرام سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م، وفي طريق عودته عرج على مدينة القيروان، وحضر فيها مجلساً للفقيه أبي عمران الفاسي، قاضي القيروان، وكان مالكي المذهب[8]. وعندما هم بالعودة إلى بلاده طلب من القاضي أن يزوده برجل من تلاميذه ليعلم قومه ويفقههم في الدين فاختار له شخصاً اسمه عبدالله بن ياسين[9].

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٢١.

(٢) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٧٨.

(٣) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٢٧٥.

(٤) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٢٧، ٣٢٩.

(٥) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧٤.

(٧) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٣.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٥٣.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٨؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٧ وما بعدها؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٥٣-٢٥٤.

اجتمع حول عبدالله بن ياسين نحو سبعين شخصاً من قبيلة جدالة ليعلمهم ويفقههم في دينهم، «فانقادوا له انقياداً عظيماً»[١]، غير أن بعض رجال القبيلة ثار عليه بزعم أنه يخالف بعض الأحكام[٢]، فخرج هو والجدالي إلى مضارب لمتونة، فأحسن رئيس لمتونة: يحيى بن عمر اللمتوني استقبالهما، وأكرمهما، ومن ثم اجتمع حوله عدد محدود من رجال القبيلة، فأنشأوا رباطاً في جزيرة في نهر النيجر[٣]، انقطعوا للعبادة فيه، وتسامع الناس بهم «فكثر الواردون عليهم، والتوابون لديهم .. فلم تمر عليه إلا مدة يسيرة حتى اجتمع له من التلامذة نحو ألف رجل»[٤].

واتفق عبدالله بن ياسين، ويحيى الجدالي ويحيى اللمتوني على أن يشكلوا قوة من الرجال الذين اجتمعوا لهم لمحاربة مخالفيهم، وكان أكثرهم من قبيلة جدالة، وقد أوكلوا قيادة هذه القوة إلى يحيى بن إبراهيم الجدالي، ولم تلبث هذه القوة أن ازداد عدد أفرادها إلى بضعة آلاف، تشكل منهم جيش بدأ الحرب على قبيلة جدالة، وقتل منها أعداداً كبيرة مما أخضع الباقين، ثم أخضع هذا الجيش قبائل صنهاجة الأخرى[٥].

وتوفي يحيى بن إبراهيم الجدالي فتولى القيادة بعده يحيى بن عمر اللمتوني الذي سماه عبدالله بن ياسين: أمير الحق[٦]. وقد حقق يحيى اللمتوني عدة انتصارات، وطهر مدينة سجلماسة من المنكرات، وذلك سنة ٤٢٧هـ / ١٠٥٥م، فقويت شوكته بما استولى عليه من أسلحة البربر وأموالهم، وخاصة أهل سجلماسة[٧].

وتوفي الأمير يحيى بن عمر اللمتوني سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م فعقد عبدالله بن ياسين راية الجهاد لأخيه أبي بكر عمر الذي انفرد بالحكم بعد وفاة عبدالله بن ياسين سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م[٨].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٥٣-٢٥٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٨-٩.

(٣) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٥٦.

(٤) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٨.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٥٦-٢٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٩-١٠.

(٦) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١١-١٢.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٣-١٤؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٣.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٦، ١٨-١٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٥٩؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٨-١٩.

وكان أول ما فعله أبو بكر بعد أن استقامت له البلاد، ووجه عماله إليها، هو إعداد جيش كبير لقتال رؤساء القبائل في المغرب، وقد أوكل قيادة هذا الجيش لابن عمه يوسف بن تاشفين في سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م[١]. وكان أبو بكر قد اضطر إلى العودة للصحراء عندما علم باختلاف المرابطين هناك، وخاصة بين قبيلتي لمتونة ومسوفة، وذلك بعد أن أوكل شؤون المغرب لابن عمه يوسف[٢].

وبدأ أمر يوسف بن تاشفين يستفحل في المغرب، حيث استولى على معظم البلاد، وبنى مدينة مراكش وحصنها، وجهز الجيوش لمحاربة القبائل التي ارتدت عن دعوة المرابطين ولما علم أبو بكر عمر بخبره، أدرك أنه الرجل المناسب لإقامة دولة قوية للمرابطين، فتنازل له عن قيادتهم سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م[٣].

واتخذ يوسف بن تاشفين بعد وفاة أبي بكر عمر سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م لنفسه لقب: أمير المسلمين، وقد دانت له معظم بلاد المغرب والصحراء، وتمكن خلال فترة وجيزة من بناء دولة قوية واسعة الأرجاء تمتد أراضيها من البحر المتوسط شمالاً حتى حدود السودان جنوباً[٤].

وقد بلغت دولة المرابطين أوج قوتها في عهد يوسف بن تاشفين في الوقت الذي كانت فيه الأندلس تئن تحت ضربات النصارى في عهد ملوك الطوائف. وكان سقوط طليطلة في سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م من أقوى الضربات في ذلك العهد، وهو الأمر الذي اضطر ملوك الطوائف، وخاصة المعتمد بن عباد والمتوكل بن الأفطس، إلى طلب الغوث من المرابطين [٥].

وكان ألفونسو السادس، ملك قشتالة في تلك الأثناء «يتخلل بلاد الأندلس بجمع كبير من النصارى، فخافه ملوك الأندلس على البلاد» فكتبوا إلى يوسف بن تاشفين يدعونه إلى الجهاد في الأندلس[٦]. وكان يوسف بن تاشفين في تلك الأثناء يستنفر قواته للجهاد، حيث كان قد استقبل وفوداً من الأندلس تدعوه إلى إنقاذها[٧].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٨-١٩.

(٢) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٠ ومابعدها؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٩-٢٠؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٤ وما بعدها؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٦٢.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٢٦-٢٩؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٧-٣٢.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٣٥٩-٣٦٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٣٤، ٢٤٦؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٩٨-٩٩.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١١٤-١١٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٤١-١٤٢؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٣٨-٣٩.

(٧) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٩٨-٩٩؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٣٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٤١-١٤٢.

http://al-maktabeh.com

وعبرت جيوش يوسف بن تاشفين بقيادته إلى الأندلس سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م[١]، وكان ألفونسو السادس، عندما علم بعبور المرابطين قد استنفر النصارى، وكان حينئذ محاصراً لمدينة سرقسطة. وقد التقت جيوش الطرفين في موقع قريب من بطليوس يدعى الزلاقة (Sagrajas) حيث وقعت معركة هائلة فجر يوم الجمعة ١٣ رمضان ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦م[٢]، حقق المسلمون فيها نصراً حاسماً[٣] عاد بعدها يوسف بن تاشفين إلى مراكش في المغرب[٤]، بعد أن ترك جيشاً مرابطياً بقيادة سير بن أبي بكر لشن الغارات على النصارى[٥].

وكان ألفونسو السادس بعد هزيمته قد عاد إلى طليطلة، ولم يلبث أن شحن حصن لييط (Aledo) بالرجال والأسلحة والمؤن والمعدات، وأخذت سرايا النصارى تنطلق منه، وتنكل بالمسلمين وخاصة في أراضي المعتمد بن عباد ومدنه القريبة من الحصن مثل: بلنسية، ومرسية، ولورقة، وبسطة، وعندما ضاق المسلمون ذرعاً بغارات النصارى استصرخوا يوسف بن تاشفين مرة أخرى فأغاثهم، حيث عبر المضيق إلى الأندلس سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٨م، ودعا أمراء الأندلس وملوكها للجهاد، والتقت جيوش المسلمين عند الحصن، وحاصرته شهراً حتى هلك معظم من فيه جوعاً، فقد هب ألفونسو السادس لنجدة الحصن ومن فيه، فلم يجد سوى نحو مائة من بين ثلاثة عشر ألفاً كانوا في الحصن، ولذلك آثر أن يدمر الحصن ويحرقه بعد أن أخرج من فيه[٦]. وكان يوسف بن تاشفين قد انسحب بجيشه كما انسحبت الجيوش الأخرى قبل وصول ألفونسو بسبب فتنة أثارها ابن رشيق، صاحب مرسية، وكان ثائراً على المعتمد بن عباد[٧]. يضاف إلى ذلك أن ابن تاشفين سمع أثناء محاصرته حصن لييط كلاماً من ملوك الأندلس «أحفظه، ووغر صدره عليهم»[٨].

ورجع يوسف بن تاشفين إلى المغرب وقد بيّت أمراً ضد ملوك الطوائف في الأندلس، فقد عاد إلى الأندلس للمرة الثالثة سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م دون طلب منهم، واستولى على

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٧٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١١٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١١٥؛ المراكشي، المعجب، ص٧١-٧٢؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٤٤-٤٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١١٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٤٢؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٣٩-٥٤٠.

(٤) المراكشي، المعجب، ص٧٣؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٤٩.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤،ص١١٨؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٥٠-٥١.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤،ص١٤٣؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٥٢.

(٧) انظر التفاصيل: حتاملة، الأندلس، ص٥٤٣.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤،ص١٤٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٤٤.

غرناطة من صاحبها عبدالله بن بلقين، ثم استولى على مالقة[1]، ثم عاد إلى المغرب، وبعد فترة وجيزة ولى قائده سير بن أبي بكر اللمتوني على الأندلس، وفوض إليه جميع أمورها. فأخذ هذا القائد يستولي على ممالك الطوائف الواحدة بعد الأخرى بتوجيه من يوسف بن تاشفين الذي أمده بالجيوش لهذه الغاية، وقد تمكن من الاستيلاء على الأندلس كلها خلال الفترة ٤٨٤-٥٠٣هـ / ١٠٩١-١١٠٩م[2]، مؤكداً أنه إنما أراد بالاستيلاء عليها حمايتها من النصارى بعد أن تخاذل ملوك الفتنة عن ذلك[3].

وقد سقطت خلال فترة حكم المرابطين للأندلس في أيدي النصارى مدينة بلنسية، حيث استولى عليها السيد القمبيطور سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م، ونكل بأهلها[4] فعزم يوسف بن تاشفين على استعادتها، وقد تمكنت جيوشه من ذلك، فقد حاصرتها إلى أن اضطرت جيوش النصارى إلى الخروج منها، ولكن بعد إحراق المدينة، وجعلها أطلالاً دارسة[5]. وقد دخل المسلمون المدينة في رجب من سنة ٤٩٥هـ / ١١٠٢م[6].

واستمرت جيوش المرابطين في مقارعة النصارى، وقد أعد يوسف بن تاشفين جيشاً كبيراً، وعبر إلى الأندلس مرة أخرى مستهدفاً جهادهم، وقد اخترق أراضي قشتالة، وألحق هزيمة فادحة بألفونسو السادس قرب طليطلة[7]. وقبل عبوره هذه المرة كان يوسف بن تاشفين قد أخذ البيعة لابنه علي في المغرب، واستكملها في الأندلس، وبعد أن تم له ذلك ضبط أحوال الأندلس، وقفل عائداً إلى مراكش حيث توفي سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م[8].

ولي أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بعد وفاة والده، وكانت وفاته قد أطمعت ألفونسو السادس بالأندلس، فحرك جيوشه ضدها، إلا أنه مني بخسائر فادحة، وبهزائم كبيرة ألحقتها به جيوش المرابطين، وما لبث أن مات هماً وحسرة، وذلك في سنة ٥٠٢هـ / ١١٠٩م[9].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤،ص١٤٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٤٣؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٥٢-٥٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤،ص١٤٤-١٤٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٦٣؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٥٣-٥٤.

(٣) المراكشي، المعجب، ص٨٩.

(٤) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٦٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٠٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٤٨.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٠٩-١١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٢.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٢.

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٤.

(٨) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٤-٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٣٦؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١١٣.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٤٤-٤٥؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١١٤؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٦٥.

وقد بادر علي بن يوسف بن تاشفين إلى تجهيز جيش للجهاد في الأندلس، وقاد هذا الجيش الذي بلغ أكثر من مائة ألف فارس بنفسه، حيث عبر إلى الأندلس سنة ٥٠٣هـ / ١١١٠م، وتوجه إلى طليطلة مفتتحاً مافي طريقه من حصون وقلاع ومدن منها مجريط (مدريد)، ووادي الحجارة، وطلبيرة، وقد حاصر طليطلة شهراً ثم عاد إلى قرطبة[١]. وبعد عودته من قرطبة إلى المغرب واصل قادته الجهاد ضد النصارى في الأندلس[٢].

وعاد علي بن يوسف إلى الأندلس مجاهداً سنة ٥١١هـ / ١١١٧م حيث تمكن من فتح مناطق جديدة منها قلمرية (Colmbra) في البرتغال[٣]، وفي تلك الفترة كان النصارى يعدون العدة، ويحشدون الجيوش في حملة صليبية كبرى ضد المسلمين، فقد حشدوا أعداداً كبيرة من الدول النصرانية في شمال إسبانيا، ومن فرنسا وغيرها، وتقدموا إلى سرقسطة بقيادة ملك أراغون ألفونسو المحارب، وحاصروا المدينة حصاراً شديداً طال حتى اضطرت إلى الاستسلام في رمضان سنة ٥١٢هـ / كانون الأول ١١١٨م[٤].

وبدأ بعد سقوط سرقسطة في أيدي النصارى انهيار دولة المرابطين في الأندلس، فقد تعرضت جيوشهم لهزائم متلاحقة على أيدي النصارى[٥]، كما أن عمال المرابطين على الأندلس دب فيهم الفساد، وانكبوا على الملذات، وابتعدوا عن الدين وأحكامه، وسرت عدوى هذا الفساد إلى المغرب[٦]، وما لبثت دولة المرابطين أن بدأت بالانهيار في أواخر عهد علي بن يوسف بن تاشفين الذي توفي سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م، وتسارع انهيارها في عهد خلفه تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين، الذي توفي بعد سنتين من ولايته، أي في سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٥م[٧]، وولي بعد تاشفين ابنه أبو اسحاق إبراهيم الذي قتل بعد سنتين أيضاً من ولايته، وبوفاته انتهى حكم المرابطين، وورثهم الموحدون[٨].

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٦٥؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١١٦-١١٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٥٢.

(٢) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٦٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٥٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٦٤.

(٤) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١١٧-١٢٠؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٦٦-٦٧.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٦٠-٤٦١.

(٦) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٢٤؛ المراكشي، المعجب، ص٩٩.

(٧) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٦٩.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٠٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٣، ص٢٦٤-٢٦٥؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٧١.

سابعاً: عهد الموحدين

ظهر في أواخر عصر المرابطين ما يكدر صفاء العقيدة الإسلامية، ويخالف الفهم الإسلامي السليم، وقد أشرنا سابقاً إلى أن ولاة المرابطين المتأخرين على الأندلس ضلوا عن جادة الصواب الديني، ومالوا عن الجهاد إلى الدّعة والانصراف إلى الملذات، وكذلك فعل ولاتهم المتأخرون على المغرب، ففسد الحال، مما أثار بعض العلماء المخلصين، الذين هبوا لتنقية الإسلام مما علق به من شوائب، والدعوة إلى الفهم النقي، وصفاء العقيدة، والتوحيد الخالص، وقد أطلق هؤلاء العلماء على أنفسهم اسم (الموحدين)، وشكلوا جماعة رفضت كل مايسيء إلى عقيدة التوحيد[١].

وكان أبرز الموحدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت الذي أسس دعوته على أساس ديني قوامه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وربما على أساس قبلي أيضاً، ذلك أن صراعاً قوياً دار بين بعض قبائل البربر، وخاصة لمتونة، قبيلة المرابطين، وهرغة، إحدى قبائل مصمودة، قبيلة الموحدين[٢].

وكان محمد بن تومرت قد رحل إلى الشرق الإسلامي، والتقى العلماء وتلقى عنهم، ثم عاد إلى شمالي إفريقية، وبدأ دعوة الناس إلى التمسك بالدين وتطبيقه، ونبذ كل فهم لا يرتضيه الإسلام. وقد التحق به بنواحي تلمسان (الجزائر) عبدالمؤمن بن علي الكومي، وأصبح من رجاله المعتمدين[٣]، وبدأت الدعوة إلى قيام دولة الموحدين سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م، ثم ما لبثت هذه الدولة أن أصبحت دولة قوية خلفت دولة المرابطين في المغرب والأندلس[٤].

وكانت الأندلس في أواخر عهد المرابطين قد حل بها ما سبق أن حل في أواخر عهد الدولة الأموية، فقد أخرج أهل الأندلس من كان عندهم من الولاة المرابطين، واستبد زعماؤهم كل منهم في بلده، وفي الوقت نفسه استولى الإسبان على كثير من الثغور الإسلامية، ومن هؤلاء ملك أرغون ألفونسو الثاني (١١٦٢-١١٩٦م) الذي استولى على بعض المدن[٥].

وكانت بعض مناطق الأندلس قد وعى أهلها الأخطار المحدقة بهم، ومنهم أهل بلنسية وشرقي الأندلس بشكل عام، ولذلك اتفقوا على تنصيب زعيم عليهم هو عبدالرحمن بن عياض لما عُرف عن صلاحه وتقواه، ثم خلفه خادمه محمد بن سعد مردنيش حتى وفاته

---

(١) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٤٥٥-٤٥٦.

(٢) السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٦٤.

(٣) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٤٥٦-٤٥٧.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص٦٨؛ المراكشي، المعجب، ص٩٩؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٢٤-١٢٥.

(٥) حتاملة، الأندلس، ص٥٥٥.

سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٣م، وظهر أيضاً زعماء محليون في ألمرية وجيان، بينما استمرت غرناطة وإشبيلية على طاعة المرابطين[١].

وبينما كانت الأحداث تتفاعل في الأندلس على النحو الذي ذكرنا، كانت دولة الموحدين في المغرب تشتد وتقوى، وخاصة في عهد عبدالمؤمن بن علي الكومي الذي ولي أمرها بعد وفاة محمد بن تومرت سنة ٥٢٤هـ / ١١٢٩م[٢]. وقد وجد أهل الأندلس وخاصة بعض علمائها في دولة الموحدين مخلصاً للبلاد مما هي فيه، فأقبلت الوفود الأندلسية على عبد المؤمن تدعوه إلى الأندلس، وتستنصره، ومن هذه الوفود وفد إشبيلية الذي كان يتكون من مجموعة كبيرة من علمائها برئاسة القاضي أبي بكر بن العربي[٣].

وقد استجاب عبدالمؤمن بن علي الكومي لدعوات الوفود الأندلسية، فعبر إلى جبل طارق الذي سماه (جبل الفتح)، ووفد عليه هناك أهل الأندلس من عدد من مدنها بينها غرناطة وقرطبة وإشبيلية، وقام بترتيب أمر البلاد، وعين ولاة على المدن المذكورة، وعاد إلى المغرب بعد أن ملأ المناطق التي والته خيلاً ورجلاً[٤].

وقد توفي عبدالمؤمن بن علي سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م، وخلفه ابنه محمد الذي تم خلعه لعدم صلاحه وذلك بعد خمسة وأربعين يوماً، فخلفه أخوه أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن. وقد وجه يوسف حملة عسكرية إلى الأندلس سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م لتعزيز دفاعاتها ضد النصارى، وقد قامت هذه الحملة بمجابهة قوات ابن مردنيش في مرسية الذي كانت له صلة مودة مع بعض ملوك النصارى، وانتصرت عليه في معركة عرفت باسم (فحص الجلاب) على بعد اثني عشر كيلومتراً جنوب مرسية، وقد توفي ابن مردنيش في أعقاب هذه المعركة التي هُزم فيها[٥].

وقد كانت لأبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن مواقف جهادية ضد النصارى الإسبان، ففي سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م قصد بلاد ألفونسو الثاني، وحاصر مدينة وبذة Huete ثم ارتد عنها إلى إشبيلية، ومنها عاد إلى مراكش. وبعد عشر سنوات، أي في سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م

---

(١) المراكشي، المعجب، ص١٠٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٥٥.

(٢) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٤٥٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٥٧.

(٤) المراكشي، المعجب، ص١٠٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٥٥.

(٥) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٥٨-٢٦٠؛ عنان، محمد عبدالله، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة، ١٣٨٣-١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ج٢، ص١٦-١٨؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٤٥٩؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٥٥.

عاد إلى الأندلس، وحاصر شنترين Santarem على نهر تاجة، إلا أنه لم يتمكن من فتحها، وما لبث أن توفي سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م[١].

وخلف أبا يعقوب يوسف ابنه أبو يوسف يعقوب بن عبدالمؤمن الذي اتخذ لقب (المنصور) وحكم خلال الفترة (٥٨٠-٥٩٥هـ / ١١٨٤-١١٩٩م)، وكان أول ما فعله أبو يوسف يعقوب هو استكمال بناء مدينة الرباط على نهر سلا، وبعد ذلك عبر إلى الأندلس، واسترجع مدينة شلب التي كان ملك البرتغال سانشو الأول قد استولى عليها. كما فتح حصن طرش، وعاد إلى مراكش[٢].

وعبر المنصور في سنة ٥٩١هـ / ١١٩٥م إلى الأندلس لتأديب ملك ليون ألفونسو التاسع (١١٧١-١٢٣٠م) الذي نقض عهداً كان أبرمه مع المسلمين وهاجم بلادهم، وقد تقدم ألفونسو والمنصور إلى نواحي بطليوس حيث التقى جيشاهما في موقعة الأرك (Alarcos) قرب قلعة رباح، وكانت موقعة هائلة انهزم فيها النصارى بعد أن قتل منهم مائة وستة وأربعون ألفاً وأسر ثلاثون ألفاً كما تذكر المصادر[٣]، وقد فتح المنصور بعد هذه الموقعة معظم الحصون المحيطة بمدينة طليطلة، وتبع ذلك قيامه بعدة غزوات توغل خلالها في بلاد النصارى مما اضطر الملك ألفونسو إلى طلب الهدنة فهادنه المنصور لمدة عشر سنوات وعاد سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٨م إلى مراكش بعد أن رتب أمور الأندلس[٤].

وتوفي المنصور سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٩م فولي بعده ابنه محمد الذي اتخذ لقب (الناصر لدين الله)، وفي عهده احتل ألفونسو التاسع مدينة ماردة (Merida)، فجهز الناصر حملة عسكرية، وعبر الى الأندلس سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م ثم توجه لقتال النصارى، فحاصر قلعة شلبطرة مدة طويلة، وتذكر بعض المصادر أنه فتحها، بينما يذكر بعضها الآخر أنها امتنعت عليه، وخاصة أن المسلمين أصابهم الضرر عندما حل فصل الشتاء وهم يحاصرون القلعة، فآثروا الانسحاب[٥].

وأخذ الناصر يحشد لمعركة فاصلة مع النصارى، فجمع جيشاً من المغرب والأندلس بلغ ستمائة ألف مقاتل، وكذلك فعل ألفونسو التاسع، فقد استنفر القوات النصرانية من

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٥٠-١٥٦؛ المراكشي، المعجب، ص١٤٧-١٥٠؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٥٦.

(٢) الناصري، الاستقصا، ج٢،ص٢٠٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٥٦.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٤٣؛ الناصري، الاستقصا، ص١٨٥-١٩٣؛ مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ط١، تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص١٥٩.

(٤) المراكشي، المعجب، ص١٨١-١٨٢؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٣٨٢.

(٥) المراكشي، المعجب، ص٢٢٩؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٢.

الممالك الإسبانية ومن الدول الأوروبية وجمع هو الآخر جيشاً جراراً. والتقى الجيشان في موضع يعرف بالعقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، وقد كانت نتيجة هذه المعركة وبالاً على المسلمين، حيث حقق النصارى عليهم انتصاراً حاسماً أذهب قوتهم في الأندلس وفي المغرب أيضاً[١].

وعاد الناصر إلى المغرب حيث توفي سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م، وخلفه ابنه أبو يعقوب يوسف (المستنصر بالله) الذي بادر إلى عقد معاهدة سلم مع قشتالة. وخلال هذه الفترة فقدت الأندلس عدداً من المواقع المهمة منها قصر أبي دانس سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م بيد ملك البرتغال ألفونسو الثالث الذي ساعده أسطول للصليبيين الألمان الذين كانوا متجهين إلى الشرق[٢].

وقد توفي المستنصر بالله سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٤م دون عقب، وتولى بعده عدد من أحفاد أبي يعقوب يوسف، وكان بعضهم يخلع بعد أشهر من توليته لضعفهم. ويمكن القول إنّ دولة الموحدين انتهت فعلياً بوفاة المستنصر بالله، ذلك أن الذين جاءوا بعده لم يكن لأي منهم تأثير إيجابي في الأحداث وإنما تأثير سلبي عجل بنهاية الدولة. وقد خسر المسلمون بعد معركة العقاب كثيراً من المدن المهمة مثل قرطبة، وجيان، وإشبيلية، ومرسية وغيرها[٣].

وأصبحت الأندلس عندما انهارت دولة الموحدين تماماً سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م[٤] مقصورة على المناطق الجنوبية من إسبانيا، وهي المناطق التي شهدت ولادة مملكة غرناطة على يد بني الأحمر.

ثامناً: عهد مملكة غرناطة

اقتصرت الأندلس – بعد سقوط قواعدها وحصونها وقلاعها في أيدي النصارى – على بقعة صغيرة تشمل مدناً انحاز إليها أهل الإسلام، وأهمها: غرناطة وألمرية ومالقة، وقد شكلت هذه البقعة ما يمكن تسميته: الأندلس الصغرى، التي أقام فيها بنو الأحمر مملكة،واتخذوا من غرناطة عاصمة لها، فعرفت باسم مملكة غرناطة [٥].

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٣٨٣؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢٢٢-٢٢٣؛ المراكشي، المعجب، ص٢٣١؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٥٨.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص١٦١.

(٣) انظر: المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٤٧٢؛ الناصري، الاستقصا، ج٣، ص٣٧-٣٨؛ بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص١١١؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٥٨.

(٤) حتاملة، الأندلس، ص٥٥٨.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٥١٠.

وكانت غرناطة – بعد انهيار دولة الموحدين – قد تملكها محمد بن يوسف بن هود الجذامي سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م الذي ثار على بقايا الموحدين وأخرجهم من الأندلس[١]،

وكان ينافسه على زعامة العرب بعد إخراج الموحدين محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر الخزرجي[٢]، وقد تطورت هذه المنافسة إلى نزاع بين الزعيمين انتهى لصالح ابن الأحمر الذي تمكن من إنشاء مملكة غرناطة، وتمكن أعقابه من الحفاظ عليها مدة طويلة، بلغت نحو قرنين ونصف القرن[٣].

لقد بويع لابن الأحمر سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م، وهو محمد الأول (الغالب بالله)، الذي كان يعرف بالشيخ، والذي حظي بتأييد غالبية المسلمين، فاستطاع بتأييدهم أن يؤسس مملكة غرناطة وسط العواصف والفتن التي كثرت بعد سقوط دولة الموحدين، ورغم عدوان النصارى الذي توالى على القواعد الإسلامية[٤].

وقد اتبع الغالب بالله مع النصارى سياسة المهادنة حيناً وسياسة الحرب أحياناً، فقد صالح ملك أرغون، جيمس الأول، سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م[٥]، واستطاع أن يصد هجوماً على غرناطة شنه ملك قشتالة: ألفونسو العاشر سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م[٦].وكان ألفونسو العاشر يشن الهجوم تلو الهجوم على مملكة غرناطة، مما اضطر الغالب بالله إلى التنازل له عن عدد من المناطق والحصون. ومع ذلك استمر ألفونسو في مهاجمة الأراضي الأندلسية فاستنجد

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٤٧؛ ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله السلماني (ت ٧٧٦هـ)، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه ونشره محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧هـ، ص٣٢.

(٢) الناصري، الاستقصا، ج٣، ص٣٧-٣٨؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٤٨.

(٣) ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٥٥، ج١، ص١٤١-١٤٢؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٦١.

من أجل الاستزادة عن عهد مملكة غرناطة انظر المراجع التالية:

- *LAFUENTE ALCANTARA. MIGUEL:*"Historia de Granada", 3 tomos. Granada,1845.
- *LANE- POOLE* (S.), The Moors in Spain, London,1897.
- *Lapeyre (H.)* Geographie de l' Espagne morisque, Paris, 1959.
- Le Passage des morisques en Languedoc, thèse inédite,Montpellier,1970.
- *SIMONET. FRANCISCO JAVIER:* «Descripción del reino de Granada bajo la dominación de los Nazaritas».Madrid, 1860.
- *-SIMONET. FRANCISCO JAVIER:*»Descripción del reino de Granada bajo la dominación de los nazaritas»Sacada de los autores árabes, y seguida del texto inédito de Mohamed Ibn alJathib». Madrid 1860. Se publicó una segunda edición con el titulo» Descripción del Reino de Granada. Sacada de los autores arabigos «. Granada, 1872.

(٤) ضيا باشا، الأندلس الذاهبة، تعريب عبدالرحمن رشيدات، عمان، ١٩٨٩م، ج٣، ص٨٧ ومابعدها.

(٥) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤٨؛ الإحاطة، ج٢، ص٩٩-١٠٠.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٤٩؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٥٣٥-٥٣٦.

ابن الأحمر بالسلطان المريني ابي يوسف يعقوب بن عبدالمؤمن (المنصور)، غير أن الغالب بالله توفي قبل وصول النجدة، وذلك سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٢م[١].

وخلف الغالب بالله ابنه أبو عبدالله محمد الثاني الفقيه ابن محمد الأول بن يوسف (٦٧٢-٧٠١هـ / ١٢٧٣-١٣٠٢م)، وقد بدأ عهده بالعمل على التصدي لأطماع ملك قشتالة، ألفونسو العاشر، حيث ذهب بنفسه إلى المغرب، وقابل السلطان المريني يعقوب بن عبدالحق (المنصور) طالباً نجدته[٢]، فأرسل السلطان المريني ابنه على رأس جيش إلى الأندلس، ثم لحق به بنفسه سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م بعد أن حشد الجيوش للجهاد من أنحاء المغرب حتى أن كتائبه ملأت ساحة الأرض بين طريف والجزيرة الخضراء، ثم اكتسحت عدداً من الحصون التي كان النصارى قد احتلوها. وقد اتخذ السلطان يعقوب بموافقة الفقيه كلاً من الجزيرة الخضراء وطريف وما إليها من الحصون قواعد لجهاده[٣].

وقد أمضى (المنصور) في جهاده في الأندلس مساعداً المسلمين فيها نحو ستة أشهر اشتبك خلالها مع النصارى في معركة كبرى سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م عند مدينة استجة (Ecja) الواقعة على بعد ستة وخمسين ميلاً جنوب قرطبة[٤]، وألحق بالنصارى هزيمة ساحقة، وهي أول هزيمة تلحق بملك قشتالة ألفونسو العاشر[٥].

وقد عبر السطان المريني (المنصور) إلى الأندلس مرة أخرى سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م واشتبك مع ملك الجلالقة سانشو بن ألفونسو في معركة على ضفة الوادي الكبير، وهزمه بعد أن قتل من النصارى أعداداً كبيرة، وقد كانت هذه الحملة فعالة ضد النصارى، فقد أجبرتهم بعد اكتساح عدد كبير من حصونهم على طلب السلم، فانعقد بين الفقيه وألفونسو العاشر، ومن ثم عاد السلطان يعقوب إلى المغرب، وذلك سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م[٦].

ولم تخل الساحة الأندلسية خلال هذه الفترة من الواشين والحساد، فقد أوقعوا بين الفقيه والسلطان المريني، وخوّفوا الفقيه على ملكه، فاستعان بملك قشتالة ألفونسو العاشر الذي وجدها فرصة سانحة لنقض عهد السلم، وأرسل أساطيله إلى الجزيرة الخضراء وحاصرها حتى فني أكثر من فيها من القتل والجوع، وكان المنصور ما يزال فيها محاصراً،

---

(١) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٥٣٦؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٦٤.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٤٩.

(٣) الناصري، الاستقصا، ج٣، ص٤٠؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٤٩.

(٤) حتاملة، الأندلس، ج١، ص٥٦.

(٥) الناصري، الاستقصا، ج٣، ص٤٠-٤١؛ ابن الخطيب، الإحاطة؛ ج١، ص٥٦٥.

(٦) الناصري، الاستقصا، ج٣، ص٤٥-٤٨؛ حتاملة، الأندلس، ج١، ص٥٦٧.

غير أنه تمكن من الاتصال بابنه الأمير يوسف في المغرب، فجمع الأساطيل، واستنفر أهل المغرب للجهاد، فتجمع له جيش كبير عبر به إلى الأندلس، وفتك بجيوش النصارى مما اضطرها إلى فك الحصار. وكان الفقيه عندما رأى ماحل بأهل الجزيرة الخضراء قد ندم على ما فعل، وأعد أساطيله أيضاً، وقد تكاتفت مع الأساطيل المغربية، مما كان له الأثر الأكبر في هزيمة النصارى[١].

وعبر السلطان يعقوب المريني إلى الأندلس سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م بناءً على طلب ملك قشتالة ألفونسو العاشر، هذه المرة، حيث استنجد به ضد ابنه سانشو الذي أخذ ينازعه على العرش، وقد أعلن ألفونسو خلال هذه الحملة خضوعه للسلطان يعقوب، وأخضعا معاً الابن العاق، ثم عمل السلطان المريني على إزالة الخلافات بينه وبين الفقيه، ومن ثم استأنف الضغط على النصارى الإسبان، وبعد مدة عاد السلطان إلى المغرب، وذلك سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م[٢].

وظل محمد الفقيه طوال فترة حكمه يستغل الأوضاع من أجل تثبيت الدولة النصرية في الأندلس، فكلما وجد ثغرة نفذ منها لضرب النصارى، وكلما حزبه أمرهم استنجد بالسلطان المريني الذي كان يسارع دوماً لنجدته، حرصاً منه على الجهاد، وعلى وحدة المسلمين، وظل الأمر كذلك حتى وفاة السطان المريني (المنصور) سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م[٣]، وذلك بعد أن أمضى حياة حافلة بالجهاد. وقد ورث حكم بني مرين ابنه أبو يعقوب يوسف الذي كان له أيضاً دور كبير في مجاهدة الممالك الإسبانية إلى جانب ملك غرناطة محمد الفقيه[٤].

وتوفي محمد الفقيه سنة ٧٠١هـ/١٣٠٢م، ويعتبر المؤسس الثاني لملكة غرناطة التي امتدت على الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة الأيبيرية، وضمت ثلاث ولايات كبيرة، هي: ولاية غرناطة في الوسط، وولاية ألمرية في الشرق، وولاية مالقة في الجنوب والغرب[٥].

وقد ورث محمد الفقيه ابنه السلطان محمد الثالث (المخلوع) (٧٠١-٧٠٨هـ/١٣٠٢-١٣٠٩م)، وقد تعرضت غرناطة في عهده إلى فتن داخلية انتهزها الإسبان واتفقوا على

---

(١) الناصري، الاستقصا، ج٣، ص٤٩-٥٣.

(٢) المرجع نفسه، ج٣، ص٥٥-٥٨؛ ابن الخطيب، الإحاطة؛ ج١، ص٥٦١.

(٣) الناصري، الاستقصا، ج٣، ص٦٢-٦٥؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٥٣٨-٥٣٩؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٦٩.

(٤) ابن أبي زرع، أبو الحسن علي الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، ١٩٧٣،ص٣٧٣، ٣٧٤، ٣٨٠.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة؛ ج١، ص٩١-١٤٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٤٧-١٥٠؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٥١٨.

http://al-maktabeh.com

قتاله، فقد اتفق ملك قشتالة وليون فرديناند الرابع (١٢٨٥-١٣١٢م) مع ملك أرغون جيمس الثاني (١٢٩١-١٣٢٧م) وحاصرا المرية، واستوليا على الجزيرة الخضراء، وقد استصرخ المخلوع بني مرين إلا أنهم لم يهبوا لنجدته مما اضطره إلى مصانعة ملك قشتالة، ودفع الأموال له نظير انسحابه من الجزيرة الخضراء[١].

وازداد ضغط النصارى على الأندلس الصغرى في عهد المخلوع، كما أن علاقاته مع السلطان المريني كانت تتذبذب بين الخصام والوئام، وفي حالات الخصام كان يوالي النصارى، وفي مقدمتهم ملك قشتالة فرديناند الرابع[٢].

وقد خلع أبو عبدالله محمد الثالث سنة ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م، وتولى الحكم بعده أخوه نصر بن محمد الثاني المكنى أبا الجيوش (٧٠٨-٧١٣هـ / ١٣٠٩-١٣١٤م)، وفي عهده قام ملك قشتالة فرديناند الرابع بغزو الجزيرة الخضراء سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، كما قام النصارى بغزو ألمرية في السنة نفسها، وقد اضطر ذلك أبا الجيوش إلى مصالحة بني مرين، فأرسلوا له جيشاً تمكن بمساعدته من إرغام فرديناند الرابع على الانسحاب والتعويض عما ألحقه بالجزيرة الخضراء من خسائر، كما تمكن من طرد جيمس الثاني ملك أرغون من ألمرية[٣].

ولم يلبث أبو الجيوش أن أرغم على التنازل عن عرش غرناطة على يد أحد أبناء عمومته، وهو إسماعيل أبو الوليد بن فرج بن إسماعيل بن يوسف (٧١٣-٧٢٥هـ / ١٣١٤-١٣٢٥م)، وقد اشتهر إسماعيل بالعدل والعفة، وأهتم بأمر الجهاد[٤]. وفي عهده زحف الجيش القشتالي على غرناطة بقيادة دون بيدرو، الوصي على ملك قشتالة الفونسو الحادي عشر، وكان معه جيش كبير تؤيده الكنيسة، وكان يقصد استئصال المسلمين. وأمام هذا الزحف الذي شارك فيه عدد كبير من جنود الأقطار الأوروبية وخاصة الإنجليز، استنجد السلطان إسماعيل بالمرينيين، إلا أنهم لم يعينوه، وعندئذ لجأ مسلمو غرناطة إلى الله فأمدهم بجند من عنده، حيث هزموا القوات الغازية هزيمة نكراء مع أن عددهم كان قليلاً لايتجاوز ستة آلاف،وقتل في هذه المعركة التي دارت قرب الحمراء بظاهر غرناطة سنة ٧١٩هـ / ١٣١٩م قائد الجيوش النصرانية دون بيدرو[٥].

---

(٥) ضيا باشا، الأندلس الذاهبة، ج٣، ص١٥٠-١٥١؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٧١.

(١) حتاملة، الأندلس، ص٥٧١.

(٢) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٧٥؛ الناصري، الاستقصا، ج٣، ص١٠١؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٥٤١.

(٣) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٧٨، ٨٤؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٩٨.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٣٨٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٤٩-٤٥١؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٧٥؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٩٩.

وقام السلطان إسماعيل في أعقاب هذا النصر بغزو العدو، وحقق عليه انتصارات كبيرة، وفتح بعض الحصون مثل حصن إشكر Huescar قرب بسطة، وذلك سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م. غير أن ابن عم له دبر اغتياله وهو عائد إلى غرناطة من تلك الحملة الجهادية[١].

وولي بعد إسماعيل ابنه محمد الرابع (٧٢٥-٧٣٣هـ / ١٣٢٥-١٣٣٣م)، وقد تمكن المسلمون في عهده بالتعاون مع بني مرين من استعادة جبل طارق الذي كان الجيش القشتالي قد سيطر عليه منذ سنة ٧٠٩هـ / ١٣١٠م، وقد تمت استعادة الجبل سنة ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م[٢]، وهي السنة التي اغتيل فيها محمد الرابع بينما كان عائداً من جبل طارق بعد فتحه وتحصينه[٣].

وتولى حكم غرناطة بعد محمد الرابع أخوه يوسف الأول أبو الحجاج (٨٣٣-٧٥٥هـ / ١٣٣٣-١٣٥٤م) وكان من أبرع ملوك بني الأحمر[٤]، وقد وقعت في عهده معركة بحرية بين أسطول غرناطة وألاساطيل التابعة لمالك قشتالة وأرغون والبرتغال بمباركة البابا كلمنت السادس، وقد انهزم المسلمون في هذه المعركة التي وقعت سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م[٥]. وعلى أثر ذلك استنجد يوسف الأول بالمرينيين الذين استعانوا بدورهم بالحفصيين، وتجمعت عدة أساطيل إسلامية لمواجهة أساطيل النصارى، ودارت معركة بحرية كبيرة في عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م استعمل خلالها المسلمون لأول مرة المدافع التي تقذف النيران، ومع ذلك خسروا هذه المعركة، وعاث النصارى فساداً في المعسكر الإسلامي، ونهبوا مافيه. وقد وقعت هذه المعركة قرب جزيرة طريف فسماها المسلمون وقعة طريف بينما يسميها الإسبان معركة Salado، وكانت بنتائجها من الدواهي التي أعيت بالمسلمين، حيث تمكن النصارى في أعقابها من تثبيت أقدامهم في طريف[٦].

وازداد طمع النصارى بعد وقعة طريف بالأندلس الصغرى، وأخذوا يشددون الضغط

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٣٩١-٣٩٢؛ اللمحة البدرية، ص٨٥-٨٧.

(٢) الناصري، الاستقصا، ج٣، ص١٢١-١٢٢؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٩٢-٩٣؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٧٩.

(٣) انظر التفاصيل: ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٩٢-٩٨؛ الناصري، الاستقصا، ج٣، ص١٢٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٥٤٠-٥٤١؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٧٩.

(٤) ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله السلماني (ت٧٧٦هـ)، كناسة الدكان، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م، ص٩-١٠؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٩٨.

(٥) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٥٤٣؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٩٨.

(٦) ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص٣١؛ اللمحة البدرية، ص١٠٥-١٠٩؛ المقري، نفح الطيب، ج٥، ص١٤-١٥؛ الناصري، الاستقصا، ج٣، ص١٣٤-١٣٧؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٨١.

عليها، وقد تمكنوا من الاستيلاء على الجزيرة الخضراء سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م[١]، وكاد ألفونسو الحادي عشر أن يستولي على الأندلس كلها خلال تلك الفترة إلا أنه اضطر إلى الارتداد عنها بسبب تفشي وباء الطاعون في جيشه، ووفاة ألفونسو الحادي عشر بهذا الوباء سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م[٢].

وتوفي سلطان غرناطة يوسف الأول أبو الحجاج سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م بطعنة خنجر وهو يصلي، حيث قتله رجل ذكرت المصادر أنه ممرور (مجنون)[٣]، وولي بعده ابنه محمد الخامس (الغني بالله) (٧٥٥-٧٦٠٩هـ / ١٣٥٤-١٣٥٦م)[٤] وقد شهدت بداية عهده فترة من السلم والرخاء، فقد ذكر ابن الخطيب أنه «لم يحدث في أيامه حدث إلا العافية والهدنة والأفراح المتجددة والأمنة المستحكمة والسلم المنعقد»[٥].

وقد أرسل السلطان الغني بالله: لسان الدين ابن الخطيب الذي كان يتمتع بمكانة ممتازة لديه، أرسله في سفارة إلى سلطان المغرب أبي عنان المريني، وقد نجحت هذه السفارة حيث ساد الود بين زعيمي الأندلس والمغرب[٦]. وكان متوقعاً أن تثمر العلاقات الودية بينهما تكاتفاً يرد كيد الأعداء النصارى، غير أن انقلاباً وقع في غرناطة ضد الغني بالله أطاح به، وتولى بعده أخوه اسماعيل الثاني[٧]، ثم أبو عبدالله محمد السادس (الغالب بالله)[٨]، ثم عاد إلى الحكم محمد الخامس (الغني بالله)، حيث حكم خلال الفترة (٧٦٣-٧٩٣هـ / ١٣٦٢-١٣٩١م)[٩].

وقد وقعت عدة أحداث وفتن داخلية في مملكة غرناطة خلال هذه الفترة التي تميزت بالاقتتال على عرشها، والتي كان فيها بعض بني نصر أو بني الأحمر يستعين بالنصارى ضد بعضهم الآخر، تماماً مثلما كان يحدث أيام ملوك الطوائف، وفي أواخر دولتي المرابطين والموحدين، وكان يحدث الأمر نفسه بين ملوك النصارى، فقد قامت حرب بين بيدرو الأول ملك قشتالة وبطرس الرابع ملك أرغون. وقد اغتنم الغني بالله هذه النزاعات لصالحه،

---

(١) حتاملة، الأندلس، ص٥٨٢.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٣٥؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٨٢.

(٣) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص١١٠؛ الإحاطة، ج٤، ص٣٣؛ المقري، نفح الطيب، ج٥، ص٨١.

(٤) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص١١٣؛ الإحاطة، ج٢، ص١٤؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٨٣.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص١٤ وما بعدها.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص١٩-٢٠.

(٧) ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص١٢٦-١٢٩؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٨٧.

(٨) حتاملة، الأندلس، ص٥٨٧.

(٩) ضيا باشا، الأندلس الذاهبة، ص١٩٠-١٩٢.

حيث تمكن من استعادة الجزيرة الخضراء سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٩م وذلك بمساعدة السلطان عبدالعزيز المريني. وقد ظلت الجزيرة الخضراء عامرة حتى سنة ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م، حيث قرر السلطان الغني بالله هدمها حتى لا تسقط في أيدي النصارى[١]. وقد استقرت الأوضاع في غرناطة وسادها الهدوء حتى وفاة الغني بالله سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩١م[٢].

وقد جاء بعد وفاة الغني بالله سلاطين ضعاف منهم ابنه أبو الحجاج يوسف الثاني، ومن بعده محمد السابع ثم أخوه يوسف الثالث الذي حكم خلال الفترة (٨١١-٨٢٠هـ / ١٤٠٨-١٤١٧م)، وكان يوسف الثالث قد جدد هدنة كانت قائمة مع مملكة قشتالة، وذلك لمدة سنتين، وبعد انتهائها رفضوا تجديدها، وسيطروا على بعض الحصون[٣].

وتبع يوسف الثالث عدة سلاطين اختلفت قدراتهم بين القوة والضعف، وكانت مملكة غرناطة قد دخلت في حروب جهادية مع مملكة قشتالة، إلا أن هذه الحروب غالباً ما كانت لصالح النصارى[٤].

فقد استغل ملك قشتالة خوان الثاني في عهد محمد السابع الملقب بالأيسر (٨٢٠-٨٣١هـ / ١٤١٧-١٤٢٨م) الفتن التي وقعت في غرناطة بسبب سوء خلال الأيسر وتعاليه، وعمل على إذكاء تلك الفتن، وهاجم غرناطة سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٨م مما زاد في اضطراب غرناطة، وخاصة بعد أن عجز الأيسر عن دحر النصارى[٥]، وقد أدى ذلك إلى قيام ثورة ضده وعزله، وكانت الثورة بزعامة ابن أخيه محمد بن محمد بن يوسف الثالث الملقب بالزغير (الصغير)[٦]. وقد التجأ وزير الأيسر: يوسف بن سراج إلى حماية ملك قشتالة خوان الثاني، وطلب مساعدته لإعادة الأيسر إلى الحكم. وقد انتهت هذه الأحداث إلى مقتل الصغير، وعودة الأيسر لتسلم عرش غرناطة بمساعدة ملك قشتالة[٧].

وقد طلب ملك قشتالة ثمناً باهظاً لمساعدة الأيسر، وفرض عليه شروطاً منها الدخول في طاعته فرفض، وعندئذ هاجم ملك قشتالة الأندلس واستولى على أوريولة سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣١م[٨].

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٤٢-٤٨؛ أعمال الأعلام، ص٣٠٨-٣٠٩؛ اللمحة البدرية، ص١٢٩.

(٢) حتاملة، الأندلس، ص٥٨٩.

(٣) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٥٦٤-٥٦٥؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٣٠٠.

(٤) السامرائي، تاريخ العرب، ص٣٠٠.

(٥) ابن عاصم الغرناطي، أبو يحيى محمد، جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق صلاح جرار، عمان، ١٩٨٩م، ص١٦، ٣٥.

(٦) عنان، محمد عبدالله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط٢، القاهرة، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م، ص١٤٣-١٤٤.

(٧) ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا، ص١٥؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٩٣.

(٨) عنان، نهاية الأندلس، ص١٤٨؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٩٣.

وأخذ سقوط الحصون والمدن في أيدي النصارى يتسارع، وخاصة في عهد سلطان غرناطة سعد بن إسماعيل (٨٥٨-٨٦٨هـ / ١٤٥٤-١٤٦٤م)، وقد سقط في عهده جبل طارق، وكان ذلك قاصمة الظهر لمسلمي غرناطة؛ إذ لم يعد بالإمكان وصول أي إمدادات من المغرب إلى الأندلس[١]، وأصبحت غرناطة معزولة عن العالم الإسلامي، وعندئذ اضطر السلطان سعد إلى الاعتراف بالطاعة لملك قشتالة، ودفع الجزية له[٢].

وتوالت الفتن الداخلية والنزاع على السلطة في غرناطة[٣]، وهو الأمر الذي أدى إلى تفرق الكلمة في الأندلس في الوقت الذي اتحدت فيه مملكتا قشتالة وأرغون، وذلك في سنة ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م على أثر زواج فرناندو الخامس ملك أرغون، وإيزابيلا ملكة قشتالة، الذي تم في عهد سلطان غرناطة أبي الحسن علي بن سعد (٨٦٨-٨٨٧هـ / ١٤٦٤-١٤٨٢م)[٤]. وبعد هذا الاتحاد طلب الملكان من سلطان غرناطة شروطاً ثقيلة رفضها، وبدأت المناوشات بين الطرفين، وقد تمكن ملك أرغون من احتلال مدينة الحامة الواقعة جنوب غرناطة، وأمعنت قواته في أهلها قتلاً، وذلك سنة ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م[٥].

وبينما كان الملكان الكاثوليكيان يحشدان الجيوش للاستيلاء على غرناطة كان أبناء سلطانها وغيرهم يتنازعون على السلطة، وقد تولاها أبو عبدالله الصغير، وهو محمد الحادي عشر ابن علي، الذي خاض معركة قوية ضد جيوش قشتالة وهزمها، وقاد جيشاً آخر باتجاه قرطبة، وحقق بعض الانتصارات في المعارك التي خاضها ضد النصارى، إلا أنه أسر في إحداها، ثم أطلق سراحه عام ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م بعد توقيع اتفاق لصالح قشتالة. وعندما كان الصغير أسيراً تولى أمر غرناطة أبو عبدالله الزغل (٨٩٠-٨٩٢هـ / ١٤٨٥-١٤٨٧م) ثم عاد الصغير إلى عرشه (٨٩٢-٨٩٧هـ / ١٤٨٧-١٤٩١م)[٦].

وخلال هذه الأحداث هاجمت القوات النصرانية مدينة لوشة واحتلتها، ثم بدأ ملك قشتالة يشدد ضرباته ضد المدن الأندلسية، وفي الوقت نفسه استعرت نار الحرب الأهلية في غرناطة بين أبي عبدالله الصغير وأبي عبدالله الزغل، وقد تحالف أبو عبدالله الصغير مع النصارى فأمدوه بالمال والسلاح والبارود والقمح، واستمرت المجازر بين الفريقين،

---

(١) عنان، نهاية الأندلس، ص١٥٢؛ حتاملة، الأندلس، ص٦٠٢.

(٢) عنان، نهاية الأندلس، ص١٥٤.

(٣) انظر التفاصيل: حتاملة، الأندلس، ص٦٠٢-٦٠٣.

(٤) السامرائي، تاريخ العرب، ص٣٠٠؛ عنان، نهاية الأندلس، ص١٥٤؛ حتاملة، الأندلس، ص٦٠٤.

(٥) السامرائي، تاريخ العرب، ص٣٠٠؛ حتاملة، الأندلس، ص٦٠٩.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٥٢٣-٥٢٩؛ السامرائي، الأندلس، ص٣٠١، حتاملة، الأندلس، ص٦١٤.

واشتدت الفتنة التي كان النصارى يزيدونها اشتعالاً من ناحية، ويشددون الضغط على مدينة مالقة من ناحية أخرى حتى سقطت في أيديهم[١].

وقد حاول أبو عبدالله الزغل انقاذ مالقة، وحالما خرج من غرناطة التي كان يقتسم حكمها مع أبي عبدالله الصغير، استولت قوات الصغير على غرناطة، وفي الوقت الذي أصبحت فيه قوات الزغل مفككة اتبع أسلوب المناورة في غيظ وحنق، واتفق مع الملكين الكاثوليكيين على الانضواء تحت لوائهما، وقدم لهما بعض المناطق الجبلية الواقعة بين وادي آش وغرناطة[٢]. ومكافأة لأبي عبدالله الزغل سمحا له بالبقاء في مدينتي بسطة وألمرية، غير أنهما نقضا العهد معه، وحاصرا مدينة بسطة، واحتلاها في عام ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م، وفي العام الثاني احتلا مدينة ألمرية[٣]، كما احتلا وادي آش في صفر ٨٩٥هـ / كانون الأول ١٤٨٩م[٤].

ولم يبق في أيدي المسلمين بعد احتلال المدن المذكورة سوى مدينة غرناطة نفسها التي امتنع فيها أبو عبدالله الصغير، بينما حاصرها الملكان الكاثوليكيان فرديناند وإيزابيلا، بجيش كبير، وظلا يشددان الخناق عليها حتى اضطرت إلى التسليم في الثاني من كانون الثاني سنة ١٤٩٢م[٥] وكان أبو عبدالله الصغير قد وقع مع الملكين معاهدة تسليم غرناطة في ٢١ محرم ٨٩٧هـ / ٢٥ تشرين الثاني ١٤٩١م، وتتألف هذه المعاهدة من سبع وأربعين مادة يضمن بعضها نقاطاً لصالح المسلمين، كما تم توقيع معاهدة سرية لتسليم المدينة بين أبي عبدالله الصغير والملكين الكاثوليكيين في اليوم نفسه، غير أن النصارى سرعان ما نقضوا المعاهدتين[٦]، واضطروا أبا عبدالله الصغير إلى الخروج من غرناطة إلى المغرب وكان أبو عبدالله الزغل قد غادرها إلى المغرب أيضاً، وبذلك انتهى عهد مملكة غرناطة هذه النهاية المأساوية.

---

(١) حتاملة، الأندلس، ص٦١٥.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٥١٩-٥٢١؛ الناصري، الاستقصا، ج٤، ص١٠٢.

(٣) حتاملة، الأندلس، ص٦١٥-٦١٦.

(٤) المرجع نفسه، ص٦١٩.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٥٢٤-٥٢٥؛ الناصري، الاستقصا، ج٤، ص١٠٣-١٠٤؛ حتاملة، الأندلس، ص٦١٩-٦٢٢.

(٦) انظر نص المعاهدتين في حتاملة، الأندلس، ص٦٣٦-٦٤٦، ص٦٥٣-٦٦٠.

الفصل الثالث

المجتمع الإسلامي في الأندلس

المجتمع الإسلامي في الأندلس (*)

كان مجتمع شبه الجزيرة الأيبيرية، أو المجتمع الإسبانى مقسماً – كما أشرنا سابقاً– إلى طبقات يعلو بعضها بعضاً، والطبقة العليا هي التي تحوز كل شيء لنفسها، وتعيش حياة مترفة على حساب الطبقات الأدنى منها،والطبقة الدنيا هي عادة التي تتحمل كل الأوزار، فهي الطبقة السحيقة المسحوقة التي تكد وتتعب من أجل غيرها.

ودخل الإسلام شبه الجزيرة الأيبيرية، أو إسبانيا مع الفاتحين، وبدخوله أصبح المجتمع يعاد تشكيله وفق أسس جديدة بعيداً عن الفوقية والاستعلاء، وهو مجتمع كان الفاتحون الأولون لبنته الأولى، ثم اتسع ليشمل كثيرين من أهل البلاد الذين اعتنقوا الإسلام وغيرهم. وأصبح هؤلاء جميعاً يكونون المجتمع الإسلامي في أيبيريا، أو (الأندلس) كما أصبحت تسمى بعد فتحها. وليس من شك في أن هذا المجتمع الإسلامي طاله التطور والتغير بمرور الزمن، وهذا أمر طبيعي، وخاصة فيما يتعلق بالمجتمع الإسلامي في الأندلس الذي بلغ عمره منذ بداية الفتح حتى سقوط غرناطة ما يقرب من ثمانمائة سنة. غير أنه لم يكن مجتمعاً طبقياً يوماً، ولا يمكن اعتبار أي مجتمع إسلامي نقي مجتمعاً طبقياً، ولكن يمكن اعتباره مجتمعاً فئوياً، أي مكوناً من فئات لا فضل لإحداها على الأخرى إلا بالتقوى، والفئات التي تشكل منها المجتمع الإسلامي في الأندلس يصعب حصرها بدقة، غير أن الدارس لتاريخ هذا المجتمع يلاحظ أن هنالك فئات يكثر الحديث حولها، وهي: البلديون، والشاميون، والبربر،والمستعربون، والمولدون، وغيرهم. وقد وقع على عاتق الفئتين الأولى والثالثة نقل الإسلام إلى الأندلس، وقد دخلت الفئة الثانية الأندلس متأخرة قليلاً عن سابقتيها، أما نشر الإسلام في الأندلس فقد وقع على عاتق جميع المسلمين، من دخلها مسلماً فاتحاً، ومن أسلم من النصارى بعد فتحها وحسن إسلامه.

(*) من أجل الاستزادة عن المجتمع الاسلامي في الأندلس انظر المراجع التالية:

- *CONTRERAS RAFAEL:* « Recuerdos de la dominación de los árabes en España,sus tradiciones literarias art, historia de los Nazaritas, etc. Biblioteca Arabico- Hispana Escurialensis.
- *Circout, Albert de:* Historie des maures mudejares et des árabes d'Espagne sous la domination des chretiens, Paris, 1845-1848. 3 vol.

وسنتناول فيما يلي البلديين والشاميين والبربر، وأماكن استقرارهم، وجهودهم في نشر الإسلام، ثم نتناول الفئات الأخرى التي تشكلت بعد سقوط غرناطة.

البلديون وأماكن استقرارهم

عُرف بهذه التسمية الفاتحون الأوائل من العرب والبربر الذين شكلوا جيش طارق بن زياد، وجيش موسى بن نصير، وتغلبوا على دولة القوط الغربيين، واستقروا في الأراضي المفتوحة، وبشكل خاص، على امتداد الطريق التي سلكتها جيوش القائدين أثناء فتوحاتهما لشبه الجزيرة الأيبيرية[١].

وقد تسمى هؤلاء بالبلديين لأنهم اعتبروا أنفسهم أهل البلد وأصحابها[٢]، وتشير بعض الروايات إلى أن موسى بن نصير اتخذ إجراءات لتقسيم الأراضي المفتوحة في الأندلس، وأقر النصارى الذين اعتصموا في المعاقل المنيعة، والمناطق الجبلية على ممتلكاتهم، وديانتهم، على أن يدفعوا الجزية للمسلمين، وقد سميت الأراضي التي ظلت بحوزة هؤلاء: أرض الصلح[٣]. وهناك أراض قتل أصحابها النصارى في المعارك، أو فروا منها، وقد استقر بعض البلديين في هذه الأراضي المهجورة. وهناك روايات أخرى تؤكد أن موسى بن نصير لم يتمكن من تقسيم الأراضي المفتوحة كلها بسبب اضطراره للعودة السريعة إلى المشرق بناء على إلحاح الخليفة الوليد بن عبد الملك[٤].

واستقر البلديون أيضاً في المناطق التي استسلمت للمسلمين بموجب معاهدات صلح، ومنها المعاهدة التي عقدها عبدالعزيز بن موسى مع تدمير، حاكم منطقة شرقي الأندلس القوطي، فقد وافق أهالي هذه المنطقة بمن فيهم أهالي مدينة وشقة (Huesca) على دفع الجزية، وإعطاء قسم من أراضيهم للمسلمين ليستقروا فيها[٥].

وقد وافقت الخلافة الأموية على الترتيبات التي اتخذت لاستقرار البلديين، كما أن الخليفة الوليد بن عبدالملك منح من خمس الخلافة إقطاعات أخرى لمن كانوا غير راضين عما أصابوا من أراض. وأما الخليفة عمر بن عبدالعزيز فقد حرص على تقسيم أرض

---

(١) الغساني، محمد بن عبدالوهاب (ت ١١١هـ)، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، نشر الفريد البستاني، مدريد، تطوان، ١٩٣٩م، ص١٠٠.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٥٦.

(٣) الغساني، رحلة الوزير، ص١٠١.

(٤) السامرائي، تاريخ العرب، ص٦٥.

(٥) الحميري، الروض المعطار، ص١٩٥؛ الغساني، رحلة الوزير، ص١٠٤.

http://al-maktabeh.com

الأندلس، وتحديد خمس الخلافة، وأوصى والي الأندلس السمح بن مالك الخولاني بذلك، غير أن البلديين رفضوا التخلي عن بعض أراضيهم لمن قدموا مع السمح، وعندئذ قرر الخليفة منح اتباع السمح أراضي من حصة الخلافة (الخُمس)، وأصبح هذا الإجراء متبعاً لإسكان الجماعات الصغيرة من العرب التي تدخل الأندلس[١]. وقد عمل السمح على تقسيم الأراضي في العديد من مناطق الأندلس، وكان معه رجل يدعى جابر، أرسله الخليفة عمر بن عبدالعزيز لهذه المهمة[٢].

وكان البلديون يتألفون بشكل عام من العشائر العربية التي تنتمي لمختلف القبائل اليمنية، وبعضهم كان ينتمي لعشائر أخرى من قبيلتي مضر وربيعة. ومن أشهر القبائل التي كونت من تسموا بالبلديين: الأوس والخزرج، ومنهم أحفاد سعد بن عبادة، أحد صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقد استقر هؤلاء بالقرب من سرقسطة، وفي شذونة، وقرطبة، وسكن بعضهم في شرقي الأندلس[٣]. وتجدر الإشارة إلى أن بني نصر،أو بني الأحمر الذين أقاموا مملكة غرناطة، يرجعون في أصلهم إلى قيس بن سعد بن عبادة، وقد سكن هؤلاء في بداية الأمر في منطقة أرجونة، إحدى مناطق جيان [٤].

واستقر الأزد في منطقة تدمير (مرسية) وإشبيلية، وقرب غرناطة، وقرب جيان، بينما استقرت بعض القبائل من غافق في الجزيرة الخضراء، وشذونة، وسرقسطة، وسكنت جماعات منهم في مناطق إشبيلية، وقرطبة، وطليطلة، وإلبيرة، وينتمي إلى غافق: عبدالرحمن بن عبدالله الغافقي الذي ولي الأندلس، واستشهد في معركة بلاط الشهداء[٥].

واستقرت بعض القبائل اليمنية مثل لخم في شرقي الأندلس وإشبيلية، ومالقة[٦]. وجذام في تدمير وقلعة رباح، والثغر الأعلى. ومن قبيلة جذام اليمنية بنو هود الذين حكموا

---

(١) الغساني، رحلة الوزير، ص١٠١-١٠٢؛ طه، عبدالواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقية والأندلس، بغداد، ١٩٨٢م، ص٢١٤.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٢-١٣.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٨٢؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٣٦٥-٣٦٦.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٩٤، ٤٤٧؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٣٧٧.

(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٨٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٢٩، ٣٢٠، ج٢، ص٢٩٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٩٣؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٣، ٧٦.

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٢، ١٦-١٧؛ ابن عذاري البيان المغرب، ج٢، ص٣٢، ٣٥؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٣-٤.

سرقسطة في عهد ملوك الطوائف[١]. ومن القبائل اليمنية أيضاً: معافر التي دخلت الأندلس مع حملة طارق بن زياد، واستقر بعضها في الجزيرة الخضراء وانتشرت بمرور الزمن في أنحاء الأندلس، ومن هذه القبيلة: المنصور محمد بن أبي عامر[٢]. ومن هذه القبائل أيضاً: تجيب التي سكنت في منطقة الثغر الأعلى، وخاصة: سرقسطة، ودروقة، وقلعة أيوب، ومن تجيب: بنو صمادح الذين تمكنوا من السيطرة على مدينة وشقة وما حولها[٣]. وهناك أيضا قبيلة خولان الذين استقروا في الجزيرة الخضراء، وشذونة[٤].

وتعد قبيلة بلي القضاعية من البلديين أيضاً، وهي قبيلة يمنية استقرت إلى الشمال الغربي من قرطبة[٥]. ومن قضاعة أيضاً عشيرة عذرة التي استقرت في ألمرية، وسرقسطة[٦].

وينتمي البلديون من مضر إلى عشائر مختلفة منها هذيل التي استقرت في بعض مناطق مرسية، وسرقسطة [٧]. ومنها تميم، وقد استقروا في إشبيلية، وقرب طلبيرة إلى الغرب من طليطلة [٨]. ومنها، أي من مضر، قريش التي رافق بعض زعمائها حملة موسى بن نصير، ومنهم من ينتمي إلى فهر، وزهرة، وعبدالدار، وغيرها، ومن فهر: واليا الأندلس: عبدالملك بن قطن الفهري، ويوسف بن عبدالرحمن الفهري[٩]. واستقر بنو زهرة في مدينة باجة (في جنوبي البرتغال)، وفي سرقسطة وكذلك في بطليوس، وإشبيلية[١٠]. وأما بنو عبد الدار من قريش فقد استقروا في مناطق سرقسطة، وطليطلة[١١].

ويرجع بعض البلديين في أصلهم إلى قبائل قيس، ومنها فهم الذين استقروا بالقرب من طليطلة، وسليم الذين استقروا في منطقة ألمرية، وعبس وذبيان الذين استوطنوا في منطقة جيان[١٢]. ومن البلديين من يرجع في أصله إلى قبائل ربيعة، وقد استقروا في منطقة تدمير (مرسية)[١٣].

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٢٠-٤٢١؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٠؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٩٦.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٣٥٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٥، ٢٢، ٢٧، ٥٧، ٦٠، ٧٣، ٨٤؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٣٠-٤٣١.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٩٢، ٤١٨؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٩٦.

(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٤٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٤٢.

(٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩، ١٢٠؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٤٣، ٤٥٠.

(٧) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٩١؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٧٢.

(٨) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢١٩.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢،ص٣٦-٣٧؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٩١، ج٣، ص١٨؛ ابن سعيد، المغرب،ج١، ص٣٤٠.

(١٠) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٣٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٩٠.

(١١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٢٣، ٢٦؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٢٦-١٢٧، ١٤٥؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠١، ١٠٥.

(١٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص١٤٣؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٢٣٨.

(١٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٥.

الشاميون وأماكن استقرارهم

يرجع الشاميون في أصلهم إلى القبائل العربية التي كانت تسكن في بلاد الشام، وكان الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك قد شكل منهم جيشاً بلغ عدده ثلاثين ألف رجل، ووجهه للقضاء على تمرد قام به البربر في شمالي إفريقية. وقد اشتبك هذا الجيش بقيادة كلثوم بن عياض القشيري القيسي مع البربر في معركة بالقرب من نهر سبّو سنة ١٢٤هـ / ٧٤١م، كانت الغلبة فيها للبربر، وقد أفنى البربر من الجيش ثلثي أفراده؛ إذ لم يبق منه سوى عشرة آلاف رجل[١]، كما قتلوا قائده كلثوم بن عياض القشيري في تلك المعركة التي ترد في بعض المصادر باسم معركة بقدورة، أو موقعة الأشراف[٢].

وقد قاد من تبقى من الشاميين بلج بن بشر القشيري، ابن أخي كلثوم، وتوجه بهم إلى المغرب، حيث تحصنوا في مدينة سبتة المغربية، غير أن البربر لاحقوهم وحاصروهم حصاراً شديداً، وأتلفوا المناطق المحيطة بالمدينة لكي لا يجد المحاصرون ما يقتاتون به، وقد نجحت خطة البربر في التضييق على بشر ومن معه، فقد كادوا أن يهلكوا جوعاً بعد أن أكلوا كل ما لديهم حتى دوابهم[٣]، وعندما أيقن بلج بالهلاك أخذ يبحث عن مخرج، فاستغاث بالعرب في الأندلس، وكان واليها حينئذ عبدالملك بن قطن الفهري الذي تردد في نجدته خوفاً على سلطانه. غير أن بعض اللخميين أشفقوا عليهم، وارسلوا لهم مركبين محملين بالمؤن، وكان على رأس هؤلاء اللخميين زياد بن عمرو اللخمي الذي ذهب ضحية هذا الإشفاق، حيث أهانه الوالي ابن قطن، ثم قتله[٤].

ولم يلبث البربر في الأندلس أن تأثروا بثورة البربر في شمالي إفريقية، فقد تمردوا على الوالي عبدالملك، ولم يتمكن بمن معه من العرب من قمع تمردهم[٥]، ولذلك اضطر إلى السماح للشاميين القيسيين وعلى رأسهم بلج القشيري بدخول الأندلس[٦]، ولكن وفق شروط أهمها أن يخرجوا من الأندلس بعد سنة واحدة يكونون خلالها قد هزموا البربر في الأندلس. وكان من بين الشروط التي اتفق عليها الطرفان أن يتم نقل الشاميين في طريق العودة إلى

---

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٥٦؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٧٤.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٥، ٣٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٠؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٧٤؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٥٦.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٠؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص٧٤.

(٤) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٠؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٨.

(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٠.

(٦) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٠.

المغرب بعد انتهاء مهمتهم في الأندلس دفعة واحدة حتى لا يتعرضوا لخطر البربر في شمالي إفريقية[١].

ودخل بلج ومعه الشاميون الذين عرفوا باسم (طالعة بلج)، وانتصروا على البربر في الأندلس[٢]، وبعد مرور السنة رفضوا مغادرة الأندلس بحجة أن واليها عبدالملك بن قطن الفهري لم يتمكن من تأمين خروجهم جملة وليس على دفعات[٣]. وأدى رفض الشاميين الخروج من الأندلس إلى بدء الصراع المرير بينهم وبين البلديين، وقد استمر هذا الصراع حتى سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢م حيث قدم إلى الأندلس والٍ جديد هو أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي[٤].

لقد انطلق البلديون ومعهم بربر الأندلس في حربهم ضد الشاميين من اعتبار أن هؤلاء دخلاء، بينما هم أهل البلاد وأصحابها، ولذلك طالب البلديون والي الأندلس الجديد أبا الخطار الكلبي بإخراج الشاميين من الأندلس[٥]. غير أن أبا الخطار لم يكن مع إخراجهم، وفي الوقت نفسه عمل على نزع فتيل الأزمة بين الطرفين، فقد منح الشاميين إقطاعات من الأرض في مناطق لم يستقر فيها البلديون[٦]، وأنزلهم في تلك المناطق مع أصحابها من أهل الذمة، على أن يكون لهم ثلث الخراج، وللدولة الثلثان[٧].

وهكذا تفرق الشاميون عن قرطبة، ونزلوا منازلهم الجديدة، فقد عين أبو الخطار لكل جماعة منهم ما يناسبهم من الكور من حيث شبهها بالمناطق الشامية التي جاءوا منها، «فأنزل أهل دمشق بإلبيرة، وأهل الأردن برية، وأهل فلسطين بشذونة، وأهل حمص بإشبيلية، وأهل قنسرين بجيان، وأهل مصر بباجة وبعضهم بتدمير»[٨].

وكان في الأندلس شاميون قد دخلوها قبل طالعة بلج القشيري، وقد سكنوا في مناطق مختلفة مع البلديين قبل ترتيبات الاستيطان التي وضعها أبو الخطار الكلبي، وظلوا في

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٠؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٣٨-٣٩؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢١.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٠؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣١.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٠-٤١.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٢.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٢٦٠؛ وانظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٤-٤٥.

(٦) السامرائي، تاريخ العرب، ص٧٥؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٥٩.

(٧) مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٥٩-٣٦٠.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٣٣؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٦١.

تلك المناطق، ولذلك أطلقت عليهم تسمية : الشاذة، لأنهم شذوا في أماكن استقرارهم عن بقية إخوانهم الشاميين[١]. ووفقاً لخطة أبي الخطار الكلبي حصل الشاميون على ثلثي الأراضي والمزارع التي استقروا فيها، بينما بقي الثلث للسكان المحليين الذين استمروا في الزراعة، والعمل على تطوير قراهم وأراضيهم[٢].

وكان الشاميون – كما تذكر المصادر –يتألفون من ثمانية آلاف عربي، ونحو ألفين من الموالي. ويرجع العرب في أصولهم إلى عشائر اليمن، وعشائر قيس ومضر وربيعة. أما الموالي فأصولهم بيزنطية وبربرية، وقد سمي هؤلاء الموالي (الموالي الشاميين)، بينما سمي الموالي الذين دخلوا مع البلديين (الموالي البلديين). وقد تركز استقرار الموالي الشاميين في كورتي إلبيرة وجيان[٣].

وكان الشاميون الذين استقروا في كورة إلبيرة من عشائر: محارب، وهوازن، وغطفان، وقشير، ومرة، وفزارة، ونمير، وسليم، وكعب بن عامر، وهي عشائر قيسية[٤].

وكان في طالعة بلج (الشاميين) عدد من القبائل اليمنية التي كانت تشكل أغلبية جند حمص وفلسطين والأردن، ولذلك تركزت في كل من إشبيلية، ونبلة، وشذونة، ورية، ومن هذه القبائل: لخم التي ينتمي إليها آل عباد، وقد استقرت في كل من إشبيلية، وشذونة، والجزيرة الخضراء. وقد ذكرنا سابقاً أن آل عباد سيطروا على إشبيلية في عهد ملوك الطوائف[٥].

واستقر أفراد عشيرة كلب القضاعية في إشبيلية وموروو ونبلة وقرب المدور، بينما استقرت عشائر حضرموت في منطقة الشرف غرب إشبيلية، وفي منطقة قرمونة إلى الشرق من إشبيلية. واستقرت عشيرة يحصب في منطقة إشبيلية أيضاً[٦]. واستقر العديد من العشائر اليمنية، وخاصة لخم وجذام، في منطقة شذونة، والجزيرة الخضراء[٧].

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٠٤.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص٣٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٠٢، ١٠٣، ١٠٧.

(٣) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٠١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٦، ٧٠، ٨٢، ٨٦، ٨٧، ٩٢؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٩٢.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٦٥، ٢٨٠، ٢٩٠؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٥؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٥٤-١٥٥.

(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص٨٣؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٢٤؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٣٤-٣٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٩٣-١٩٥.

(٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠١؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٦٠-٤٦١.

(٧) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٢١.

وقد عبر المقري عن استيطان العرب (بلديين وشاميين) الأندلس ملخصاً استقرارهم وتعاقبهم فيها وتوارثها فقال: «فاعلم أنه لما استقر قدم أهل الإسلام بالأندلس وتتام فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب هممهم إلى الحلول بها، فنزل بها من جراثيم (أصول) العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم، إلى أن كان من أمرهم ما كان»[١].

البربر وأماكن استقرارهم

دخل عدد كبير من البربر الأندلس في جيش طارق بن زياد، بل كان جلُّ هذا الجيش من البربر، ولم يزد عدد العرب فيه عن ستة عشر رجلاً، كما تذكر بعض الروايات[٢]، وكان عدد الجيش كله اثني عشر ألفاً[٣]. وقد استوطن البربر مع البلديين على امتداد الخطوط التي سارت عليها حملات الفتح التي قادها طارق. ودخل عدد من البربر في جيش موسى بن نصير الذي كانت غالبيته من العرب، وقد استوطن هؤلاء أيضاً على امتداد خطوط الحملات. وبعد انتصار المسلمين على القوط، ومعرفة البربر في إفريقية بذلك تدفقوا على الأندلس بأعداد كبيرة، وكانت النتيجة أن فاق البربر العرب من حيث العدد[٤]. وقد اختار غالبية البربر الذين دخلوا الأندلس مع الجيوش الفاتحة المناطق الجبلية للاستقرار فيها، وسبب ذلك هو أنهم عاشوا أصلاً في مناطق جبلية في شمالي إفريقية، وبعد أن كثرت أعدادهم في الأندلس تفرقوا في نواحيها، وخاصة في أقصى الشمال الشرقي والشمال والغرب[٥]، كما نزلت أعداد منهم في الجنوب حيث عاشوا في الجزيرة الخضراء، وشذونة، وإشبيلية، وقرطبة، ورندة، وجيان وإلبيرة[٦].

وينتمي البربر الذين دخلوا الأندلس إلى قبائل البتر والبرانس في شمالي إفريقية، وغالبيتهم من قبيلة مصمودة وفروعها، ومن قبائل: هوارة، ونفزة، وزناتة، ومكناسة، ومطغرة. وقد استوطنت أعداد كبيرة من البربر في الجزيرة الخضراء، وشذونة، وإشبيلية، وقرطبة ورندة، وجيان، وإلبيرة[٧]. وكان للبربر من قبيلة مغيلة إقليم سمي

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧١.

(٢) ابن جيب، عبدالملك، كتاب التأريخ، دراسة وتحقيق خوري أغوادي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩١م،ص١٣٧.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٤٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦.

(٤) السامرائي، تاريخ العرب، ص٨٠؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٧٨.

(٥) مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٨١-٣٨٥.

(٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٢٠.

(٧) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٢٠؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩.

باسمهم في كورة شذونة[١]، واستقرت جماعة من هوارة بالقرب من جيان، وكان لهم حصن يسمى حصن الهواريين[٢]. واستوطنت مجموعات كبيرة من مصمودة ونفزة في المناطق الجبلية حول مدينة رندة التي كانت تعرف باسم تاكرونا[٣]. واستقر بنو دانس بن عوسجة من قبائل مصمودة في جنوبي البرتغال في قصر أبي دانس[٤].

وكانت بعض المناطق الشرقية من الأندلس أماكن استيطان للبربر أيضاً، فبعض قبائل البتر والبرانس استوطنوا بلنسية وتدمير (مرسية)[٥]. أما أوسع أماكن استيطان البربر فكانت في الشمال الشرقي، وخاصة مناطق: وادي الحجارة، ومدينة سالم، ووبذة، وقلعة أيوب، ومن القبائل التي استوطنت هذه المناطق: مغيلة ومصمودة[٦]. واستوطنت جماعات من قبيلة هوارة في منطقة شنتبرية، ومن هذه القبيلة بنو ذي النون الذين حكموا طليطلة في عهد ملوك الطوائف[٧]. كما سكنت في الشمال الشرقي من الأندلس قبيلة مكناسة، وذلك على ضفاف نهر الايبرو[٨].

وكذلك استوطن كثيرون من البربر في الشمال والشمال الغربي وخاصة في جليقية، وأستورقة، وشرطانية[٩]. والجدير بالذكر هنا أن البربر الذين استوطنوا في هذه المناطق نزحوا إلى الجنوب عندما قويت الممالك النصرانية واحتلت مناطقهم، وبعضهم عاد إلى موطن البربر الأصلي، شمالي إفريقية[١٠].

عوامل انتشار الإسلام في الأندلس

عملت فئات المجتمع الإسلامي التي ذكرناها: البلديون والشاميون والبربر على نشر الإسلام في المناطق المفتوحة، بل تحملت العبء الأكبر من هذه المهمة السامية، ذلك أنها، وخاصة البلديين والبربر الذين يشكلون في حقيقة الأمر فئة واحدة، هم أول من دخل أراضي شبه الجزيرة الأيبيرية في جيشي طارق بن زياد، وموسى بن نصير.

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١١٣؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٢؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢١.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٠.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٧٢.

(٥) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥٠، ٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦٤، ١١٧؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢٠.

(٦) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩، ٥٠١، العذري، نصوص عن الأندلس، ص٤٤.

(٧) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٤، ١٥؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩-٥٠٠.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص١٩٠.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩، ص٣٠-٣١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٦.

(١٠) مجهول، أخبار مجموعة، ص٦١-٦٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٠٠.

وقد كان نشر الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية هو الدافع الوحيد لعملية الفتح ليس لهذه المنطقة من العالم وحسب، وإنما لمختلف البقاع التي دخلتها الجيوش الإسلامية الفاتحة في الشرق والغرب. أما الدوافع الأخرى التي أشارت إليها بعض المصادر، وجعلتها سبباً لفتح الأندلس، ومنها قصة ابنة يوليان حاكم سبتة الذي انتهك لذريق عذرية ابنته، فتوجه إلى موسى بن نصير يحثه على الفتح، وكان يوليان يضمر الانتقام من لذريق... إن هذه القصة التي توحي بأن عملية الفتح ما كانت لتبدأ لولا وقوعها ليست صحيحة، ولا يوجد لها سند في المصادر الإسبانية المعاصرة، وحتى لو كانت صحيحة فإنها لاتتجاوز كونها سبباً مباشراً للتعجيل بعملية الفتح[١].

لقد توجهت الجيوش الإسلامية إلى شبه الجزيرة الأيبيرية مدفوعة بزخم كامن وعقيدة كان المسلمون يؤمنون بها، ويريدون نشرها[٢]، وقد ساعد على ذلك أن كثيرين من البربر في شمالي إفريقية قد أسلموا، وحسن إسلامهم، وكانوا متحمسين لنشر مبادىء الإسلام التي جاء بها العرب من المشرق. يضاف إلى ذلك أن هؤلاء البربر بحكم موقع بلادهم قريبون من السواحل الإسبانية الجنوبية، وكانوا على اتصال دائم معها، ويعرفونها جيداً[٣].

ويضاف إلى الدوافع السابقة لفتح الأندلس دافع آخر هو تحرير هذه البلاد مما هي فيه، فالشعب الأيبيري الذي دخل عليه المسلمون كان شعباً أوروبياً نصرانياً في معظمه، يضم بعض اليهود، وكان داخلاً في نطاق الغرب الأوروبي الذي نشرت فيه روما حضارتها ولغتها، وكان متجهاً بإيمانه نحو روما عاصمة المسيحية، وكان يدين بالولاء للكنيسة الكاثوليكية، وكان هذا الشعب المكون من طبقات يأكل أعلاها أدناها، كان في غالبيته طبقات مسحوقة مظلومة جاهلة، ولذلك كان لابد من تحريرها من كل ذلك[٤].

ويذكر هنا أن القوى الغازية-باستثناء الإسلام- إنما هي قوى عاتية مدمرة، تغتصب البلدان، وتأكل خيراتها، وتفتك بشعوبها، أو تحكمها بالقوة والتسلط والاضطهاد، أما في الإسلام فإن أهل البلاد يعتنقون عقيدته، ويأخذون بشرعه طواعية دون إكراه، وتمتزج العناصر كلها في ظل العقيدة متعايشة متعاونة متحابة[٥]. ويمكن القول إن فتح المسلمين الأندلس كان فتحاً إنسانياً، فقد قضى الإسلام على الأوضاع السيئة التي كانت سائدة

---

(١) انظر: السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٤-٢٥؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٥٢ ومابعدها.

(٢) بشتاوي، الأمة الأندلسية، ص٤٧.

(٣) السامرائي، تاريخ العرب، ص٢٤.

(٤) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤١٦-٤١٧.

(٥) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٢.

فيها، فلم تعد هناك طبقة تتحكم في كل شيء (طبقة الأسرة الحاكمة والنبلاء)، ولم تعد هناك سلطة للكنيسة، ونفوذ يتمتع به رجالها دون حدود، وانتهت عبودية الأرض وعبيدها، فكل من دخل الإسلام تحرر، وما أكثر من دخلوا الإسلام[١].

لقد انتشر الإسلام في الأندلس، وكانت عوامل ذلك كثيرة، فالفاتحون الذين كان همهم الأول، وربما الأخير، هو العمل على انتشار الإسلام اعتنوا عناية خاصة بإفهام الناس الإسلام وشرحه لهم، وتوجيه الدعاة إليهم لهذه الغاية، ولذلك كان الناس يقبلون على الإسلام؛ اذ يرون فيه صفاء العقيدة وخلوصها لله تعالى، وهو مالم يروه من قبل أو يسمعوا عنه أو يحلموا به[٢]. وقد كانت القدوة الحسنة من أهم عوامل انتشار الإسلام في الأندلس، وكانت هذه القدوة الحسنة تتمثل في الفاتحين والدعاة. وكان أول عمل يقوم به الفاتحون هو إقامة المساجد، والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد أنشأ موسى بن نصير حالما وصل الجزيرة الخضراء في الأندلس مسجد الرايات[٣]. ثم بدأ انتشار المساجد في الأندلس، ومن أوائلها مساجد إلبيرة، وقرطبة، وسرقسطة التي أنشئت بجهود التابعي حنش بن عبدالله الصنعاني[٤].

وكانت المعاملة الحسنة أيضاً عاملاً مهماً من عوامل انتشار الإسلام في الأندلس، ومن الأمثله على ذلك وثيقة الصلح[٥] الذي عقده عبدالعزيز بن موسى بن نصير، مع حاكم كورة تدمير القوطي (Teodmiro)، فقد أكدت تلك الوثيقة على الضمانات التي أعطاها عبدالعزيز للنصارى، والتي تتعلق بالنفس والأمان على الحياة، والإبقاء على الشعائر الدينية، والتعهد بالوفاء بكل هذه الضمانات، وهذا الأمر لم يألفه النصارى من قبل، فقد عودهم الغالبون من غير المسلمين على انتهاك الحرمات، والاستهانة بالناس[٦].

ومن الأمثلة على المعاملة الحسنة ما دار بين الصميل بن حاتم وأرطباس، الذي وصفته المصادر بأنه كبير عجم الأندلس، فقد ذهب الصميل إلى أرطباس ومعه عشرة من رؤساء عرب الأندلس ومواليهم ليطلب إليه أن يمنحهم أرضاً، وقد حاوره أرطباس محاورة ند لند، فقد قال للصميل الذي كان يكنى: أبا جوشن: «يا أبا جوشن، إن أهل ديانتك يخبروننا

---

(١) المرجع نفسه، ص١٤٣.

(٢) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص١٤٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٤؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٦٩.

(٤) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٩٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٦٢؛ ج٣، ص٨؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص١٤٦.

(٥) انظر نص الوثيقة في: العذري، نصوص عن الأندلس، ص٤-٥.

(٦) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٨٠.

أن أدبهم لم يأخذك، ولو أخذك لم تنكر علي بر من بررت !» ثم ألقى على الصميل درساً في الإيمان، فقال له الصميل: «إنكم بإكرامكم من أكرم الله، إنما تكرمونه عز وجل. وقد روينا عن المسيح صلى الله عليه وسلم أنه قال: من أكرم الله من عباده وجبت كرامته على جميع خلقه»، وكان الصميل برده هذا كأنما ألقم أرطباس حجراً – كما يقول ابن القوطية – ثم وهبهم أرطباس مائة ضيعة، وصار لكل واحد منهم عشر ضياع[١].

وكانت دعوة الدعاة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة من أهم عوامل انتشار الإسلام في الأندلس، وقد كثر الدعاة الذين كانوا يرافقون الجيش الإسلامي الفاتح، بل كان أفراد الجيش الإسلامي كلهم دعاة، لأنه جيش عقيدة، فكلهم يفقه دينه، وأولويتهم الأولى هي خدمة الإسلام ونشره، وقد كانوا يشرحون الإسلام بأقوالهم وأفعالهم[٢]. ومن الدعاة الذين دخلوا الأندلس مع جيش موسى بن نصير: المغيرة بن أبي بردة الذي كان موسى يخرجه مع الجيش للدعوة إلى الإسلام[٣]. ومن التابعين الذين دخلوا مع موسى أيضا المنذر الإفريقي الذي كان يغري الناس لدخول الإسلام، فقد كان يقول: «من قال: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، فأنا الزعيم له، فلآخذن بيده، فلأدخلنه الجنة»[٤].

ويذكر هنا أن التابعين كان لهم نشاط ملحوظ في الدعوة إلى الإسلام في الأندلس، مما أدى إلى انتشاره فيها، وقد بلغ عدد التابعين الذين دخلوا الأندلس ما بين سبعة عشر وثلاثين تابعياً حسب اختلاف الروايات[٥].

وقد اتبع الفاتحون خططاً وبذلوا جهوداً كبيرة في بيان الإسلام والدعوة إليه حتى خلال المعارك، وقد اتقنوا مهمتهم في إظهار جمال الدعوة الإسلامية قولاً وعملاً، فأقبل الإسبان على الدين الإسلامي مختارين، ودخلوه زرافاتٍ ووحداناً، ومن لم يُسلم منهم مارس بعض العادات الإسلامية إعجاباً بها[٦].

وكان المسلمون، حرصاً منهم على نشر الإسلام، إذا أسروا أسيراً يعرضون عليه الإسلام، ويبينون له عيوب دينه بالحجة والدليل، وبهذه الطريقة أسلم على يد والي الأندلس

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٤٠؛ وانظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص٤١٩-٤٢٠.

(٢) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص١٤٩.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٩؛ ج٣، ص٦.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٨، ٢٨٨؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص١٥٥.

(٦) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص١٥٦-١٥٧.

http://al-maktabeh.com

عقبة بن الحجاج السلولي ألفا رجل[١].

وقد لمس الناس من غير المسلمين حسن معاملة المسلمين لهم، فأثار ذلك دهشتهم وقادهم إلى تقبل الإسلام وحب أهله، ومن جهة أخرى كان المسلمون يحرصون على ترك من يصر على التمسك بدينه وشأنه، ويحترمون عبادته وأماكنها، ويتركون له حرية الاحتكام لدينه، ولذلك كانت الكنائس والمساجد في الأندلس متجاورة، ولم تتخذ الكنائس مساجد إلا في حالات استبدالها أو هجرها بعد دخول الناس في الإسلام[٢].

ويذكر هنا أن المسلمين بعد فتح الأندلس قدموا خدمة كبيرة للدين المسيحي، حيث قصروا نفوذ رجال الدين على الدين، بعد أن كانوا يتولون الحكم باسم الملوك، ويتعرضون لكل ما يتعرض له رجال الحكم من أخطاء وعداوات، ويسيسون الدين في مختلف الظروف والأحوال، وهذا ليس من الدين في شيء[٣].

وقد أدى حسن معاملة المسلمين لغيرهم في الأندلس إلى ازدياد الصلات بين الطرفين، واختلاطهما، مما أدى إلى كثير من المصاهرات بينهما.

المصاهرات بين المسلمين والنصارى

ارتبط كثيرون من العرب والبربر بعلاقات المصاهرة مع أهل البلاد المفتوحة (الأندلس) وعاشوا معهم متجاورين متساوين، وكانت تلك المصاهرات أيضاً عاملاً من عوامل انتشار الإسلام في تلك البلاد. وهناك أمثلة كثيرة على هذه المصاهرات لعلّ أشهرها وأهمها زواج أول ولاة الأندلس: عبدالعزيز بن موسى بن نصير من أرملة لذريق، آخر ملوك القوط، واسمها أيلة (Egilona)، وتكنيها المصادر الإسلامية (أم عاصم)[٤]، فهذه المرأة – كما يقول المقري– «كانت قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح، وباءت بالجزية، وأقامت على دينها في ظل نعمتها إلى أن نكحها الأمير فحظيت عنده..»[٥]، وممن كان مع عبد العزيز بن موسى وتزوج نصرانية أيضاً: زياد بن النابغة التميمي[٦].

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩.

(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٩٢؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص١٥٨.

(٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٨٨.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٠.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٠.

وتروي المصادر من هذه المصاهرات زواج سارة القوطية بنت ألمند بن غيطشة، ملك القوط قبل لذريق، فهذه المرأة القوطية تعرضت لظلم عمها أرطباس (Ardabas)، فذهبت إلى الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك تشكوه ظلامتها، فأنصفها. ثم تزوجت في الشام من عيسى بن مزاحم، وقدما الأندلس[١]. وبعد وفاة مزاحم تزوجها عمير بن سعيد اللخمي[٢].

وقد تزوج العديد من الأمراء والخلفاء الأمويين وحجابهم في الأندلس من نصرانيات، ومن هؤلاء الحكم المستنصر بالله[٣]، والحاجب المنصور محمد بن أبي عامر الذي تزوج ابنة شانجه ملك قشتالة أو النافار[٤]. وتذكر المصادر أن الخليفة الأموي الناصر لدين الله، إنما هو حفيد امرأة من البشكنس اسمها «درّ» [٥].

وتدل هذه الأمثلة على أن المصاهرات بين المسلمين وأهل الأندلس ممن ظلوا على دينهم (النصارى)، ومن أسلموا، قد انتشرت انتشاراً واسعاً، فإذا كان الخلفاء والأمراء والوزراء قد أقبلوا هذا الإقبال على مصاهرة النصارى فما بال عامة الناس؟ إنهم – من دون شك– كانوا أقل تحفظاً – إن وجد هذا التحفظ – في الإقبال على هذه المصاهرة، وبالتالي فإن كثيرين منهم قد تزوجوا بنصرانيات ظللن على دينهن، أو اسلمن بعد الزواج. وهنا يجب أن نتذكر أن الجيوش الفاتحة، وأولها جيش طارق بن زياد وجيش موسى بن نصير كانت جيوشاً من الرجال عرباً وبربر، وليس من شك في أن هؤلاء الرجال ما إن استقر بهم المقام في الأندلس، حتى تزوجوا وكونوا أسراً وتناسلوا وكثروا، وانتشروا في أقطار الأندلس[٦]. وبذلك فإن الإسلام ازداد انتشاراً بمرور الزمن حتى أصبح غير المسلمين أقلية، وكانت هذه الأقلية لها حقوقها كافة، ولها حريتها في المعتقد والعبادة، ولذلك رضي من لم يسلم أن يعايش المسلمين، وينعم بالأمن، وقد تقبل هؤلاء أسلوب المسلمين، وعاداتهم، وقبلوا لغتهم وأتقنوها، ومارسوا بعض الأساليب الإسلامية في حياتهم، فلبسوا ملابسهم، ومارسوا الختان، وامتنعوا عن أكل لحم الخنزير، وكان لكثيرين منهم اسم عربي إلى جانب اسمه

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٧.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٠-٣٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٦-٢٦٧؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٢٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص١٦، ص٧٣-٧٤.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥١.

(٦) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٢٤.

اللاتيني[1]، وقد سمي هؤلاء النصارى الذين ظلوا على دينهم وعاشوا بين المسلمين ومعهم: (المستعربين)[2].

وهكذا ظهرت فئة جديدة من فئات المجتمع الإسلامي، وبانتشار الإسلام في أنحاء الأندلس، ظهرت فئات أخرى مثل: المسالمة أو الأسالمة، والمولدين. وفيما يلي تعريف موجز بهذه الفئات.

المستعرَبون

تلفظ (المستعربون) بفتح الراء، وقد ذكرنا من هم قبل قليل، وقد ظهرت تسميتهم بهذا الاسم في زمن متأخر، في وثائق العقود الجارية بين الناس ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي، ثم في كتابات نصارى الأندلس، أما في كتب المؤرخين والجغرافيين المسلمين وكذلك في كتب الفقهاء وأهل الأدب وغيرهم فلم يظهر هذا اللفظ [3].

وقد أطلقت تسمية (المستعربين) في الوثائق اللاتينية تمييزاً لنصارى الأندلس من أهل النواحي التي استولى عليها ملوك النصارى، وكان أولئك الملوك يميزون رعاياهم من القشتاليين وغيرهم عن نصارى الأندلس الذين دخلوا في طاعتهم، فقد كان نصارى الأندلس مستعربين ثقافة ولساناً وأسلوب حياة، وكانت لهم طقوسهم الدينية الخاصة بهم، وكان لهم رجال دين يقيمون صلواتهم وفق أسلوب خاص، وبلغة خاصة هي خليط من الأيبيرية الرومانية واللاتينية والقوطية والعربية، وهي الطقوس التي ألغيت فيما بعد، وحلت محلها الطقوس الكاثوليكية بالإكراه [4].

وقد بلغ من تسامح المسلمين الديني مع النصارى في الأندلس، أو المستعربين، أن أقاموا عليهم رئيساً منهم ولقبوه (قومس الأندلس)، وجعلوه مسؤولاً أمامهم عن كل ما يتصل برعاياهم من المستعربين، وأحاطوه بما يليق به من الاحترام[5].

وإضافة إلى القومس (Comes) العام للأندلس كان هناك قمامسة يتولى كل منهم رئاسة المستعربين في ناحيته، ويبدو أن هذا الترتيب كان معمولاً به قبل فتح الأندلس، أي في أيام القوط ومن قبلهم الرومان، فأقر المسلمون ذلك، غير أنهم اختلفوا عن سابقيهم في طريقة تعيين القومس، ففي أيام الرومان والقوط كان يعينه الملك من أصحابه والمقربين إليه،

---

(١) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص١٧٠.

(٢) المرجع نفسه، ص١٧٠.

(٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٢٥.

(٤) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٢٥-٤٢٦.

(٥) المرجع نفسه، ص٤٥٩.

ولذلك كان متسلطاً بتسلط من يعينه، وأما في عهد المسلمين فقد أصبح القومس ينتخب انتخاباً، فجماعته النصرانية في ناحيته هي التي تنتخبه، ولا يعين تعييناً سوى القومس العام (قومس الأندلس)[١]. وقد كان أرطباس، الذي أشرنا إلى قصته مع الصميل بن حاتم، أول قمامسة الأندلس[٢].

هذا، وقد ظلت جماعات المستعربين في المدن والأرياف ملتفة حول أساقفتها وقسسها ورعاتها، ولم يتدخل المسلمون في شيء من علاقاتها بهم، فظلت الكنائس تؤدي وظائفها الدينية وكذلك الاجتماعية[٣].

ويبدو أن تسمية (المستعربين) كانت شائعة على ألسنة نصارى الأندلس فقط، ثم استعملها الإسبان بعد استيلاء ملوكهم على مناطق فيها إسبان نصارى مستعربون، وهناك وثائق كثيرة تؤيد ذلك يرجع بعضها إلى أوائل القرن الثاني عشر الميلادي[٤].

وظهرت تسمية (المستعربين) في وثائق النصارى الأندلسيين في البلاد التي استولى عليها النصارى خلال القرن الثاني عشر الميلادي، فقد كانوا يكتبون هذه الوثائق أحياناً بالعربية، وترد فيها لفظة (مستعرب) على النحو التالي: (موزاراب) (Mozarab)[٥].

ويذكر هنا أن المستعربين قد تحسنت أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية في ظل الإسلام، وقد نال بعضهم مراتب عالية في الإدارة والجيش، وعمل كثيرون منهم في التجارة، وفي مزارعهم الخاصة، وكذلك في مزارع المسلمين وضياعهم دون إكراه أو استغلال[٦].

وقد تمكن بعض المستعربين من إتقان اللغة العربية إتقاناً جعلهم يقولون الشعر الفصيح، ويقرأون أمهات كتب الأدب، ولم يكن ذلك ليتسنى لهم لولا التسامح الديني الذي ساد الأندلس في ظل الإسلام[٧].

وقد آمن المستعربون بالحضارة الإسلامية في الأندلس، ورأوا في الأندلسيين إخواناً لهم وجيراناً، ويذكر هنا أن أحد المستعربين، وهو ششند (Sisnando Davidez) الذي كان مستشاراً للملك القشتالي ألفونسو السادس، قد حاول إقناع هذا الملك الذي تمكن من

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٦٠-٤٦١.
(٢) المرجع نفسه، ص٤٥٩.
(٣) المرجع نفسه، ص٥٠١.
(٤) مؤنس، فجر الاندلس، ص٤٢٦-٤٢٧.
(٥) المرجع نفسه، ص٤٢٧.
(٦) السامرائي، تاريخ العرب، ص١٢٣.
(٧) المرجع نفسه، ص١٢٣.

احتلال كثير من المواقع الإسلامية بضرورة اتباع سياسة متسامحة مع المسلمين، تقوم على مبدأ التعايش السلمي، غير أن ألفونسو رفض هذه النصحية، بل طرد هذا المستعرب من بلاطه[١].

والجدير بالإشارة هنا أن لفظ (مستعرب) لم يستعمل عند عرب الأندلس، وإنما استعملوا بدلاً منه ألفاظ: (العجم) أو (النصارى) أو (نصارى الذمة) تفريقاً لهم عمن أسلم منهم حديثاً (الأسالمة أو المسالمة)[٢].

المسالمة

والمسالمة (بفتح الميم) هم الذين دخلوا في الدين الإسلامي من المستعربين، فقد أقبل بعضهم على هذا الدين رغبة فيه، لما رأوا من جلال شريعته وجمال عقيدته، وسماحة نظرته، واهتمامه بكرامة الإنسان[٣].

وهؤلاء المسالمة لم يكن هناك أي فرق أو تمييز بينهم وبين العرب والبربر المسلمين أصلاً. وقد كانت الجماعات الأولى من المسالمة من طبقة العبيد ورقيق الأرض الذين وجدوا في الإسلام خلاصاً من المتاعب والشقاء، ثم أقبل على الإسلام الزراع والأشراف والأوساط وأهل الأسواق، فتساووا جميعاً في رحاب الإسلام[٤].

وقد أصبح نفر من أبناء المسالمة أو المسلمين الجدد من المياسير، بل أصبح بعضهم سادة أغنياء عن طريق التجارة أو الزراعة، وقد مضوا في هذا المضمار حتى غاب عنهم أن أجدادهم كانوا مستقرين في إسبانيا قبل الإسلام بزمن طويل، بل ادعى بعضهم نسباً عربياً يسمح لهم بالزهو والافتخار بأن أصله عربي[٥].

المولدون

لقد أطلقت تسمية الأسالمة أو المسالمة على الذين دخلوا الإسلام من الإسبان، أما أولاد هؤلاء فقد أطلق عليهم (المولدون)[٦]. وهناك من يرى غير ذلك من الباحثين؛ إذ يتوسع

---

(١) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٨٢.
(٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٢٨.
(٣) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص١٧٢.
(٤) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٣٠.
(٥) المرجع نفسه، ص٤٣٠-٤٣١.
(٦) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص١٦٣.

فيمن تطلق عليهم هذه التسمية، فيرى أن المولدين هم أبناء العرب من زوجات غير عربيات (إسبانيات)، فالعرب –كما ذكرنا – كانوا يدخلون الأندلس رجالاً فقط، ثم يتخذون النساء من أهل البلاد، وعلى هذا فالأجيال الثانية من هؤلاء العرب جميعاً لا يمكن أن يكونوا عرباً من ناحية الدم، بل ربما جاز اعتبارهم مولدين، حتى البيت الأموي نفسه كان بيتاً مولداً[١].

ويرى بعض الباحثين أن المولدين ليسو أبناء العرب فقط من أمهات إسبانيات، وإنما أبناء المسلمين عرباً وبربراً[٢] الذين ولدوا بعد الفتح على أرض الأندلس، ومن هؤلاء – على سبيل المثال – الأمير الأموي هشام بن عبدالرحمن الداخل (١٧٢–١٨٠هـ/ ٧٨٩–٧٩٦م)، فقد ولد في إسبانيا من جارية إسبانية اسمها (حلال)، ونشأ في بيئة إسبانية أندلسية، ولذلك فإنه يمثل، أو يعتبر من المولدين[٣].

ويمكن أن نستنتج من الآراء السابقة أن المولدين هم من وُلدوا على أرض الأندلس من آباء مسلمين، أو أمهات مسلمات، ذلك أن بعض القادة والأمراء والحكام المسلمين من المولدين لم يتحرجوا في تزويج بناتهم المسلمات من ملوك وأمراء نصارى، وينحصر هذا النوع من الزيجات في أسرة بني قسي أصحاب الثغر الأعلى، فقد زوج موسى بن موسى بن فرتون بن قسي ابنته (أورية) من ابن غرسيه ملك النافار (نبرة)، وأنجبت منه ولداً سماه موسى[٤]. وهناك أمثلة أخرى لهذه الزيجات غير أنها محدودة للغاية[٥].

وكانت أعداد المولدين في عهد ولاة الأندلس، وخاصة في أوائل هذا العهد، قليلة، ثم أخذت تزداد بمرور الزمن، حتى أصبحوا الأكثرية الغالبة، ويمكن القول إن المجتمع الإسلامي في الأندلس شهد ولادة عشرين جيلاً من المولدين، وذلك على اعتبار أن عمر الجيل أربعون سنة، وعمر المجتمع الإسلامي في الأندلس منذ الفتح حتى سقوط غرناطة ثمانمائة سنة.

ويرى مؤنس أن المولدين لم يعودوا يتكلمون العربية في حياتهم اليومية بعد الجيل الثاني، «فقد غلبت عليهم في المخاطبة والمعاملات لغة أهل البلاد، اختلطت بها لغة العرب ونشأت عن ذلك (عجمية أهل الأندلس) أو (اللطينية) كما يسميها ابن حزم»[٦].

وأصبح المولدون يشكلون الفئة الكبرى في المجتمع الإسلامي في الأندلس، وكان منهم

---

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٧٦.

(٢) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص١١٧.

(٣) المرجع نفسه، ص١١٧.

(٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٠.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٢٧؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١.

(٦) مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٧٧.

التجار والمزارعون وأهل الحرف المختلفة والأدباء والفقهاء وغيرهم. وقد شعر هؤلاء المولدون بمرور الوقت بأن حقوقهم العامة منقوصة مع أنهم أهل البلاد الأصليون، وأنهم يتحملون عبء الضرائب دون أن يكون لهم نصيب في ثروات البلاد، وفي المناصب القيادية التي كان يتولاها العرب [1].

وقد تطور طموح المولدين إلى تمرد، بل حاول بعض زعمائهم الاستقلال عن سلطان بني أمية في الأندلس، وشجعهم على هذا الموقف تركز مجموعات كبيرة منهم في مناطق جغرافية تساعد على الانفصال والتمرد، مثل مناطق الثغور القريبة من دول النصارى في الشمال، ومن هذه المناطق: سرقسطة في الشمال الشرقي، وطليطلة في الوسط، وماردة في الغرب[2].

وقد أشرنا في حديثنا عن عهد الإمارة وعهد الخلافة الأموية إلى كثير من هذه الثورات التي كلف إخمادها الكثير من طاقات الدولة وجهودها، وخاصة أن بعض الثورات، مثل ثورة عمر بن حفصون وأبنائه، استمرت نحو نصف قرن من الزمان.

ويلاحظ من يقرأ تاريخ الأندلس أن ثورات المولدين لم تهدأ منذ عهد الإمارة الأموية، حتى عهد مملكة غرناطة التي سقطت إثر الحروب الصليبية التي شنها النصارى الكاثوليك بدعم البابوية في روما. وعندئذ -أي بعد سقوط غرناطة- بدأت تظهر فئات جديدة في المجتمع، مثل: المدجنين والمسيحيين الجدد، والموريسكيين.

---

(١) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٢٨.

(٢) السامرائي، تاريخ العرب، ص١٢١.

الفصل الرابع

علاقة الكاثوليكية بالبابوية
وأثرها على سقوط الأندلس

علاقة الكاثوليكية بالبابوية وأثرها على سقوط الأندلس

يقصد بكلمة كاثوليكية، وهي كلمة يونانية: (عام)، أو (عالمي)أو (جامعة)، لأنها جمعت كل الكنائس الغربية، وقد أشرنا سابقاً إلى المذهب الكاثوليكي وما يؤمن به، وكيف حلّ هذا المذهب في شبه الجزيرة الأيبيرية محل المذهب الأريوسي الذي كان سائداً هناك.

وقد احتضنت البابوية المذهب الكاثوليكي الذي اعتنقه الغرب المسيحي بشكل عام، وكانت سلطة البابا لا حدود لها حتى على الأباطرة والملوك. فالبابا غريغوري السابع (١٠٧٣-١٠٨٥م) كان يرى أن قوة الملوك مستمدة من كبرياء البشر، وقوة رجال الدين مستمدة من رحمه الله، وأن البابا سيد الأباطره لأنه يستمد قداسته من تراث سلفه القديس بطرس [١]. وقد أصدر البابا غريغوري السابع مجموعة أوامر عرفت باسم الإرادة البابوية أوالأوامر البابوية، كشف عنها بعد وفاته بسنتين، وأهم هذه الأوامر [٢]:

- البابا وحده هو الذي يتمتع بسلطة عالمية.
- البابا وحدهُ يمتلك سلطة تعيين الأساقفة أو عزلهم.
- للبابا الحق في عزل الأباطرة.
- لا يجوز عقد أي مجمع ديني عام إلا بأمر البابا.
- للبابا أن يجيز لرعايا أي حاكم علماني التحلل من العهد..

ويلاحظ من هذه الأوامر أن البابا يمتلك السلطة العليا في حكم المجتمع المسيحي، وأنه يعزل الأباطرة والملوك بوصفه نائباً عن القديس بطرس،خليفة المسيح عليه السلام، وإذا امتنع أي حاكم علماني عن تنفيذ تعاليم الكنيسة الكاثوليكية، فإن لها أن تحاربه.

وقد خلف غريغوري السابع بعد وفاته عام ١٠٨٥م البابا إربان الثاني، وكان غريغوري السابع يحلم باليوم الذي تتمكن فيه الكنيسة الكاثوليكية الغربية من بسط سيطرتها على الأراضي المقدسة في فلسطين، غير أن ما شغله عن ذلك هو التفكير بإعادة الوحدة الكنسية، وهو أمر كان بعيد المنال، ذلك أن الكنيسة الغربية الكاثوليكية لم تكن مستعدة لتقديم أي

---

(١) عاشور، سعيد عبدالفتاح، أوروبا العصور الوسطى، ج١، التاريخ السياسي، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤م، ص٣٥٠-٣٥١.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٥١.

تنازلات للكنيسة الشرقية، كما أن الكنيسة الشرقية كانت غير راضية عن اتحاد البرابرة الجرمان مع البابوية على حسابها. وكان الإمبراطور البيزنطي اليكسيوس كومينوس (١٠٨١-١١١٨م) يعاني في تلك الأثناء من موقف حرج، بسبب قيام المسلمين بالاستيلاء على القدس وأنطاكية[١].

وقد كتب الإمبراطور البيزنطي إلى البابا إربان الثاني (١٠٨٨-١٠٩٩) يشكو إليه مرارة الوضع، وقد وجد البابا في شكوى الإمبراطور فرصة لبسط نفوذ الكاثوليكية على الشرق، فاستغل طلب الإمبراطور مساعدته، وراح يعمل لتحقيق هدف كبير هو وضع الأماكن المقدسة في فلسطين في يد رعية كنيسته الكاثوليكية[٢].

وأخذ البابا إربان الثاني يحرض على إعداد حملة صليبية كبيرة وتوجيهها نحو الشرق، فقد ألقى خطبة في ٢٦ تشرين الثاني ١٠٩٥م أطلقت موجات من الحروب الصليبية، وقد بدأ خطبته بقوله: «أيها العرق الفرانكي، أيها العرق الساكن وراء الجبال، أيها العرق الذي أحبه الله واختاره..» وعرض بعد إلقاء هذه الخطبة دواعي تنظيم حملة كبيرة لإنقاذ نصارى المشرق، وتخليص الأماكن المقدسة من (الكفار)[٣].

وقد دعا إربان الثاني ملوك أوروبا وفرسانها إلى توجيه أسلحتهم (إلى عدو الدين المسيحي)، وأخذ يحض المعتدين والقتلة واللصوص للإسراع «تحت إمرة قائدهم المسيح (لإنقاذ) الأرض المقدسة.وبتأثير هذه الدعوة بدأ القساوسة والكهنة حض الناس على الحروب الصليبية التي بدأت عام ١٠٩٦م بقيادة بطرس الناسك، وتمكنت من احتلال أنطاكية والقدس عام ١٠٩٩م[٤].

وقد ساهم احتلال القدس من قبل الصليبيين عام ١٠٩٩ م في زيادة الدعم العسكري الأوروبي لملوك النصارى في شمالي شبه الجزيرة الأيبيرية، ويذكر هنا ان هذا الدعم البابوي لملوك النصارى قد بدأ قبل هذا التاريخ، فعندما فتح مجاهد بن يوسف العامري جزيرة سردانية سنة ٤٠٦هـ / ١٠١٥م[٥]،قام البابا بندكتوس الثامن بتهييج حرب صليبية ضده، وعزم على إخراج المسلمين من الجزيرة، فحشد النصارى من جنوة وبيزة ووجههم لقتاله في سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م، وقد تمكنوا بعد معركة طاحنة من إخراج المسلمين من الجزيرة،

---

(١) بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص٩٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٩٧.

(٣) المرجع نفسه، ص٩٧-٩٨؛ عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ص٣٦٧.

(٤) بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص٩٨-٩٩.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٩٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢١٩.

بعد أن أكثروا فيهم القتل والسبي والتدمير بوحشية بالغة [١].

هذا وقد تم إدخال الكنيسة القشتالية في كنف البابوية بعد تمكن القشتاليين من احتلال مدينة طليطلة سنه ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م بقيادة ألفونسو السادس[٢] وأصبحت البابوية الكاثوليكية هي القوة المحركة للأحداث، فهي التي تعمل على حشد الجيوش النصرانية، وتعمل في الوقت نفسه على توحيد ممالك النصارى في شمالي الأندلس، وقد وجدت البابوية في ألفونسو الأول ملك أرغون، الملقب بالمحارب، بطلاً جديداً بعد وفاة ألفونسو السادس ملك قشتالة سنة ١١٠٩م[٣]، وقد احتل ألفونسو المحارب (١١٠٤-١١٣٤م) مدينة سرقسطة سنة ٥١٢هـ/١١١٨م وذلك بمساعدة حشد كبير قدم من الدول النصرانية في شمالي إسبانيا، ومن فرنسا، وغيرها [٤].

وكانت البابوية الكاثوليكية تهب لنجدة ملوك النصارى كلما حزبهم أمر المسلمين، فبعد هزيمة النصارى في معركة الأرك بقيادة ملكهم ألفونسو الثامن، وذلك سنه ٥٩١هـ/ ١١٩٥م، دب الرعب في أوصال الممالك النصرانية في الشمال، وعندئذ بدأ الاستعداد للانتقام، وتولت البابوية الإعداد لحملة كبرى ضد المسلمين، فعملت على توحيد ممالك النصارى في شمالي الأندلس، وأمرت أساقفة أوروبا بالدعوة إلى الجهاد ضد المسلمين، وشحن العزائم، وجمع الأموال، فخرجت قوات من نصارى الشمال ومن أنحاء أوروبا لمواجهة جيوش الموحدين والأندلسيين، وقد هزمتها في موقعة العقاب سنة ٦١٢هـ/ ١٢١٥م[٥].

لقد كانت البابوية الكاثوليكية تعمل على قهر الإسلام في المشرق والمغرب، وتعمل على إنشاء جمهورية مسيحية دولية، ولذلك وجهت الحملات الصليبية المتعاقبة إلى المشرق، غير أن تلك الحملات المتلاحقة فشلت في تحقيق هدفها، وعندئذ أخذت البابوية تركز حملاتها ضد العثمانيين الذين أخذوا يدقون أبواب أوروبا، ومن ثم بدأت البابوية تركز جهودها ضد المسلمين في الأندلس، بعد أن تمكنت من ضعضعة مراكزهم فيها[٦].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٩٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٢١١؛ حتاملة، الأندلس، ص٤٦٦-٤٦٧.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٥؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٢٥.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١١٤؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٦٥.

(٤) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٧-٩٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١١٧-١١٨.

(٥) المراكشي، المعجب، ص٢٣١؛ الناصري، الاستقصا، ج١، ص٢٢٢-٢٢٣؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٣٨٣.

(٦) بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص١٣.

وكانت الأندلس خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي قد فقدت الكثير من المدن، فقد اجتاحت القوات النصرانية من قشتالة والبرتغال والأرغون وغيرها وسط الأندلس، واحتلت العديد من المدن الأندلسية المهمة مثل: قرطبة، وبلنسية، وجيان، وإشبيلية ،وغيرها، ولم يبق سوى مملكة غرناطة في أقصى الجنوب[١].

وقد أدى سقوط المدن الأندلسية في أيدي النصارى إلى نزوح العديد من المسلمين إلى مملكة غرناطة وغيرها، فقد آثر بعضهم النزوح إلى المغرب، وظل بعضهم الآخر في الأندلس، في الأماكن التي سمح لهم البقاء فيها، وقد خصص لهؤلاء أحياء في أكثر من مائة مدينة، وتم تدجينهم، وسموا (المدجنين)، وعاشوا مواطنين، ولكن من الدرجة الثالثة بعد النصارى الإسبان، والنصارى المهاجرين من أوروبا وكانت حياة هؤلاء أشبه بحياة العبيد في بلادهم التي لم يعرفوا هم وأجدادهم غيرها[٢].

وقد وقعت اعتباراً من منتصف القرن الخامس عشر الميلادي عدة تطورات بدأت تتفاعل لتحديد مستقبل مملكة غرناطة، فالسلطان العثماني محمد الفاتح تمكن من فتح مدينة القسطنطينية، ودفع ذلك البابوية الكاثوليكية للبحث عن انتقام سريع، ولذلك أخذت تحض مملكة قشتالة على تجديد الحرب ضد غرناطة[٣].

ولقد لاحظنا كيف أثمرت جهود البابوية الكاثوليكية، فقد اندلعت المعارك في جنوبي الأندلس ضد مملكة غرناطة، وتمكن القشتاليون بدعم أوروبا من احتلال جبل طارق سنة ١٤٦٢م[٤]. ووقع تطور حاسم بعد سنة من احتلال جبل طارق هو اعتلاء إيزابيلا الكاثوليكية المتعصبة لهذا المذهب عرش قشتالة، ومن ثم زواجها من ملك أرغون فرديناند الكاثوليكي المتعصب أيضا لهذا المذهب[٥].

لقد توحدت قشتالة وأرغون بزواج إيزابيلا وفرديناند، وكان ذلك إيذاناً بمولد إسبانيا في التاريخ الحديث[٦]، وقد كانت لإيزابيلا وفرديناند إنجازات مهمة في خدمة الكاثوليكية، فإضافة إلى تمكنهما من إزالة آخر سلطة إسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية كانا الأداة التي

---

(١) المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٤٧٢؛ الناصري، الاستقصا،ج٣، ص٣٧-٣٨؛ حتاملة، الأندلس، ص٥٥٨؛ بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص١٣.

(٢) بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص١٣-١٤.

(٣) المرجع نفسه، ص١٤.

(٤) عنان، نهاية الأندلس، ص١٥٢؛ بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص١٤.

(٥) عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ص٥٨٤.

(٦) المرجع نفسه، ص٥٨٥.

مكنت من اكتشاف العالم الجديد، حيث جندا لذلك كريستوفر كولومبس، وبدأ جهد كثلكة أكثر من ٥٠٦ ملايين شخص في أميركا اللاتينية، و٥٨ مليوناً في الفلبين[١].

وقد كان تعصب إيزابيلا للكاثوليكية مفرطاً، ولذلك عملت على صب هذا التعصب في إطار مؤسسي رهيب تحول إلى أكبر منظمة اضطهاد ديني في أوروبا، وربما في العالم كله، وهذه المؤسسة هي محاكم التفتيش التي سنتناولها فيما بعد[٢] .

وكانت إيزابيلا قبل إعلانها الحرب على مملكة غرناطة، قد حظيت بموافقة البابا ودعمه المالي الهائل، وعندما بدأت المعارك للاستيلاء على غرناطة كانت قوات النصارى بقيادة فرديناند الذي فتحت له البابوية الكاثوليكية الخزائن، فغرف منها بلا حساب، واستخدمها للحصول على أفضل المدافع الإيطالية ،والإنفاق على المرتزقة الأوروبيين . ويلاحظ هنا أن البابوية جمعت أكثر من ثمانمائة مليون مرابطي، من الضرائب، ومن بيع صكوك الغفران لنصارى أوروبا، ووظفت هذا المبلغ لإدامة حصار جيوش فرديناند على مدينة بسطة التي سقطت بعد ستة أشهر من الحصار[٣].

والجدير بالذكر هنا أن مدينة غرناطة ظلت صامدة مدة طويلة على الرغم من سياسة الأرض المحروقة التي اتبعها جيش فرديناند، وقد حققت جيوش غرناطة انتصارات كثيرة ضد النصارى، وربما استمرت مدة أطول في صمودها لولا الاقتتال الداخلي والانقلابات والصراعات بين زعماء المسلمين، فقد لاحظنا سابقاً كيف كانت الحال في غرناطة قبل تسليمها، فقد كانت تفتقر إلى الوحدة حيث كان الابن يعمل ضد أبيه ،والعم ينقلب على ابن أخيه، وبالتالي فإن غرناطة لم تسقط حرباً ولم تستسلم، ولكن قبل أهلها تسليمها للنصارى عندما فقدت الأمل في اتحاد أبنائها، والوقوف جبهة واحدة ضد أعدائهم، وقد ضمنت إيزابيلا وفرديناند وفق معاهدة التسليم لأهل غرناطة ما لم تضمنه لهم سلطتهم الإسلامية، ولكنها لم تعتزم احترام بنود المعاهدة[٤].

التنصير القسري لمسلمي الاندلس

أصدرت إيزابيلا في ١٢شباط ١٥٠٢م مرسوماً يخير الأندلسيين بين التنصر والرحيل، وأمهلتهم حتى نهاية شهر نيسان من العام نفسه. وقد رحل خلال المهلة نحو ثلاثمائة ألف

---

(١) بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص١٤.

(٢) بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص١٤.

(٣) المرجع نفسه، ص١٤-١٥.

(٤) بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص١٥.

من غرناطة إلى المغرب، واعتبر من ظل في غرناطة وغيرها متنصرين. وصدرت خلال الفترة ١٥٠٢-١٥٢٥م ثلاثة مراسيم ملكية تهدف إلى إلغاء الشخصية الأندلسية تماماً، ولذلك شملت تلك المراسيم الرجال والنساء والأطفال الأحياء منهم والأموات، وقام النصارى خلال هذه الفترة، وخاصة في سنة ١٥٢١م بتنصير المسلمين بالقوة، إلا أنه كان تنصيراً شكلياً[١].

ويلاحظ أن البابوية الكاثوليكية عمدت إلى كل الوسائل من أجل عملية التنصير، فقد تم إرسال عشرات الكهان والقساوسة والرهبان إلى مملكة غرناطة بهدف التبشير بالديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي، وكان المخطط يقضي بأن يتم التنصير بأي وسيلة، فإذا لم ينجح التبشير، يعمد إلى التنصير القسري بالعنف والمطاردة. وكانت إسبانيا في كل ذلك إنما تنفذ تعليمات الكنيسة الكاثوليكية التي بلغت في تلك الفترة ذروة قوتها ونفوذها[٢].

وقد أنيطت عملية التنصير بمجموعة من الأحبار والرهبان الذين نفذ بعضهم أبشع المذابح، وارتكبوا أفظع الجرائم بحق المسلمين في الأندلس[٣]، وكان أكثر هؤلاء الرهبان والأحبار عنفاً في ممارسة سياسة الاضطهاد والتنكيل هو الأب خمنيس دي سيسنيروس

---

(١) بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص١٦-١٧.

من أجل الاستزادة عن التنصير القسري لمسلمي الأندلس انظر المراجع التالية:

- *Vincent (B)*
  L'expulsion des morisques du royaume de grenade et leur répartition en Castille (1570-1571) in M.C.V, tome VI, 1970,pp.210-246.
  L'albaicin de Grenade au XVIe siécle in M.C.V, tome VII,1971,pp. 187-222.
  Les morisques d'Extrémadure au XVIe siecle, in Annales de démographie historiques, Paris,1974, pp.431-448.
- *Vincent,B:* Combien de Morisques ont ete expulsés du royaume de Granade ?. Melanges de la Casa de Valázquez VII(1.971).
- *Vincent Bernard:* Les morisques d'Estremadure au XVI siecle.Anales de Demographie Historique,1.974.

(٢) حتاملة، الأندلس، ص٦٧٢.

(٣) المرجع نفسه، ص٦٧٢.

من أجل الاستزادة عن التنصير القسري لمسلمي الأندلس انظر المراجع التالية:

- *Regla, Joan.*" La cuestión morisca y la coyuntura internacional en tiempos de Felipe II",Estudios de Historia Moderna, III,1953.
- *Ribera, Juan* De:Instancias para la expulsión de los moriscos,Barcelona 1612.
- *Regla (J.)* Estudios sobre los moriscos, Barcelona, 1974.
- *Regla Juan:* Estudios sobre los moriscos.Barcelona,3a edicion,1,947.
- *Regla Juan:* Los moriscos : estado de la cuestión y nuveas aportaciones documentales.- Revista SAITABI,Universidad de Valencia. No.X(1.960).
- *Ribera.Julian,*" Supersticiones moriscos »,Disertaciones y opusculos,I, Madrid,1928.
- *RIOS (J.AMADOR DE* LOS), Historia social, politica y religiosa de los judios de Espana y Portugal, Madrid,1960.

مطران طليطلة، ورأس الكنيسة الإسبانية الذي اتبع سياسة إحراق الكتب والمخطوطات العربية القيمة، والوثائق التاريخية، والمصاحف، وكتب الأحاديث، والآداب، والعلوم، وغيرها بهدف التخلص من أي إشارة إلى اللغة العربية، وذلك حتى لا يجد المسلمون أي مصدر للتشريع يستعينون به كالقرآن الكريم، والسنة النبوية[١].

لقد تم اتباع كل الوسائل من أجل تحويل المسلمين إلى كاثوليك، حتى تلك التي لا يمكن أن تخضع لمنطق أو يتصورها عقل، فقد تم وضع المسلمين تحت المراقبة في الطريق، والعمل، والبيت، ولم يعد في استطاعتهم حتى إغلاق أبواب بيوتهم، وكان من حق أي قشتالي الوقوف بالباب، ومراقبة ما يفعله أهل الدار. وتم تخريب العلاقات بين الأندلسيين فساد تشجيع الأولاد والبنات على الوشاية بآبائهم، والإخوة بالأخوات، والجار بجاره[٢].

وإمعاناً في اضطهاد المسلمين في الأندلس أصدر الملك فيليب الثاني مرسوماً عام ١٥٦٧م منع استخدام اللغة العربية منعاً باتاً، وفرض على الأندلسيين إتقان التحدث بالقشتالية خلال ثلاث سنوات. كما منع هذا المرسوم: الوضوء ودخول الحمامات، وأوجب إتمام مراسم الزواج والولادة والموت وفق الطقوس الكاثوليكية، وحظر الختان حظراً تاماً. وفرض على المسلمين دفن موتاهم في نعوش مغلقة وفق الطقوس القشتالية، وفرض أيضاً حضور قابلة قشتالية نصرانية ولادة أطفال الأندلسيين. وحظر هذا المرسوم الاتجاه نحو القبلة، والزواج من أكثر من امرأة واحدة، وحرم على المسلمين اللجوء إلى الكنائس طلباً للأمان[٣].

وأصدر فيليب الثاني في عام ١٥٧٠م مرسوماً آخر يخول الجنود قتل الأندلسيين وسبي نسائهم، وكان لكل من يجلب رأس أندلسي مكافأة مالية، ولذلك نظمت حملات صيد الرؤوس في جبال مملكة غرناطة، وكثر القتل والتشريد والتعذيب، وتدفق المرتزقة الأوروبيون على المملكة، فاعتقلوا الرجال والنساء وباعوهم عبيداً[٤].

---

(١) حتاملة، الأندلس، ص٦٧٤.

(٢) بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص١٦١.

(٣) المرجع نفسه، ص١٦٣.

(٤) المرجع نفسه، ص١٩.

ومن أجل الاستزادة عن التنصير القسري لمسلمي الأندلس انظر المراجع التالية:

- *MARINA, EL PADRE :*» Historia de España». 2 tomos. Imp. Ibarra. Madrid,1780.
- *MARMOL CARVAJAL, LUIS DEL:* » Historia de la rebelión y castigo de los moriscos del reino de Granada «. (En folio). Málaga, 1600.
- *Marqués De Lozoya:* Lo Moriscos en America»,Archivo Instituto de Estudios Africanos, tomo 14,N. 50,1960.

ويلاحظ أن الإجراءات التي قامت بها الكنيسة الكاثوليكية برعاية البابا ضد المسلمين في الأندلس، لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، وهي إجراءات تتناقض مع كل القيم والمبادىء الإنسانية، ولا يمكن أن يقوم بها إنسان متحضر أو قريب من الحضارة مهما كانت الأسباب.

ويشار هنا إلى أن الأندلسيين لم يسكتوا على هذا الضيم، وهذا الجور الذي فاق كل تصور، فقد قاموا بالعديد من الانتفاضات والثورات، منها انتفاضة البيازين عام ١٤٩٩م[١]، وثورة البشرات عام ١٥٠١م[٢]، غير أن هذه الانتفاضات والثورات تم قمعها بقوة وبطش. ومع ذلك استمرت الثورات بقيادة بعض الرجال الذين أبوا الضيم والخنوع، ومنهم سليم المنصور الذي قاد ثورة في جبال بلنسية في عهد الملك شارل الأول ١٥١٧-١٥٥٦م[٣]، وهي ثورة لم يتمكن الإسبان من إخمادها إلا بعد الاستعانة بجيش ألماني. ويذكر هنا أن البابا كليمنت السابع أصدر قراراً بالغفران لكل نصراني اشترك في حرب المسلمين[٤].

لقد كان للبابوية الكاثوليكية الدور الرئيس في كل ما تعرض له المسلمون في الأندلس من تعذيب واضطهاد وطرد.. وكانت أيضاً وراء ابتكار الوسائل لذلك، مثل محاكم التحقيق أو محاكم التفتيش. هذا وقد برزت بعد سقوط غرناطة تسميات ومفاهيم جديدة لم تكن معروفة من قبل، منها: الموريسكيون، أو المسيحيون الجدد، والمدجنون وغيرها. وقبل تناول محاكم التفتيش، والتعريف بهذه المفاهيم الجديدة لابد من معرفة المصدر الذي استمدت البابوية الكاثوليكية منه قوتها، وجعلتها تفرض سلطاتها الدينية، وتتجاوزها إلى سلطات زمنية أو

- *March,José M.* :" Sobre la conversión de los moros del reino de Granada. Nuevo documento", Razón y Fé, 79 Madrid, 1927.
- *March. Jose M.* : Níñez. Y Juventud de Felipe II Madrid,1941.
- *Marmol Carvajal (Luis de)* Historia del rebelion y Gastigo de los moriscos del reino de Granada,Madrid,1946.
- *Mármol Carvajal,* Luis De :Historia de la rebelión y castigo de los moriscos del reino de Granada,Bibl. de Autores Españoles, XXI,Vol.I de Historiadores de sucesos partic ulares,Madrid,1946(ed.original :Impr. Sancha), Madrid,1797).
- *MARMOL CARVAJAL, LUIS DEL:* » Historia de la rebelion y castigo de los moriscos del reino de Granada «.2 tomos. Madrid, 1797.
- *Marmol Carvajal,* Luis, Historia del rebelión y castigo de los moriscos del reino de Granada Madrid,1797, reed. Biblioteca de Autores Españoles,XXI,Madrid,1946.
- *Marqués De Lozoya:* Lo Moriscos en America»,Archivo Instituto de Estudios Africanos, tomo 14,N. 50,1960.

(١) حتاملة، الأندلس، ص٦٨٠-٦٨٢؛ بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص١٣٤.

(٢) حتاملة، الأندلس، ص٦٨٤.

(٣) المرجع نفسه، ص٧٤٩-٧٥٩.

(٤) المرجع نفسه، ص٧٥٩.

مدنية فرضتها على الأباطرة والملوك وغيرهم، وكانت سلطاتها تتجاوز حدود العقل والمنطق.

تستمد الكنيسة الكاثوليكية في روما شرعيتها من شرعية إقامة القديس بطرس الكنيسة في روما بتكليف من السيد المسيح الذي يخاطب بطرس في إنجيل متّى بقوله: «وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات»[١].

ويعنى ذلك أن بطرس مكلف تكليفاً شرعياً بتأسيس الكنيسة، ولذلك تعتبر كنيسته شرعية، وبما أن بطرس هو الذي أسس الكنيسة فإنه هو أيضاً أسقفها، أو البابا الشرعي لها ورسول المسيح، ويكون كل من يخلفه في هذا المنصب خلافة شرعية خليفة للقديس بطرس، وممثلاً لله في الأرض، ومعصوماً عن الخطأ في تقرير شؤون الإيمان، ولا سلطة لأحد عليه، ولا يمكن تنحيته[٢].

وهكذا اعتبر البابا نفسه ممثلاً لله، وزعم بعض البابوات مثل بونيفانوس الثامن (١٢٩٤-١٣٠٣م) أن خلاص الناس يكمن في إخضاع أنفسهم للبابا. وقد اتخذ بعض البابوات جيوشاً وأساطيل يستطيع تسييرها إلى أي مكان، وقد تولت هذه القوات في بعض الحالات ملاحقة أصحاب الآراء والمعتقدات المغايرة لآراء ومعتقدات الكنيسة الكاثوليكية واضطهادهم، وقد أخذ الاضطهاد لمسلمي الأندلس وغيرهم شكلاً مؤسسياً يتمثل في منظمة الاضطهاد الكاثوليكية التي عرفت باسم (محاكم التفتيش) أو (محاكم التحقيق)[٣].

---

(١) انظر: بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص٢٠٨.

ومن أجل الاستزادة عن التنصير القسري لمسلمي الأندلس انظر المراجع التالية:

- *MARTINEZ DE LA ROSA, FRANCISCO:* « Doña Isabel de Solis, Reina de Granada. Noveia Historica «.Madrid, 1839.
- *MARTINEZ DE LA ROSA, FRANCISCO:* » Aben Humeya o La Rebelion de los moriscos. Drama historico». Imprenta de Julio Didot. Calle del Puente de Lodi, núm.6.Paris, 1830.
- *Martinez Ruiz,* Juan, Inventarios de los bienes moriscos del reino de Granada (siglo XVI), Madrid,1972.
- *Menéndez de* Vasconcelos :Liga deshecha por la expulsión de los Reinos de España, Madrid,1612.
- *Menéndez Y Pelayo* Marcelino :Historia de los heterodoxos españoles. 2a edición. Tomo V. Madrid 1.928.
- *Menéndez Y Pelayo* Marcelino,Historia de España,Madrid 1941.
- *MES. = M.A. ENAN,* Dawlat al-Islam fi al - Andalus(Eng, tit. The Moorish Empire in Spain),Cairo,1960, 2 vols.
- *-Mestre,Antonio ;*" Estudio de la demografia de oliva a traves de los Archivos parroquiales después de la expulsión de los moriscos",Estudis I,1972-72.
- *MONES (H.), Fajr* al – Andalus (Eng.tit.The Dawn of al-andalus), Cairo,1959.

(٢) بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص٢٠٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٠٩.

محاكم التفتيش والموريسكيون

لقد قامت محاكم التفتيش الإسبانية على الشرعية التي منحها البابا سيكستوس الرابع بعد أربع سنوات من اعتلاء إيزابيلا عرش قشتالة وتوابعها[١]، وتسمى محكمة التفتيش أيضاً (ديوان التحقيق)[٢]،وقد سماها من تعرضت للتحقيق معهم: (محكمةالشيطان)[٣]، وهؤلاء هم الموريسكيون الذين سنتناولهم بعد قليل.

وأنشئت أول محكمة تفتيش في غرناطة سنة ١٥٢٦م، وأعطي الموريسكيون مهلة مدتها ثلاث سنوات عليهم أن يتقدموا خلالها إلى المحكمة للاعتراف بخطاياهم، وبعد مرور السنوات الثلاث بدأت هيئة المحكمة بمطاردة الموريسكيين في غرناطة، بينما بدأت بمطاردتهم في بلنسية منذ إنشاء المحكمة في سنة ١٥٢٦م[٤].

أما الخطايا التي كان يقدم الموريسيكون بسبب ارتكابها للمحكمة فقد حددتها لجنة انعقدت بقرار ملكي في غرناطة، وهي: استخدام اللغة العربية كتابة أو مشافهة، وارتياد الحمامات، وختان الأطفال، واستعمال التعاويذ أو الرقي، واتخاذ أزياء أو حلي غير ما

---

(١) المرجع نفسه، ص١٤.

(٢) عنان، نهاية الأندلس، ص٣١١.

(٣) جمال الدين، عبدالله محمد، المسلمون المنصرون أو الموريسكيون الأندلسيون، صفحة مهملة من تاريخ المسلمين في الأندلس، ص٣٧٤-٣٧٥.

(٤) حتاملة، الأندلس، ص١٠٩٦.

ومن أجل الاستزادة عن محاكم التفتيش والموريسكيين انظر المراجع التالية:

- *Lapeyre,H. Simon* Ruiz et Les asientos de Philippe II Paris,1957.
- *Lapeyre,* Henri,Geographie de l'Espagne morisque,Paris,1959,Le Flem,Jean Paul, «Les morisques du Nord-Ouest de l'Espagne en 1594,d'apres un recensement de L'Inquisition de Valladolid», Mélanges de la Casa de Velázquez, I 1967. -;
- *«Un censo de moriscos* en Segovia y su provincia»,Estudios segovianos,XVI,1964.
- *Los moriscos del reino* de Granada, Madrid,1976.
- *Morisques en Provence,* in Etudes sur les morisques andalous en Tunisie, Madrid,1973,pp. 89-103.
- *Morisques et Chrétiens,* un Affrontement polémique(1492-1640),Paris 1977.
- *Morón,Ciriaco:*" Una visión inédita de la expulsión de los moriscos" Salmanticensis,VI,1959.
- *Muñoz Y Gaviria,* J. : '' Historia del alzamiento de los moriscos, su expulsión de España y sus consecuencia en todas las provincias del Reino, Madrid,1861.
- *Navarro Del Castillo, V.:* «EI problema de la rebellión de los moriscos granadinos y sus repercusiones en Extremadura, principalmente en La comarca emeritense (1570-1609)»Rev. de Estudios Extremeños, XXV111,1972.
- *Origenes de la inquisición Española. Ee* Tribunal de Valencia (1478-1538) Barcelona,1976.
- *Oriol Catena,F.:*" La repoblación del reino de Granada después de la expulsión de los moriscos", Bol. Univ. De Granada,VII,1935.

يتخذه النصارى، والذبح على الطريقة الإسلامية، وامتلاك العبيد، وحيازة الأسلحة[١].

وقد أنشئت محاكم التفتيش في إسبانيا على يد الراهب توماس دي تور كيمادة، بناء على مرسوم أصدره البابا سكستوس الرابع، وكانت أول ما أنشئت في قشتالة سنة ١٤٨٠م، وعلى وجه التحديد في إشبيلية. وقد بدأت المحكمة عملها بإصدار قرارات تحث كل شخص على مساعدة المحكمة في البحث عن الملحدين الكفرة، وجمع الأدلة التي تدينهم[٢]. ثم أنشئت في غرناطة بعد سقوطها، وذلك سنة ١٥٢٦م – كما ذكرنا – لملاحقة الموريسكيين وتعذيبهم.

وقد عرف الموريسكيون أيضاً باسم (النصارى الجدد) تمييزاً لهم عن النصارى الآخرين أو القدامى، والموريسكيون جمع (موريسكي) (Morisco) وهو تصغير للفظ (Moro) الذي يقصد به التحقير والإساءة، وتترجم كلمة موريسكي إلى العربية بمعنى: المسلم المنبوذ[٣].

---

(١) حتاملة، الأندلس، ص١٠٩٥-١٠٩٦.

(٢) عنان، نهاية الأندلس، ص٣١٤.

(٣) الشدادي، عبدالخالق، سقوط غرناطة ومصير الأندلسيين، مجلة المنعطف، ع٦/٧/ ١٩٩٣م، ص٨٠-٨١؛ حتاملة، الأندلس، ص١١١٢.

ومن أجل الاستزادة عن محاكم التفتيش والموريسكيين انظر المراجع التالية:

- *Levi-Provencal,* E.:» Moriscos»,art.en Encylopédie de L'Islam,Laydén, Paris,1936. Lea, Henry Charles,The moriscos of Spain; their Conversion, Nueva York, 1968(1. ed.,londres,1901). -; A History of the Inquisition of Spain, Nueva York- Londres, 1907).-;» The decadence of Spain», Atlantic Monthly,LXXXII. Longás,Pedro,Vida religosa de los moriscos, Madrid,1915. -;»
- Un document sobre los mudejares de Nuez (Zaragoza)en el siglo XV», Al- Andalus, XXVIII,1963.
- *Llorente, Juan Antonio,* Historia critica de la Inquisición de España, Barcelona,1835.
- López Estrada, Francisco:El abencerraje y La Hermosa Jarifa,Madrid 1957.
- *Lopez Estrada,* Francisco: El abencerraje de Toledo,1561, Sevilla,1959.
- *López Mata,* Teofilo: ' Burgos en la sublevación de los moriscos de Granada en 1570',BRAH, CXLI,1957.
- *Ladero Quesada* Miguel Angel Granada, Historia de un pais islamico (1232-1571) Madrid,1969.
- *Ladero Quesada:* Los mudéjares de Castilla en tiempo de Isabel I. Valladolid,1969.-
- *Historia de los moriscos,* vida y tragedia de una minoria, Madrid,1978.
- *Historia eclesiástica* de la ciudad de Granada,Granada, 1638.
- *Hurtado de Mendoza (D.)* Guerra de Granada hecha por el rey de España don Felipe II contra los moriscos de aquel reino sus rebeldes,Madrid,1946.
- *Ibarra, Eduardo,*" Cristianos y moros .Documentos aragoneses y navarros," Homenaje a Codera ;Zaragoza, 1904.
- *Iglesias Josep.Pere Gil,* S.I. ; La seva Geografia de Cataluñya Barcelona.1.949.
- *Guadalajara Y Javier,* Marcos: Memorable expulsión y justisimo destierro de los Moriscos de España, Pamplona,1613.- ; Prodición y destierro de los moriscos de Castilla hasta el valle de Ricote. Con las disensiones de los hermanos Xarifes y presa en Berberia de la fuerca y puerto de Alarache, Imp. Nicolas de Assíayn, Pamplona,1614.

وقد تم تعريف الموريسكيين بأنهم الذين «لا يعترفون ولا يتقبلون البركة، ولا الواجبات الدينية الأخيرة، ولا يأكلون لحم الخنزير، ولا يشربون النبيذ، ولا يعملون شيئاً من الأمور التي يعملها النصارى..»[١].

وأطلق على الموريسكيين أيضاً اسم (المسيحيين الجدد)، ووضعوا تحت الرقابة الصارمة، فهم أشخاص مشبوهون لا يمكن – من وجهة نظر محاكم التفتيش – الوثوق بنصرانيتهم، ولذلك كانت تلك المحاكم وهيئاتها تقتادهم للمحاكمة بأي تهمة أوشبهة[٢]، فهؤلاء المنصرون بالإكراه، قد يكونون أظهروا النصرانية مع أنهم خلاف ذلك، ولذلك فإن الشك فيهم مستمر، وإذا تصرف أي منهم تصرفاً يقترب ولو بالصدفة من تصرفات المسلمين فإن معنى ذلك أنه ليس نصرانياً، ويجب معاقبته، وقد وضع ديوان التفتيش مجموعة كبيرة من القواعد والأصول التي يعتبر من يخالفها ليس نصرانياً ويعاقب، ومن يقرأ هذه القواعد والأصول يدرك مدى الحقد والكراهية التي كان النصارى يكنونها ضد الإسلام والمسلمين، وكل ذلك برعاية البابوية الكاثوليكية، وتوجيهها ودعمها. لقد تضمنت تلك القواعد وثيقة نقلها عنان عن مؤرخ ديوان التحقيق الإسباني: دون لورنتي، وتنص على ما يلي[٣]:

---

(١) عنان، نهاية الأندلس، ص٣٧٨؛ حتاملة، الأندلس، ص١١١٣.

(٢) حتاملة، الأندلس، ص٧٦٠.

(٣) عنان، نهاية الأندلس، ص٣٢٨-٣٢٩؛ وانظر: حتاملة، الأندلس، ص١١١٣-١١١٤.

ومن أجل الاستزادة عن محاكم التفتيش والموريسكيين انظر المراجع التالية:

- *Haperin Dongui, Tulio:*" Un conflicto nacional : y cristianos viejos en Valencia", Cuadernos de H. de España, Buenos Aires, XXIII, XXIV, 1955, y XXV-XXVI, 1957.- :" Recouvrements de civilisation : les morisques de royaume de Valence au XVIeme siecle", Annales ESC., XI.N." 2, 1956.
- *Historia del Alzamiento* de Los Moriscos, Su Espulsión de España Y Sus Consecuencias en todas Las provincias del reino.
- Hitos, Francisco : Mártires de La Alpujarra en La rebelión de los moriscos, 1568, Madrid, 1935.
- *Hurtado De Mandoza,* Diego: Guerra de Granada hecha por el rey de España don Felipe II contra los moriscos de aquel reino sus rebeldes,Biblioteca de Autores Españoles (B.A.E.), Historiadores de sucesos Particulares, I, Madrid, 1946. - :" De la guerra de Granada". ed. critica de Manuel Gomez Moreno,memorial historico Español, LXIX, Madrid,1948.- :" Guerra de Granada, ed. B. Blanco- González,Madrid, castalia, 1970.
- *Hurtado de Mendoza:* Guerra de Granada, Bibl. Popular Cervantes, numeros 62 y 63, Madrid 1929.
- *Hurtado de Mendoza,* Diego: Guerra de Granada, Edición, introducción y notas de Bernardo Blanco Gonzalez.Madrid 1970.

«يعتبر الموريسكي أو العربي المنصر قد عاد إلى الإسلام إذا امتدح دين محمد، أو قال إن يسوع المسيح ليس إلهاً وليس إلا رسولاً، أو إن صفات العذراء أو اسمها لا تناسب أمه.

ويجب على كل نصراني أن يبلغ عن ذلك، ويجب عليه ايضاً أن يبلغ عما إذا كان قد رأى أو سمع أن أحداً من الموريسكيين يباشر بعض العادات الإسلامية، ومنها أن يأكل اللحم في يوم الجمعة، وهو يعتقد أن ذلك مباح، وأن يحتفل يوم الجمعة بأن يرتدي ثياباً أنظف من ثيابه العادية، أو يستقبل المشرق قائلاً باسم الله، أو يوثق أرجل الماشية قبل ذبحها، أو يرفض أكل تلك التي لم تذبح، أو ذبحتها امرأة، أو يختن أولاده أو يسميهم بأسماء عربية، أو يعرب عن رغبته في اتباع هذه العادة، أو يقول إنه يحب ألا يعتقد إلا في الله وفي رسوله محمد، أو يقسم بأيمان القرآن، أو يصوم رمضان ويتصدق خلاله، ولا يأكل ولا يشرب إلا عند الغروب، أو يتناول الطعام قبل الفجر، أو يمتنع عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر، أو يقوم بالوضوء والصلاة بأن يوجه وجهه نحو الشرق ويركع ويسجد ويتلو سوراً من القرآن، أو يتزوج طبقاً لرسوم الشريعة الإسلامية، أو ينشد الأغاني العربية، أو يقيم حفلات الرقص والموسيقى العربية، أو أن تستعمل النساء الخضاب في أيديهن أو شعورهن، أو يتبع قواعد محمد الخمس، أو يملس بيديه على رؤوس أولاده أو غيرهم تنفيذاً لهذه القواعد، أو يغسل الموتى ويكفنهم في أثواب جديدة، أو يدفنهم في أرض بكر، أو يغطي قبورهم بالأغصان الخضراء، أو يستغيث بمحمد وقت الحاجة منعتاً إياه بالنبي ورسول الله، أو يقول إن الكعبة أول معابد الله، أو يقول إنه لم ينصر إيماناً بالدين المقدس، أو إن آباءه وأجداده قد غنموا رحمة الله لأنهم ماتوا مسلمين».

لقد أصبحت محاكم التفتيش رمزاً للإرهاب والقهر، وأصبح كل موريسكي معرضاً للمطاردة في أي وقت، فعلى المسلمين أن يتنصروا ليس ظاهرياً، وإنما عليهم أن يصبحوا نصارى بكل ما يعنيه ذلك ديناً وعقيدة وشعائر، بل عليهم أن يكونوا نصارى كاثوليكيين، وإلا فإنهم يجب أن يطردوا من إسبانيا[1].

وقد أصدر شارل الخامس (شارلكان) مرسوماً في ١٢ آذار ١٥٢٤م يقضي بمعاقبة كل من يأبى التنصّر، كما يقضي بتحويل جميع المساجد إلى كنائس. وتوالى بعد ذلك إصدار القرارات والمراسيم والأوامر الملكية المتعلقة بهذا الشأن، ومنها ما يرغم جميع المسلمين الذين تم تنصيرهم كرهاً على البقاء في إسبانيا باعتبارهم نصارى، ويرغم كل أولادهم على التنصر، وإذا ارتدوا عن النصرانية فإن عقوبتهم الموت ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم.

---

(١) حتاملة، الأندلس، ص١١١٥.

وحرمت بعض القرارات والأوامر على الموريسكيين بيع الحرير والذهب والفضة والحلي، وحتمت على كل مسلم بقي على دينه أن يضع شارة زرقاء في قبعته...[١].

وكانت محاكم التفتيش تطارد كل موريسكي، وتلفق له أي تهمة تخضعه للتعذيب، وكان أكثر الموريسكيين استهدافاً هم الفقهاء لأنهم – كما يرى أحد رهبان بلنسية في خطاب وجهه إلى فيليب الثالث سنة ١٦٠٦م – «هم الذين يدعمون كل الملة الإسلامية ..»[٢].

وتنوعت إجراءات التحقيق وكذلك العقوبات التي كانت محاكم التفتيش تتولاها وتفرضها، وهي إجراءات وعقوبات لا يمكن حتى لواسع الخيال أن يتخيلها. أما وسائل التعذيب فكان معظمها مبتكراً، وكانت فظيعة إلى درجة لا يمكن معها أن يتصور الإنسان أن من ابتكرها وطبقها من بني الإنسان. وسنتناول فيما يلي إجراءات التحقيق ووسائل التعذيب باختصار يوضح طبيعتها .

إجراءات التحقيق في محاكم التفتيش

تبدأ إجراءات المحكمة ببلاغ ضد أحد ما، أو بورود عبارة في قضية منظورة أمامها تلقي

(١) المرجع نفسه، ص١١١٦.

(٢) المرجع نفسه، ص١١٢٢.

ومن أجل الاستزادة عن محاكم التفتيش والموريسكيين انظر المراجع التالية:

- *Domínguez Ortíz (Antonio)* Y Vincent (Bernand) Historia de los Moriscos, Vida Y tragedia de una minoria,Madrid 1978.
- *Dominguez Ortiz Antonio:* «Los crisianos nuevos, Notas para el estudio de una clase social", Bol. Univ. De Granada, XXI,1949.
- *Dressendoerfer, Peter:* Islam unter der Inquisition. Die moriscos Prozesse in Toledo, 1575-1610, Wiesbaden, 1971.
- *Janer, Florencio,* Condicion social de los moriscos en España causas de su expulsión y consecuencias que ésta produjo en el orden politico y económico, Madrid, 1857.
- *Kamen, Henry,* La Inquisicion española,Barcelona,1967.
  - The Spanish Inquisiión, Londres,1965 ; La Inquisicion española,trad., Madrid, 1973.
  - Histoira de I'Inquisition espagnole,Paris, 1966.
- *Boronat Y Barrachina:* Los moriscos españoles y su expulsión, Valencia, 1901,2. vols.
- *Cardaillac, Denise:* La polemique anti- chretienne du manuscrit N. 4944 de La Bibliothéque Nationale de Madrid, tesis, Montpellier, 1972.
- *Cardaillac, Louis:* Le passage des morisques en Languedoc, tesis doctoral de tercer ciclo, Montpellier, 1970.
- *Caro Baroja, Julio,* Los moriscos del reino de Granada. Ensayo de historia social, Madrid, 1957,2." Ed., Madrid, Istmo, 1976.
- *Castillo, Alvaro,*" La España morisca",Hispania, XX 1960.
- *Castro, Américo:* España en su Historia: Cristianos, Moros y Judios, Buenos Aires 1948.
- *Chateaubriand,* Francois René : de Les aventures du dernier Abencerage, Paris 1926.
- *Chaunu, Pierre,* «Minorités et conjuncture. L'expulsion des morisques en 1609", Revue Historique, CCXXV, 1961.

شبهة على أحد ما، أو بإيعاز من أحد الأساقفة إلى شخص ما بتقديم بلاغ ضد أحدهم[١].

وقد يكون البلاغ مقدماً من أي شخص (دون تكليف)، فما على المبلغ إلا أن يذكر أقواله وشهوده، وعندئذ يعتبر ذلك تحقيقاً تمهيدياً [٢]. ويمكن ايضاً أن يقوم القسيس بالتبليغ في حالة اشتباهه في عقيدة من يعترف أمامه، وعندئذ تقوم المحكمة بالتحري عن المبلغ ضده، وتعرض نتيجة التحقيق التمهيدي على الرهبان ليقرروا ما إذا كانت الوقائع والأقوال المنسوبة إلى المبلغ ضده تجعله مرتكباً لجريمة الكفر، أو تلقي عليه فقط شبهة ارتكابها[٣].

وكانت إجراءات المحكمة تتم في سرية تامة، أما القائمون بهذه الإجراءات فكان يتم اختيارهم من الرهبان المعروفين بخراب ذممهم، وسوء خلقهم، وفسادهم، وكان يؤخذ برأيهم في جميع الحالات إلا ما ندر[٤].

---

(١) عنان، نهاية الأندلس، ص٣١٦؛ حتاملة، الأندلس، ص١١٢٣.

من أجل الاستزادة عن محاكم التفتيش والموريسكيين انظر المراجع التالية:

- *Garcia Arenal.* Mercedes : Los Moriscos,Madrid,1975. - Inquisición Y moriscos, Los procesos del Tribunal de Cuenca, Madrid1.978.
- *Garica Gómez,* Emilio sobre Los epitáfios de dos Caballeros abencerrajes en La revista Al- Andalus, Vol. VII, Madrid- Granada, 1947.
- *Garrad K;* The original memorial of don Francisco Nuñez Muley. Atlante II no 4 Octuber (1.954).
- *Garrido Atienza,* Miguel, « Los moriscos granadinos. Agüeros, hechizos, encantamientos y otoros maleficos", La Alhambra, II, 1899. Las capitulaciones para la entrega de Granada, Granada, 1910.

(٢) عنان، نهاية الأندلس، ص٣١٦.

(٣) المرجع نفسه، ص٣١٦؛ حتاملة، الأندلس، ص١١٢٣.

من أجل الاستزادة عن محاكم التفتيش والموريسكيين انظر المراجع التالية:

- *Epalza (M.de)*
- *Expulsión Justificada* de los moriscos españolas y suma de la excelencias christianas de nuestro rey don felipe el Catolico tercero desde nombre, Huesca,1612,2 parties.
- Moriscos et Andalous en tunisie au XVII* siecle, in Etudes sur les moriscos andalous, en Tunisie,Madrid,1973,pp.150-186.
- *PEREZ DE HITA, GINES:*
- "Guerras civiles de Granada". Reproducción de la edicion principe del año 1595. Publicada por Paula BLANCHARD DEMOUGE.Madrid, 1913.
- *Rodriguez Rivero,* Adolfo :" Un documento relativo al alzamiento de los moriscos,15 70 »,Mauritania,182,1943.
- *Rojas,J.L.*: Relaciones de algunos sucesos celebres,nuevos y postreros de Berberia y salida de los moros de España, Lisboa, 1613.
- *Rubio, Felipe* II de España, Rey de Portugal, Santander,1939.
- *Ruiz Almansa:* La población de España en el siglo XVI. Revista.Internacional de Sociologia III (1.943).

(٤) حتاملة، الأندلس، ص١١٢٣.

وكان هؤلاء يصدرون تقارير بحق المبلغ ضدهم، وما إن يصدر التقرير حتى يصدر النائب العام أمره بالقبض على المتهم، وزجه في سجن المحكمة السري. وهذا السجن يكون عادة في غاية الفظاعة والسوء، ومن يدخله لا يخرج منه إلا إلى القبر، وفي حالات نادرة جداً قد ينجو المتهم من السجن غير أنه يصبح منبوذاً، فلا أحد يستطيع الالتقاء به أو التعامل معه[١].

وكانت سجون محاكم التفتيش عميقة مظلمة رطبة مليئة بالحشرات والجرذان، وكان المتهم يلقى فيها مصفداً بأغلال حديدية ثقيلة. ويتزامن إلقاء القبض عليه مع مصادرة كل أملاكه وتصفيتها على اعتبار أن هذه الأملاك نفقات سجن. وكانت المحاكمة تستغرقُ عاماً على الأقل، وقد تمتد ثلاثة أعوام لا يعرف السجين أو أسرته خلالها شيئاً عن مصيره.

وكان المتهم إذا اعترف بأنه كافر فإن مصيره الموت، أما إذا اقتنعت المحكمة بأن تهمته أقل من الكفر فإن عقوبته تكون خفيفة، وهي نادراً ما تقتنع بذلك[٢].

وتعقد لمحاكمة المتهم ثلاث جلسات يضع بعدها النائب العام قرار الاتهام، وغالباً ما يتضمن القرار إحالة المتهم على التعذيب، وقد يحال على التعذيب رغم إقراره بالتهم المنسوبة إليه، وذلك للحصول على معلومات إضافية[٣]. وإذا كان المتهم موريسكياً فإنه لا بد من تعذيبه بغض النظر عن الظروف وعن التهمة المنسوبة إليه ومدى خطورتها[٤].

ويبدأ تعذيب المتهم عادة في بيته، ثم يحمل ممزقاً دامياً إلى قاعة المحكمة، ولم يكن يسمح لأهله بزيارته خلال فترة التحقيق، بل كانوا يضطرون إلى التنكر له، وإنكار معرفته، وينطبق ذلك أيضاً على أقاربه وجيرانه، وذلك خشية أن يطالهم التحقيق[٥].

وكان المحققون يتفننون في ابتكار أساليبهم من أجل استدراج المتهم إلى الاعتراف بما تريده محكمة التفتيش، وإذا أخفقوا في ذلك وأصر المتهم على الإنكار يؤخذ إلى غرف التعذيب بعد تجريده من ثيابه، وتعرض عليه وسائل التعذيب وأدواته وأساليبه لعله يخاف فيعترف. وإذا أصر على الإنكار يحال إلى الجلادين لتعذيبه[٦].

---

(١) حتاملة، المرجع نفسه، ص١١٢٣-١١٢٤.

(٢) عنان، نهاية الأندلس، ص٣١٧-٣١٨؛ حتاملة، الأندلس، ص١١٢٤.

(٣) حتاملة، الأندلس، ص١١٢٥.

(٤) المرجع نفسه، ص١١٢٦.

(٥) حتاملة، الأندلس، ص١١٢٦.

(٦) المرجع نفسه، ص١١٢٧.

ولم تقتصر محاكمات محاكم التفتيش على الأحياء؛ فقد أجاز قانونها محاكمة الأموات أيضاً،، وتوقع عليهم العقوبات وكأنهم أحياء؛إذ كانت تصادر أموالهم، وتعمل لهم تماثيل تنفذ فيها عقوبة الحرق، أو تنبش قبورهم لاستخراج رفاتهم وحرقه[١].

وسائل التعذيب في محاكم التفتيش

فاقت الفظائع والأعمال البربرية التي مارستها محاكم التفتيش في إسبانيا كل تصور، وكان التعذيب في سجونها يمارس في غرف صغيرة يتم الوصول إليها عبر ممر ضيق، ويصل النور إليها من فتحة صغيرة في سقف كل غرفة. وكان السجن يتألف من عدة طبقات تضم سجوناً سرية لا يهتدي إليها إلا عمال المحكمة والجلادون والسجانون[٢].

وكانت غرف السجون مطلية بالشحم لكي لا يتمكن السجين من تسلق جدرانها، كما كانت شديدة الظلمة والرطوبة، ومع ذلك كان يصب فيها الماء باستمرار حتى لا تتشرب الأرض الدماء النازفة من المعذبين[٣].

وكانت لأبواب السجون عوارض غليظة من الحديد تحول دون اقتراب السجين من الباب، وإن تمكن من اقتحام الباب واختراقه فإنه سيجد نفسه أمام سور عالٍ بينه وبين السجن خندق عميق يصل عرضه إلى خمسة أمتار، ويطوف الحراس بالخندق ليل نهار[٤].

وكان محظوراً على السجين أن يكلم أحداً أو أن يرفع صوته لأي سبب، وإذا رفع صوته تعرض لأنواع من العذاب القاسي[٥]، وكانت ممرات السجون ملأى بالسجانين الذين يقتادون أي مخالف إلى رجال المحكمة، فيصدرون حكمهم بسرعة لتأديبه وتعذيبه[٦].

(١) المرجع نفسه، ص١١٢٨.

من أجل الاستزادة عن محاكم التفتيش والموريسكيين انظر المراجع التالية:

- *Dánvila (A), Felipe* II y La Sucesión de Portugal, Madrid, 1956.
- *Dánvila Collado* (Manuel) : EI poder civil en España, memoria premiada por La Real Acamedia de ciencias Morales Y Politicas. Tomo II. Madrid, 1885.
- *Dánvila Y Collado,* Manuel : La expulsión de los moriscos españoles, Madrid, 1889.
- *Fernández Y Fernández de Retana,* P. Luis: España en tiempo de Felipe II, en "Historia de España"dirigida por Ramón Menendez Pidal, T. XIX. Vol. II, Madrid.
- *Fernández Y González,* Manuel : Los monfies de las Alpujarras, Madrid,1856.
- *Foradada José:* La insurrección de los moriscos de las Alpujarras y el Marqués de Mondéjar", Rev. Contemporánea, XXX, 1880.

(٢) مظهر، محاكم التفتيش، ص٥٤-٥٥.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٥.

(٤) حتاملة، الأندلس، ص١١٣٠.

(٥) مظهر، محاكم التفتيش، ص٥٩.

(٦) مظهر، محاكم التفتيش، ص٥٩-٦٠.

وكان لديوان التحقيق جنده الخاص به، ولهم أعلامهم المميزة، ويدعى ذلك الجند: جيش الحرب المقدسة، ويساعده جيش آخر من الجواسيس[١].

أما رجال الديوان فكانوا من الأمراء المتطوعين المشهورين بالفسق والفجور، ولذلك كانوا يحرصون على تصيد البنات الجميلات، وعندما تعجبهم إحداهن يزجون بأبيها وزوجها في السجن ومن ثم يعتدون على عفافها، وإن امتنعت ألقيت في السجن، وأجبرت قسراً على الفسق، وممارسة الفاحشة[٢].

وكان رجال الديوان وأعضاء محاكم التفتيش يتمتعون بحصانة تامة، وسلطان مطلق، ولا يُسألون عما يفعلون، ولذلك شاع في هذه المحاكم الظلم والتعسف، وخاصة أن بعض المحققين كانوا من أصحاب السوابق، ومن طراز إجرامي فريد، ولذلك كانوا لا يتورعون عن ارتكاب الفظائع[٣].

وفي المقابل كان كل فرد في إسبانيا ملزماً بالإجابة عن أي سؤال يتعلق بحياته الخاصة، وأن يوضح ما يُسأل عنه بالتفصيل، فقد كان يُسأل عما يأكل ويشرب، وكيف ينام، وماذا يفعل مع ابنه وابنته وزوجه، وكان الأخ يُسأل عن أخيه، والابن عن أبيه. كما كان يُسأل عما يقرأ، وعمن يعيره الكتب، ولمن يعيرها، كل ذلك للتأكد من أنه لا يتخلق بأخلاق المسلمين، أو يتصرف تصرفهم، وإن ثبت ذلك اقتيد إلى محاكم التفتيش[٤].

---

(١) المرجع نفسه، ص١٠٨.

(٢) مظهر، محاكم التفتيش، ص١٠٨-١٠٩.

ومن أجل الاستزادة عن محاكم التفتيش والموريسكيين انظر المراجع التالية:

- *Bataller, Adela:*" La expulsión de los moriscos : su repercusión en la propiedad y la población en la zona de riegos del Verniso", Saitabi, X, Valencia, 1960.
- *Bermudez de Pedraza,* Francisco, Antigüedad y excelenias de Granada,Madrid,1608.
- *Bernaldez.Andrés:* Historia de los Reyes Católicos escrita por el bachiller que fue cura de la villa de los Palacios y capellán de D. Diego de Deza, arzobispo de Sevilla, Biblioteca de autores Españoles.t. LXX,Vol.III,Madrid,1953.
- *Biarnes I Biarnes,* Carmen : Moros i moriscos en la Ribera d'Ebre(710-1615).
- B*leda, Jaime:* Corónica de los moros de España, Valencia, 1618.
- *Correspondencia... de Felipe* II y de otros personajes con don Juan de Austria desde 1568 sobre La guerra contra los moriscos de Granada,Codoin, XXVIII, Madrid, 1856.
- *Credilla, C.P., «Ceremonias* de moros que hacen los moriscos", RABM,1874. Granada,1882.Imp. De ((El Defensor)),de Granada.Matriti, 1760-1770.

(٣) عنان، نهاية الأندلس، ص٣٢٢.

(٤) مظهر، محاكم التفتيش، ص١٠٩؛ حتاملة، الأندلس، ص١١٣٢.

ومن أجل الاستزادة عن محاكم التفتيش والموريسكيين انظر المراجع التالية:

- *Martin Ruiz.* Felipe : Movimientos demograficos y económicos en el Reino de Granada

ويشار هنا إلى أن الفظائع في إسبانيا كانت ترتكب على أيدي رجال محاكم التفتيش بعلم ملوكها، وموافقتهم، لأنهم كانوا يجدون في هذه المحاكم أفضل وسيلة لإبادة الموريسكيين[١].

أما أدوات التعذيب وأساليبه فقد تنوعت وتعددت، ومن هذه الأدوات: المخلعة، وكانت تستخدم لشد المتهم من ساقيه إلى طرف بينما جذعه مثبت إلى الطرف الآخر، ويستمر الشد بقوة إلى أن تنفصل عظام المعذب[٢].

واستخدم الماء في التعذيب، حيث كان المتهم يوثق فوق أداة تشبه السلم، وتربط ساقاه وذراعاه إليها مع خفض رأسه إلى أسفل، ثم يوضع قمع في فمه ويصب الماء فيه وذلك بعد أن يسد منخرا المعذب بقطعتين خاصتين من الخشب، بينما توضع في فمه قطعة قماش يضطر المعذب إلى ابتلاعها في أغلب الأحيان. وكان الإيذاء الحقيقي ينجم عن تحريك المتهم يمنة ويسرة للإفلات، حيث تتشقق قدماه ويداه ويعتصر رأسه، وإذا أغمي عليه سحب القماش من بلعومه إلى أن يستعيد وعيه لتبدأ العملية من جديد[٣]. وفي أثناء هذه العملية كان أحد الرهبان يقف إلى جوار المعذب ويسأله عما إذا كان يريد أن يعترف، فإن أبى زيد في سكب الماء حتى ينتفخ بطنه وتجحظ عيناه، ويموت اختناقاً. وقد يواكب هذه العملية نخز المعذب بالدبابيس في أعصابه وشرايينه[٤].

وابتكر من أدوات التعذيب الصحن الساخن والفئران، فكان المعذب يربط بإحكام إلى الأرض، ثم يوضع صحن كبير فوق بطنه وبه بضعة فئران. وكانت النار تسلط تدريجياً على الصحن فتحاول الفئران الاحتماء من الحرارة، فلا تجد إلا بطن الضحية تبقر فيه إلى أن يموت[٥].

ومن أدوات التعذيب الكرسي، ويستخدم لربط المعذب إليه ربطاً محكماً بوساطة الحبال المتينة حتى يصبح كأنه جزء من الخشب المربوط إليه، فلا يمكنه الحركة. وكانت

---

durante la segunda mitad del siglo XVI.Anuario de Historia Económica y Social I (1.968).

- *MARTINEZ DE LA ROSA, FRANCISCO:* «Doña Isabel de Solis, Reina de Granada. Noveia Historica «.Madrid, 1839.
- *Fernández Guerra,* Aureliano : Reflexiones sobre la rebelión de los moriscos y censo de población, Granada, 1840.
- *Fernández Neiva Julio:* Un censo de moriscos extremeños de la inquisicion de Lierena (año (1.594). Revista de Estudios extremeños XXIX (1973).
- El enfrentamiento entre Moriscos y cristianos viejos. El caso de Hornachos en Extrem adura, in les morisques et leur temps, Paris,1983,pp.269-295.

(١) عنان، نهاية الأندلس، ص٣٢٢.

(٢) بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص٢٠٠؛ حتاملة، الأندلس، ص١١٣٣.

(٣) مظهر، محاكم التفتيش، ص ٩٥؛ عنان، نهاية الأندلس، ص ٣١٨-٣١٩؛ بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص٢٠٠.

(٤) مظهر، محاكم التفتيش، ص ٩٥.

(٥) بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ص ٢٠١.

قدماه تترك خارج الكرسي فوق موقد به نار ملتهبة تضطرم اضطراماً. وللموقد رافعة ترفع النار وتخفضها حسب الرغبة. ويبدأ التعذيب برفع الموقد أثناء الاستجواب، فإذا ما أصر المتهم على الإنكار تركت قدماه تحترقان، وبعد أن تتم العملية يفك وثاقه، ويؤمر بالوقوف والمشي بينما يلهب قفاه وجسمه بالسياط حتى يصل إلى السجن حيث يقضي نحبه[١].

وكان تفتيت الأعضاء وتكسيرها إحدى طرق التعذيب، حيث يعرّى المعذب إلا عورته التي تستر بخرقة، ثم يوضع حبل متين جداً في وسطه تحت الإبطين، ويعلق الحبل في السقف، ثم يجذب الحبل فيرتفع الجسم ثم يترك فيهبط بسرعة بمقدار قامة الشخص. وتكرر العملية عدة مرات، إلى أن تتمزق أعضاؤه [٢]. وقد يعلق الرجل أو المرأة إلى السقف، وتربط كل يد وكل رجل بحبل مربوط بأثقال لا يقل كل ثقل منها عن مائة كيلو غرام، فتجذب تلك الأثقال الأطراف، ويبقى المعذب كأنما هو نائم وهو معلق في الفضاء، وتتمزق أطرافه على هذه الكيفية، وكلما أصر على السكوت زيدت الأثقال حتى يموت[٣].

---

(١) مظهر، محاكم التفتيش، ص ٩٥-٩٦.

ومن أجل الاستزادة عن محاكم التفتيش والموريسكيين انظر المراجع التالية:

- *Colonge, Chantal:* «Reflet littéraire de la question morisque entre la guerre des Alpujarras et L'expulsión (1571-1610)", Bolt, Real Academia Buenas Letras de Barcelona, XXXIII, 1969-70.
- *Comellas José Luis:* Historia de España Moderna Y contemporánea, sexta edición Madrid 1978.
- *Contreras, Refael:* «Nuevos datos sobre la Guerra de expulsión de los moros", Revista de España, LXVIII, 1879.
- *Aznar, Jerónico:* Expulsión justificada de los moriscos españoles, Imprenta de Pedro Cabarte, Zaragoza,1612.
- *Azorin:* «Los moriscos", Clásicos y modernos, Madrid, 1913.
- *Baez, Hernano:* de Las Cosas que pasaron entre los reyes de Granada, apud ed Muller Munich, 1863.

(٢) مظهر، محاكم التفتيش، ص٩٦.

(٣) المرجع نفسه، ص٩٦.

ومن أجل الاستزادة عن محاكم التفتيش والموريسكيين انظر المراجع التالية:

- *Aguado Bleye, Pedro:* Manual de Historia de España, Tomo II Reyes Catolicos- Casa de
- Austria (1474-1700) Madrid 1969.
- *Aguado Bleye,Pedro:* Compendio de Historia de España. Tomo II, Madrid 1931.
- *Alvarez vazquez Alfonso:* Notas sobre la población morisca de Aragón afines del siglo XVI.)Estudios. Zaragoza 1. 976).
- *Gonzalez, Tomás:* Censo de población de las provincias y partidos de la Corona de Castilla en el siglo XVI. Madrid. 1.829.
- *Guadalajara Y Javier,* Marcos: Memorable expulsión y justisimo destierro de los Moriscos de España, Pamplona, 1613.- ; Prodición y destierro de los moriscos de Castilla hasta el valle de Ricote. Con las disensiones de los hermanos Xarifes y presa en Berberia de la fuerca y puerto de Alarache, Imp. Nicolas de Assíayn, Pamplona,1614.

ومن آلات التعذيب السيدة الجميلة، وهي عبارة عن تابوت فيه صورة امرأة جميلة مصنوعة على هيئة الاستعداد لعناق من ينام معها، وتبرز من جوانب التابوت عدة سكاكين حادة. وكان المعذب الشاب يطرح في التابوت فوق الصورة، ثم يطبق عليه بسكاكينه الحادة حتى يتقطع ويموت ببطء[١].

وكانت المرأة تعذب بتعريتها إلا ما ستر عورتها، ثم تؤخذ إلى مقبرة مهجورة، وتجلس هناك على أحد القبور حيث يوضع رأسها بين ركبتيها ويشد وثاقها، وتترك على هذه الحال دون أن تقوى على الحركة. وكانت تربط بسلاسل حديدية إلى القبر، ويرخى شعرها فيجللها، وتظهر لمن يراها كأنّما هي جنية. وتترك على هذا النحو إلى أن تجن أو تموت جوعاً ورعباً[٢].

أما دفن الأحياء فكان وسيلة معروفة، وكان ذلك يتم أمام الناس، حيث يتخير عمال التفتيش جداراً في طريق عريض أو ميدان عام، ويحفرون في ذلك الجدار قبراً يوضع فيه المعذب، ثم يعاد البناء كما كان[٣].

وكان من أساليب القتل والإفناء التي سلكتها محاكم التفتيش الإسبانية المقابر الجماعية التي دفن فيها آلاف المسلمين، وقد كشفت إحداها في بدايات سنة ١٩٧٩م في جنوبي إسبانيا على حدود البرتغال في كنيسة مدينة يريبا (Lierena). ونشرت عنها تحقيقات وصور تعبر عن وحشية محاكم التفتيش وبشاعتها وعدوانيتها[٤]. فبينما العمال يحفرون في ساحة الكنيسة لاحظوا فتحه تابعوها، وانتهوا إلى دهليز دخلوه، وإذا بقبر كبير فيه مجموعات من الجثث التي بقيت هياكلها، وقدرت بما يزيد على ثلاثة آلاف جثة، وربما وصل عددها إلى ستة آلاف. ومن المرجح أن تكون هذه الجثث لمجموعات من المسلمين جمعتهم محاكم التفتيش بعد أن كلت لكثرة من عذبت في سجونها منهم، ثم سلطت عليهم رجالها الذين يحملون ألوان الأسلحة والفؤوس والمقاطع فانهالوا عليهم يضربون يمنة ويسرة كيفما اتفق، وأينما وقع الضرب على رؤوس وأجسام هؤلاء المسلمين من نساء ورجال وشيوخ وأطفال، على أجنابهم وأيديهم وصدورهم وظهورهم، ويقطعون الرؤوس أحياناً والأيدي والأرجل أحياناً أخرى، وتركوهم أكواماً بعد أن هالوا عليهم التراب[٥].

---

(١) الحجي، محاكم التفتيش، ص٣٥-٣٦.

(٢) مظهر، محاكم التفتيش، ص ٩٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٩٦.

(٤) الحجي، محاكم التفتيش، ص ٦٥-٦٨.

(٥) المرجع نفسه، ص ٧١-٩٦.

وعلى الرغم من تعدد أساليب التعذيب وتنوع أدواته، وممارسته بكل صنوف الوحشية، إلا أن كثيرين من المعذبين لم يعترفوا بشيء، وكانوا يفضلون لقاء الموت على ذكر اسم أحد لديوان التحقيق أو الكهنة في محاكم التفتيش. وكانت النتيجة إحراق عدة آلاف من الناس وهم أحياء، ودفن آلاف أخرى وهم أحياء أيضاً، إضافة إلى الملايين الذين ماتوا من شدة التعذيب[١].

وفيما يلي وصف موجز للإجراءات التي كانت تتم بها عملية الحرق، فإذا ما حكم على فرد أو أكثر بهذه العقوبة طيف بهم قبل يوم التنفيذ بيومين في المدينة وهم مكبلون بالأغلال، مطوقون بالسلاسل الغلاظ، تحيط بهم فرقة من الجند المسلحين بالسيوف والنبابيت. وفي خاتمة المطاف يحشر المحكوم عليهم في سجن واحد استعداداً ليوم التنفيذ[٢].

وفي منتصف ليلة التنفيذ تأتي فرقة من جند الديوان وعلى رأسها العرفاء والقواد وجماعة القساوسة، فيفتح السجانون الأبواب، ويخرجون المساجين، وعندئذ يبلغهم القساوسة بدنو ساعة العقاب، وينصحونهم بالإقرار والاعتراف، ثم يأمرون بكم أفواههم وإلباسهم لباس الإعدام الخاص، ويتألف من قميص أصفر غُمس في شحم أو زيت وقطران، وقد رسمت عليه صور الشياطين والأفاعي. وتوضع على رؤسهم قبعات من ورق عليها رسوم مماثلة. وكان السجناء الآخرون يصحبون المحكوم عليهم وقد ارتدوا لباساً آخر، وسبب تلك الصحبة هو إرهابهم وتهديدهم بمثل تلك المواقف الرهيبة، والمناظر المؤلمة إذا هم لم يطيعوا الديوان، ولم يعترفوا للمحكمة[٣].

وإذا ما انبثق الفجر حضر إلى السجن كل رجال الديوان ليأخذ كل واحد منهم مكانه، ويقوم بما عهد إليه من عمل عند تنفيذ الحكم. وعند الساعة السادسة صباحاً يخرج السجناء إلى ميدان أمام السجن، فيجدون سماطاً قد مدّ وعليه ما لذ وطاب من شهي الطعام والخمور المعتقة، فيؤمر السجناء بالجلوس وتناول آخر فطور لهم في الحياة الدنيا[٤].

وإلى جانب المائدة الممدودة لضيوف الحريق هناك مائدة أخرى عليها أطواق حديدية توضع في الرقاب، وأخشاب توضع في الفم على شاكلة لجام الجياد. وعند إشارة البدء يتقدم جلاد من الضحايا، ويطلب أن يضع كل منهم طوقه في عنقه وخشبته في فمه، ثم يتقدم الملك ورجال البلاط وأعضاء الحكومة، ورجال القضاء والقواد وتقف ألوف من الناس ليروا

---

(١) مظهر، محاكم التفتيش، ص ١٢٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٢-١٢٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٢٣-١٢٤.

حرق (الكفار)، وقد هيىء الحطب، وأعد كل شيء لإصعاد المحكومين على المحارق[1].

وكان موكب الحريق يخرج من ساحة السجن إلى الساحة المخصصة للحريق، يتقدمه تلاميذ المدارس الإسبانية في ملابس خاصة برفقة معلميهم من رجال الدين، ويحفهم ألف رجل قد حملوا ألف راية من رايات الكنيسة، وإلى جانب كل راية كاهن يترنم بترنيمة محزنة، ثم جماعة تحمل صور القديسين وأعلام الجماعات الدينية، ثم السجناء من غير المحكوم عليهم وفي رقابهم الأغلال. ويسير خلف هؤلاء من أطاعوا الديوان، ونبذوا الكفر والإلحاد وعفا عنهم الديوان، ولكنه جعلهم تحت المراقبة. ومن وراء هؤلاء جميعاً يسير المحكوم عليهم بالحرق وقد كمت أفواههم حتى لا يتكلموا مع أحد من الشعب، أو يقولوا شيئاً، وقد كبلت أيديهم بالسلاسل، وسار كل واحد منهم يحرسه الجند والرهبان. ويأتي بعد ذلك صفان طويلان من جند إسبانيا ومن خلفهم الحكام والقضاة ورجال البلاط والملك أو نائبه، ثم أمراء الأسرة المالكة، وأبناء الأشراف[2].

وفي أثناء سير موكب الحريق يظهر وكيل المحكمة العام الذي صادق على حكم الحريق وهو يسير في أبهة وعظمة، وقد أفرد له مكان اختصه به الديوان إكراماً له. ثم يظهر علم الديوان، وهو من حرير أحمر كبير جداً مرفوع على صليب، وقد ذهبت حواشيه وجوانبه وأطرافه، ويتقدم العلم رئيس الديوان وهو يسير مختالاً فخوراً لاعتقاده أنه ظل الله في أرضه، ومن حوله الجند وقد شهروا حرابهم واستلوا سيوفهم. ويسير خلف هؤلاء الشعب جماعات جماعات.ويطوف الموكب شوارع المدينة الرئيسية، وكلما وصل إلى ميدان توقف لإقامة صلاة قصيرة، ثم يصل إلى أكبر ميدان في المدينة حيث أعدت كراس مذهبة، ودكة مرتفعة لجلوس الملك وكبار الحضور ومن حولهم ترفرف الأعلام التي ازدان بها الميدان[3].

---

(١) مظهر، محاكم التفتيش، ص ١٢٤.

من أجل الاستزادة عن محاكم التفتيش والموريسكيين انظر المراجع التالية:

- *F. Braudel,* El Mediterráneo y el mundo mediterraneo en La epoca de Felipe II, 2 Vols. México, 1953.
- *Fandi (L.P.) Felipe* II. Bosquejo de una vida y de una epoca. 2 ed., Madrid,1942.
- *Fernández Alvarez (M)* Très embajadores de Felipe II en Inglaterra, Madrid 1951.
- Felipe II. Semblanze del rey prudente,Madrid 1956.
- *Guillén Robles,* F. : Leyendas moriscas sacadas de varios manuscritos existentes en Las bibliotecas Nacional,Real y de P. Gayangos, Madrid,1885-1886.
- «La Inquisición y los moriscos granadinos", Bulletin Hispanigue, LXVII, 12, 1965.
- *Gachard, Biograohie* nationales de belgique Tomo III, Bruselas,1872, Col 656.
- *Gallego Burin,* Antonio, y Gámir Sandoval, Alfonso, Los moriscos del reino de Granada segun el sinodo de Guadix de 1554, edición preparada por Dario Cabanelas, Granada,1968.

(٢) مظهر، محاكم التفتيش، ص١٢٤.

(٣) المرجع نفسه، ص١٢٦.

ويقف المحكوم عليهم بالموت حرقاً في صفين أمام مكان جلوس الملك، وعندما يصل رئيس الديوان ترفع رايته في وسط الميدان، ويتقدم إلى الملك فيقف له إجلالاً هو ومن في حضرته من أساقفة، يناولونه الصليب، فيخاطب رئيس الديوان الملك قائلاً: يا صاحب الجلالة، بينما تحمل في يدك هذا الصليب المقدس ترانا ننتظر من جلالتكم أن تقسموا على أن تعضدوا الديوان المقدس، وأن تثبتوا سلطتنا في هذه البلاد. فيقسم يميناً يمليها عليه الأساقفة أمامه، ثم يستمر الرئيس قائلاً: وأن تقسم يا صاحب الجلالة على أن كل ما يعمله ديوان التفتيش، وكل ما يجريه من الأحكام إنما هو مطابق لتعاليم الكنيسة الرسولية الرومانية، وأنه مطابق أيضا لشرائع بلادكم التي ترمي إلى تطهير هذه البلاد من الكفرة والزنادقة، وأصحاب التعاليم الشيطانية. فيقسم الملك على ذلك بالأيمان المغلظة[١]. فيستمر رئيس الديوان مخاطباً الملك: ليبارك الله جلالتكم، وليمكنك من الحكم طويلاً في الأرض ما دمت سنداً لشرائع الديوان المقدس، وشرائع الكنيسة الرسولية الرومانية[٢].

يجلس الملك بعد ذلك، ويتقدم كاتب الديوان إلى منتصف الميدان حيث يقف على دكة مرتفعة، ويأخذ في قراءة الحكم بينما الناس في صمت مطبق. وينتهي القرار الذي يتلوه عادة بأن المحكمة بعد أن تأكدت من استحالة إيمان هؤلاء (المحكومين) فإنها حكمت عليهم بالموت حرقاً. وبعد الانتهاء من تلاوة الحكم يتقدم رئيس الديوان ويمنح الغفران للمحكومين[٣].

ويتألف مكان الحرق أو الشنق من أربعة أعمدة، وأحياناً من عمود واحد أو من جذع شجرة مرتفع، وحوله أكوام الحطب من كل جهة في علو ثلاثة أمتار تقريباً من الأرض. ويكون على هيئة مصطبة مربعة في أعلاه والعمود بارز منها. وكان المحكوم عليه يوقف إلى هذا العمود، ويربط حبل في رقبته ويربط الحبل إلى العمود، ثم يلف الجلاد الحبل على الرقبة عدة مرات، وفي كل مرة يشتد في ضغطه حتى يختنق.

وكانت الحبال تشد أحياناً إلى وسط المحكوم إذا ما توسل أن لا يُخنق بل تترك النيران تأكله وهو حي. وبعد أن تتم عملية الربط يصعد كاهن وفي يده صليب من العاج يعرضه على المحكوم ليقبله قبل حرقه، وذلك قبيل إضرام النار[٤].

---

(١) مظهر، محاكم التفتيش، ص١٢٧.

(٢) المرجع نفسه، ص١٢٧.

(٣) المرجع نفسه، ص١٢٧.

من أجل الاستزادة عن محاكم التفتيش والموريسكيين انظر المراجع التالية:

- *Serrano Y. Sanz Manuel:* "Nuevos datos sobre la Expulsion de los moriscos andaluces", Rev. Contemporanea,XC,1893.
- *Villa y Valdivia,* Francisco de Paula :Lecciones Elementales de Historia critica de España.2a edición, Granada 1899.

(٤) مظهر، محاكم التفتيش، ص١٢٨.

وبعد انتهاء الكاهن من عمله تضرم النار في الحطب مرة واحدة بينما يترنم الكهنة ويصلّون، ويبحث جواسيسهم في وجوه الشعب ويستمعون لما يقال. فمن تأفف أو أظهر عطفاً على المحروقين، أو أبدى أي إشارة اشمئزاز ألقي القبض عليه فوراً، وقد يحرق في التو واللحظة[١].

هذا، وقد توصل بعض المؤرخين الإسبان، بعد الاطلاع على وثائق لمحاكم التفتيش إلى أن الموريسكيين الذين قضت هذه المحاكم بحرقهم بلغ عددهم ٣١,٩١٢ شخصاً، وقد استنتج من تلك الوثائق أن عدد الذين أوقعت عليهم عقوبات وغرامات مختلفة كان ٢٧١,١٥٠ شخصاً، وأن من أُحرقت لهم تماثيل رمزية بلغ عددهم ١٧,٦٥٩ شخصاً، وهذه الأرقام المخيفة تعني أن مجموع ضحايا محاكم التفتيش من الموريسكيين بلغ ٣٠٣,٣٦٢ شخصاً[٢]. ولم يكن الموريسكيون وحدهم هم ضحايا هذه المحاكم، بل اليهود والبروتستانت أيضاً، أو قل كل من هو غير كاثوليكي، وطالته يد البطش المتمثلة في محاكم التفتيش.

لقد هدفت محاكم التفتيش إلى نقاء الكاثوليكية من خلال اضطهاد المسلمين وغيرهم، وقد ظلت هذه المحاكم قوية وتمارس دورها حتى عام ١٨٠٨م، ففي ذلك العام قام نابليون بونابرت بخلع ملك إسبانيا فرناندو السابع، ووضع نابليون مكانه أخاه جوزيف بونابرت الذي قرر إلغاء محاكم التفتيش. كما قام نابليون باعتقال البابا بيوس السابع، ووضعه في السجن حيث ظل محبوساً حتى سنة ١٨١٤م حيث أطلق سراحه[٣].

وهكذا أصبحت إسبانيا محتلة مغلوبة على أمرها، وبدأ الإسبان بشن حرب عصابات ضد الفرنسيين، ثم تمكنوا من إخراجهم من إسبانيا بمساعدة الإنجليز عام ١٨١٤م، وعاد كل من ملك إسبانيا فرناندو السابع، والبابا بيوس السابع إلى مكانه، وأعادا محاكم التفتيش، غير أن عامة الناس ثاروا ضد الملك، وهاجموا سجون المحاكم، وأطلقوا السجناء، وأحرقوا بعض السجلات، وعندما اتسع نطاق الثورة استنجد فرناندو بالفرنسيين، فدخلوا إسبانيا للمرة الثانية عام ١٨٢٣م وأخمدوا الثورة، وعندئذ حاول

---

(١) المرجع نفسه، ص١٢٨؛ وانظر حول مواكب الإحراق: رائف، وتذكروا من الأندلس الإبادة، ص ٥١ وما بعدها؛ عنان، نهاية الأندلس، ص٣٢٠.

(٢) بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص٢٦٦.

من أجل الاستزادة عن محاكم التفتيش والموريسكيين انظر المراجع التالية:

- *Garcia Martinez.* Bandolerismo, pirateria y control de los moriscos de Valencia durante el reinado de Felipe II. " Estudis" 1.872.
- *González Palencia Angel*- Moros y cristianos en La España medieval, Madrid, 1945. –
- «Cervantes y los moriscos", BRAE, XXVII, 1947- 1948.

(٣) بشتاوي، الأمة الأندلسية الشهيدة، ص٢٦٩.

فرناندو إحياء المحاكم فرفض الفرنسيون، ومنعوه من ذلك[١]. ثم حدثت محاولات أخرى لإحياء المحاكم إلا أنها لم تنجح، وقد ألغيت نهائياً عام ١٨٣٥م بعد وفاة الملك فرناندو بسنتين[٢].

اللغة الخميادية

لاحظنا كيف بطشت البابوية الكاثوليكية وجلاوذتها من ملوك إسبانيا بالموريسكيين، وذلك عبر تجنيد العشرات بل المئات من القساوسة والرهبان والجلادين الكاثوليك، وعبر محاكم التفتيش التي اخترعت أساليب تعذيب لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، وكيف كان كل هؤلاء يلاحقون الموريسكيين، ويذيقونهم سوء العذاب لمجرد الشك أو الاشتباه بأن الموريسكي ما يزال مسلماً أو بأنه يحن إلى الإسلام وعادات المسلمين وتقاليدهم. ومن المعروف أن عشرات الآلاف بل الملايين من المسلمين تم طردهم من الأندلس بعد سقوط غرناطة، لكن كثيرين من المسلمين ظلوا في أراضيهم وممتلكاتهم؛ إذ فضلوا البقاء في الأندلس على الرحيل قسراً عنها، ولكنهم ظلوا في قبضة الجلاد الكاثوليكي الذي كان يعد عليهم أنفاسهم، وقد أجبرهم هذا الجلاد على التنصر، فتنصروا ولكن ظاهرياً، أما في السّر فقد ظل الموريسكي مسلماً يعيش حياة إسلامية كاملة، يصلي ويصوم ويتعبد ويمارس كل الشعائر الدينية الإسلامية.

لقد اعتمد الموريسكيون أو الغرباء، وهو الاسم الذي تطلقه عليهم المصادر التاريخية لأنهم كانوا غرباء في قيمهم ومعتقداتهم وعباداتهم وعاداتهم وتقاليدهم عن المجتمع النصراني الذي صاروا يعيشون فيه أقلية بعد أن كانوا غالبية هذا المجتمع، لقد اعتمد هؤلاء مبدأ التقية، ووجدوا في ذلك إنقاذاً لحياتهم، ودرءاً للأخطار التي تتهددهم، وظلوا مخلصين لدينهم الإسلامي، وتحملوا في سبيل ذلك شتى ألوان البطش وأشكال الاضطهاد والتنكيل على أيدي قضاة الإيمان الكاثوليكي، وجلاوذة محاكم التفتيش[٣].

واقتضى مبدأ التقية الذي اعتمده الموريسكيون أن تكون لهم لغة خاصة، لغة سرية يستخدمونها للتخاطب فيما بينهم، وللحفاظ على هويتهم ودينهم، وللتعبير عن آمالهم وآلامهم، ولتبليغ رسالة الإسلام السمحة ونشرها حيثما كان ذلك ممكناً[٤].

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٧٠.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٧٠-٢٧١.

(٣) حتاملة، الأندلس، ص٨٦٢.

(٤) المرجع نفسه، ص٨٦٢.

وقد سميت هذه اللغة التي ابتكرها الموريسكيون (اللغة الخميادية)، وتعرف في المصطلح الإسباني باسم (Aljamiadia) أي (المستعجمية). والخميادية هي خليط من اللغات الإسبانية والبرتغالية والقشتالية والأرغونية والقطلونية كتبت بحروف عربية.

وقد وجدت بعض النصوص الخميادية مكتوبة بحروف لاتينية أو عبرية. أما من يتكلم هذه اللغة فكان يطلق عليه اسم الخميادو (Aljamiado) اي المستعجم[١]. وكان ابتكار اللغة الخميادية ابتكاراً مفيداً بعد أن قام ممثلو البابوية بإحراق جميع الكتب والمخطوطات في مكتبة غرناطة التي يزيد عددها على المليون ونصف المليون كتاب[٢]. وكان الكاردينال فرانسيسكو خمنيس دي سيسنيروس، مطران طليطلة، قد طلب من الموريسكيين قبل عملية الحرق تقديم كل ما لديهم من مجلدات وكتب بحجة فحصها وإعادتها إليهم، ومن لم يفعل ذلك ثم ضبطت بحوزته أي وثيقة عرض نفسه لأشد العقوبات والتعذيب بما في ذلك الحرق بالنار[٣].

وأدى هذا الضغط على الموريسكيين إلى اتباع شتى السبل لإخفاء ما لديهم من كتب ومخطوطات، وقد تمكنوا من إخفاء العديد منها في جدران منازلهم وسقوفها، وفي رؤوس الجبال والكهوف والوديان، كما تمكنوا من حفظ كثير من هذا التراث في عقولهم وأذهانهم[٤].

وأصبح الموريسكيون يمارسون أمام النصارى الإسبان التعاليم المسيحية بصفتهم (مسيحيين جدداً)، حيث كانوا يترددون على الكنائس والأديرة، ويعقدون مراسيم الزواج في الكنائس...ولكنهم كانوا يمارسون سراً شعائرهم الدينية الإسلامية بكل تفاصيلها، ويؤلفون الكتب بلغتهم الخميادية[٥]، ذلك أن غالبيتهم كانت لا تعرف اللغة العربية، وذلك بسبب ما تعرضوا له من قمع واضطهاد، ولأنهم حوربوا في لغتهم، فقد كان مجرد الحديث بهذه اللغة يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون[٦].

---

(١) بالنثيا، آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ط١، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٥٠٧؛ بارنار، فانسون، لغة الموريسكيين، تطبيق الموريسكيين للشعائر الإسلامية (١٤٩٢-١٦٠٩)، ترجمه عن الفرنسية: عبد الجليل التميمي، زغوان، نوفمبر، ١٩٩١م، ص١٠٩؛ حتاملة، محمد عبده، التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين (١٤٧٤-١٥١٦)، عمان، الاردن، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٦٠.

(٢) حتاملة، التنصير القسري، ص٦٠؛ حتاملة، الأندلس، ص٨٦٣.

(٣) حتاملة، الأندلس، ص٨٦٣-٨٦٤.

(٤) المرجع نفسه، ص٨٦٥.

(٥) المرجع نفسه، ص٨٦٥-٨٦٦.

(٦) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص٥٠٧؛ حتاملة، الأندلس، ص٨٧٠.

وقد ألف الموريسكيون باللغة الخميادية في الفقه، والأدب، والشعر، والقصة، والسير، وغيرها، غير أن الفقه، أو الموضوعات الدينية، غلبت على معظم مؤلفاتهم، وقد شملت المعاملات والعبادات، والدنيا والآخرة، والروح والمادة. وقد اكتسب الأدب الخميادي قيمة وثائقية تاريخية ودينية واجتماعية وثقافية[١].

ويلاحظ أن الموريسكيين استطاعوا أن يدونوا باللغة الخميادية كل ما اعتقدوا بأهميته لكي يطلع عليه العامة ويفيدوا منه، مثل: القرآن الكريم، والسيرة النبوية، والمدائح النبوية والأدعية، وقصص الأنبياء، وكتب الفقه والحديث[٢].

المدجنون

لا يختلف المدجنون عن الموريسكيين كثيراً، فكلهم مسلمون، ويتمثل الفرق بين الفئتين في أمرين هما: أن الموريسكيين كانوا مسلمين باطناً أو سراً، ونصارى ظاهراً أو علانية، بينما ظل المدجنون على إسلامهم ظاهراً وباطناً. والأمر الثاني هو أن الموريسكيين ظهروا بعد سقوط غرناطة، أما فئة المدجنين فقد ظهرت قبل سقوطها، فهم المسلمون الذين كانت تسقط مدنهم في أيدي النصارى، ومع ذلك لا يغادرونها، وإن غادروها فإلى مدن أندلسية أخرى لم تسقط بعد، وخاصة غرناطة أو الأندلس الصغرى التي استمرت بعد سقوط ممالك الطوائف، وانتهاء دولة الموحدين في الأندلس. ويرى بعض الباحثين أن لا فرق بين الموريسكيين والمدجنين، فكلاهما تعرض للاضطهاد في إسبانيا النصرانية، وكلاهما استخدم اللغة الخميادية في التعامل والكتابة[٣].

وقد عرف حتاملة المدجنين (Los Mudejares) بأنهم المسلمون الذين ظلوا على دينهم بين الإسبان قبل سقوط غرناطة، وانتهى بهم الأمر إلى مصير الأندلسيين الموريسكيين نفسه[٤]، وخاصة أن بعضهم مثل الموريسكيين دخل النصرانية ظاهرياً لكي يبقى في دياره ووطنه، بينما رحل بعضهم الآخر إلى خارج إسبانيا[٥].

لقد بقي المدجنون في إسبانيا النصرانية لأسباب سنذكرها تالياً، على الرغم من أن بعض العلماء حثوهم على مغادرتها، والهجرة إلى بلاد المسلمين حفاظاً على دينهم، ومن هؤلاء

---

(١) حتاملة، الأندلس، ص٨٧١-٨٧٢.

(٢) حتاملة، الأندلس، ص٨٦٩.

(٣) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٥٣١- ٥٣٣.

(٤) حتاملة، الأندلس، ص٦٧٣ (الهامش رقم ٢).

(٥) المرجع نفسه، ص٦٨٩.

أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني الذي ألف كتاباً أو رسالة بعنوان: (أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر)[1].

وكان المدجنون عرضة للاضطهاد والتنكيل، ذلك أن حروب النصارى منذ عهد ملوك الطوائف لم تكن تستهدف إسقاط الكيان السياسي للمسلمين في الأندلس وحسب، وإنما كانت تستهدف إزالة وجودهم، ومحاربة عقيدتهم، وإفناءهم. ولذلك كانت بعض عناصر الجيوش النصرانية ترفض استسلام بعض المدن صلحاً، كما كانت حالما تدخل مدينة تحول مساجدها إلى كنائس، وتعمل على إزالة كل معلم إسلامي فيها[2].

أما أسباب بقاء أو إبقاء المدجنين في المدن التي احتلها النصارى قبل سقوط غرناطة، ومنعهم من اللجوء إلى غرناطة، فتتلخص بما يلي[3]:

١- لأن طرد المدجنين من إسبانيا النصرانية إلى مملكة غرناطة قد يجعلهم يكونون عنصراً جديداً يدعم غرناطة في حربها ضد النصارى. ولا يعني ذلك أن المدجنين كانوا يعاملون حيث هم معاملة حسنة، ويعيشون بحرية في أعمالهم وعباداتهم... وإنما كانوا يلقون الكثير من العنف والضغط والضرائب.

٢- كان المدجنون، مثل المسلمين الآخرين في الأندلس، يتمتعون بقدرات ومهارات وخبرات ومستوى ثقافي وحضاري، لا يتمتع بها النصارى، ولذلك فإن إخراجهم يحرم المجتمع النصراني من كل ذلك، وقد يعني توقف حياته وإقفارها، ولذلك كانت جماعات نصرانية كثيرة تطالب بالإبقاء عليهم في مدنهم وقراهم.

وساءت معاملة النصارى للمدجنين كثيراً بعد سقوط غرناطة، فقد صدر مرسوم يحرم عليهم وعلى نسائهم وأطفالهم أن يغتسلوا أو يستحموا، وقرر المرسوم أن تهدم جميع الحمامات العامة التي كانت منتشرة في أنحاء غرناطة[4]. ثم حرم عليهم حمل السلاح، وفرضت عليهم – دون غيرهم من الناس – ضرائب جديدة باهظة[5]. ثم انتهى أمرهم إلى ما انتهى إليه أمر الموريسكيين من تنصير قسري، وملاحقة من محاكم التفتيش التي ستبقى وصمة عار على جبين الكاثوليكية.

---

(١) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٥٣١.
(٢) المرجع نفسه، ص٥٣٢.
(٣) المرجع نفسه، ص٥٣٣-٥٣٤.
(٤) حتاملة، الأندلس، ص٦٧٣.
(٥) المرجع نفسه، ص٦٧٣.

الخاتمة

كانت شبه الجزيرة الأيبيرية قبل إقدام المسلمين على فتحها خاضعة لحكم القوط الذين تميزت فترة حكمهم بالقوة والعنف، وخاصة أنهم اغتصبوا البلاد من الوندال الذين حكموها قبلهم، واعتنقوا الديانة النصرانية على المذهب الأريوسي بينما كانت رعيتهم تدين بها، ولكن على المذهب الكاثوليكي. وعلى الرغم من تحول ملوك القوط إلى هذا المذهب الأخير، إلا أن الأحوال في شبه الجزيرة ظلت مضطربة اضطراباً شديداً وذلك لثلاثة أسباب: أولها اختلاف المذهب الديني الذي امتدت آثاره ونتائجه حتى بعد توحده. وثانيها طبقية المجتمع، حيث كان مكوناً من عدة طبقات تستأثر العليا منها بالسلطة والخيرات على حساب الطبقات الدنيا المضطهدة. وثالثها: الصراع المستميت على العرش، وخاصة في عهد الملك غيطشة، والملك لذريق آخر ملوكهم، وما رافق ذلك من دسائس ومؤامرات دبر بعضها اليهود للخلاص من الحكم القوطي، والتحرر من اضطهاده.

وقد يسّرت الأوضاع السائدة في شبه الجزيرة الأيبيرية قبيل الفتح الإسلامي عملية الفتح ومن ثم انتشار الإسلام بسرعة، فقد توجه المسلمون إليها بدافع نشر الإسلام في ربوعها، وتحريرها مما هي فيه، وقد تمكنوا من ذلك؛ إذ قضوا على العبودية التي كانت طبقة الأسرة الحاكمة والنبلاء تمارسها ضد الطبقات الدنيا واليهود، كما قضت على سلطة الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تتدخل في كل صغيرة وكبيرة عبر رجالها الذين تمتعوا بسلطات لا حدود لها. وكان نشر الإسلام بالحكمة والموعظة والقدوة الحسنة، وتوظيف الدعاة المتميزين لهذه الغاية، ما جعل أهل البلاد يقارنون بين الحكم الإسلامي، وحكم السابقين عليه، فيرون الفرق الشاسع بين الحكمين، وهو ما جعلهم يقبلون على الإسلام رغبة فيه دونما إكراه أو إجبار. وقد عزز ذلك ما وجدوه من معاملة حسنة، حيث ترك المسلمون للنصارى الذين ظلوا على دينهم كنائسهم ورهبانهم، وتركوا لهم الحرية التامة في ممارسة شعائرهم .

وقد ظلت دولة الإسلام في الأندلس قوية مرهوبة الجانب إلى أن بدأ الضعف يدب في أوصالها بسبب العصبية القبلية، حيث دبت خلافات بين القيسية واليمنية، وبين العرب والبربر. وبمرور الزمن ظهرت أجيال من المولدين الذين شعروا بأنهم هم أصحاب البلاد، وأنهم أحق بخيراتها وسلطانها، فأشعلوا الثورات التي تلاحقت في عهد الإمارة الأموية واستمرت زمناً طويلاً، مما شتت قوى الدولة الإسلامية في الأندلس، وجعلها تتراجع وتخسر بعض ممتلكاتها في شمالي البلاد.

وقد ازدادت الدولة الإسلامية ضعفاً في أواخر عهد الدولة الأموية في الأندلس بسبب الصراع على السلطة، ذلك الصراع الذي ما لبث أن أدى إلى انهيار الدولة وتمزقها إلى دويلات وإمارات صغيرة كانت تقتتل فيما بينها، ويستنجد بعضها بالنصارى ضد بعضها الآخر، وقد كانت فترة مظلمة في التاريخ الإسلامي في الأندلس، حيث كان بعض ملوك الطوائف يدفعون الجزية للنصارى، ويتنازل بعضهم عن العديد من قلاعه وحصونه ومدنه للنصارى ثمناً لعونهم ضد إخوانه المسلمين.

وأدت الأوضاع بالغة السوء في أواخر عهد ملوك الطوائف، وتغلغل النصارى في أراضي الدولة الإسلامية في الأندلس إلى دخول المرابطين إليها، والاستيلاء على ممالكها، وجعلها ولاية مرابطية، ومقارعة النصارى وتحقيق كثير من الانتصارات عليهم، غير أن دولة المرابطين حدثت فيها أوضاع تطورت بمرور الزمن، وأخذت تنخر جسم الدولة حتى انهارت، وخلفتها دولة الموحدين التي انتهجت الطريق نفسها، حيث دخلت الأندلس للجهاد ضد النصارى، وحققت عليهم انتصارات كبيرة، غير أن النصارى ألحقوا بها – بعد أن ضعفت – هزيمة كبرى في معركة العقاب.

وقد استولى النصارى بعد معركة العقاب على معظم المدن الإسلامية، ودحروا المسلمين نحو الجنوب، وحصروهم في بقعة صغيرة تشتمل على ثلاث مدن رئيسية هي مالقة، وألمرية، وغرناطة. وقد تمكن المسلمون من إنشاء دولة في هذه البقعة هي مملكة غرناطة، التي أنشأها بنو الأحمر، وجعلوا منها بقعة مضيئة استقطبت المسلمين من أنحاء المدن التي سقطت في أيدي النصارى، وظلت تقارعهم نحو قرنين ونصف القرن من الزمان.

وقد كانت مملكة غرناطة في بداية عهدها دولة مزدهرة صامدة في وجه الحقد النصراني الذي كانت تغذيه البابوية عبر الكنيسة الكاثوليكية باستمرار، غير أن الصراع على السلطة أضعف هذه الدولة، فأخذت تتهاوى عندما أصبح ورثة العرش يقتل بعضهم بعضاً، أو يتآمرون ضد بعضهم، ويطلبون عون أعدائهم الذين كانوا يستغلون كل ذلك من أجل إضعافهم أكثر فأكثر، إلى أن اضطروهم إلى تسليم غرناطة.

واستأسد النصارى بعد تسليم غرناطة على المسلمين الذين أصبحوا ضعافاً لا حول لهم ولا قوة، وأخذوا يتحكمون بهم تحكم المتسلط المستبد لإجبارهم على الرحيل عن هذه البلاد التي عمروها نحو ثمانية قرون، وسلكوا من أجل ذلك كل السبل، فرحل كثيرون منهم، ولكن بقي كثيرون أيضاً ممن عز عليه فراق وطن لم يعرف غيره، وممتلكات لا يملك غيرها. وقد اضطر هؤلاء إلى التنصر ظاهرياً، ولكنهم ظلوا يعبدون ربهم، ويمارسون شعائرهم

الإسلامية في السر. وقد أنشأت الكنيسة الكاثوليكية محاكم كان رجالها من القساوسة والرهبان شديدي التعصب للكاثوليكية لملاحقة هؤلاء، من أجل التأكد بما لا يدع أي مجال للشك في أنهم نصارى، ولذلك كانت تراقبهم، وتعد عليهم حتى أنفاسهم، فإذا ما وجدت أحداً يتنفس نفساً غير كاثوليكي ألقى جلاوذة تلك المحاكم القبض عليه، ورموه في سجن لا يحيط أي وصف بأوضاعه السيئة، إلى أن تحين محاكمته في محاكم التفتيش، تلك المحاكم التي كانت تتبع في معظم الحالات مبدأ: المتهم مدان حتى وإن ثبتت براءته، ثم تسلمه إلى الجلادين ليذيقوه صنوف العذاب، فإن مات تحت التعذيب، فإن ذلك يكون من حظه الحسن، لأنه إن لم يمت سيكون وقوداً لزيادة اشتعال نار ملتهبة.

وهكذا يلاحظ أن المسلمين أحسنوا للنصارى طوال عهودهم في الأندلس، فلم يجبروا أحداً على الإسلام، ولم يهدموا كنيسة أو بيعة، ولم يحولوا كنيسة إلى مسجد إلا إذا كانت مهجورة. أما النصارى فكانوا كلما احتلوا مدينة حولوا مساجدها إلى كنائس، وعندما أصبحت الغلبة لهم قهروا المسلمين، وعذبوهم، وطردوهم أو أجبروهم على التنصر، إلا أنهم مع كل ذلك لم يتمكنوا من إطفاء جذوة الإسلام في الأندلس، بل ظلت مضيئة زمناً طويلاً، وابتكر المسلمون لذلك الوسائل، ومنها اللغة الخمياديّة التي تخاطبوا بها، ودونوا بها كتبهم ومعاملاتهم وتراثهم.

المصادر والمراجع

أولاً – المصادر

ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي:

الحلة السيراء، حققه وعلق على حواشيه حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.

ابن أبي زرع، أبو الحسن علي الفاسي:

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، ١٩٧٣.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن:

الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٥.

الإدريسي، الشريف أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز:

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق شيرولي وآخرون، نابولي: بروستاد أبود. ج. بريل، نوجدوني باتا فورم، ١٩٧٥م.

الإصطخري، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي:

المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٨١هـ.

البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن عمرو:

جغرافية الأندلس وأوروبا (من كتاب المسالك والممالك)، تحقيق عبدالرحمن الحجي، دار الإرشاد للطباعة والتوزيع، ط١، بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م.

ابن حبيب، عبدالملك:

كتاب التأريخ، دراسة وتحقيق خوري أغوادي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩١م.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي:

جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٢م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله يا قوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي:

معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم:

- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي:

كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت .

ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حيان:

المقتبس من أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبدالرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله السلماني:

- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار مكشوف، بيروت، لبنان، آذار ١٩٥٦م.
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه ونشره محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧هـ.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٥م.
- كناسة الدكان، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد المغربي:

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٨.

الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم:

تاريخ إفريقية والمغرب، نشر رفيق السقطي، تونس

ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى:

المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.

ابن عاصم الغرناطي، أبو يحيى محمد:

جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق صلاح جرار، عمان، ١٩٨٩م.

ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله:

فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤م.

ابن العبري، غريغوريوس الملطي،

تاريخ مختصر الدول، بيروت، د.ت.

ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي:

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط٣، بيروت، ١٩٨٣.

الغساني، محمد بن عبدالوهاب:

رحلة الوزير في افتكاك الأسير، نشر ألفريد البستاني، مدريد، تطوان، ١٩٣٩م.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي جمال الدين محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة:

تقويم البلدان، طبع في مدينة باريس المحروسة بدار الطباعة السلطانية، سنة ١٨٤٠ مسيحية.

ابن قتيبة:

الإمامة والسياسة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي:

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي:

تاريخ افتتاح الأندلس، نشر خوليان، ريبيرا، مدريد، ١٩٢٦م، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨م.

ابن الكردبوس، أبو مروان عبدالملك:

تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.

مجهول:

أخبار مجموعة، ترجمه إلى الإسبانية ونشره لافوينتي القنطرة، مدريد، ١٨٦٧م.

مجهول:

الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ط١، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر

زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩.

المراكشي، عبدالواحد بن علي:

المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

المقري، الشيخ أحمد بن محمد:

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٨.

الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد:

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب:

نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسين نصار، المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٨٣.

ثانياً – المراجع

بارنار، فانسون:

لغة الموريسكيين، تطبيق الموريسكيين للشعائر الإسلامية (١٤٩٢-١٦٠٩)، ترجمه عن الفرنسية: عبدالجليل التميمي، زغوان، نوفمبر، ١٩٩١.

بالنثيا، آنخل جنثالث:

تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مونس، ط١، القاهرة ١٩٥٥م.

بدر، أحمد:

دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، ط٢، دمشق، ١٩٧٢م

بشتاوي، عادل سعيد:

- الأندلسيون المواركة، دراسات في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، ط٢، دمشق، ١٩٨٥م
- الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ ١٠٠ عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠م.

جمال الدين، عبدالله محمد:

المسلمون المنصرون أو الموريسكيون الأندلسيون، صفحة مهملة من تاريخ المسلمين في الأندلس.

حاطوم، نورالدين، ونبيه عاقل، وأحمد طربين، وصلاح مدني:

موجز تاريخ الحضارة، حضارات العصور القديمة، دمشق، ١٩٦٤.

حتاملة، محمد عبده:

- أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، ط١، عمان، ١٩٩٦م.
- الأندلس،التاريخ والحضارة والمحنة،دراسة شاملة، مطابع الدستور الاردنية، عمان،الأردن،١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- موسوعة الديار الأندلسية، ط١، عمان، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ملامح حضارية في الأندلس، بحوث ودراسات مهداة إلى الأستاذ الدكتور عبد الكريم غرايبة بمناسبة بلوغه الخامسة والستين، تحرير ناظم كلاس، عمان، ١٩٨٩م.
- التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين (١٤٧٤-١٥١٦م)، عمان، الأردن، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

الحجي، عبدالرحمن علي:
التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط٣، دار القلم، دمشق، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
سالم، السيد عبدالعزيز:
تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
السامرائي، خليل إبراهيم، وعبد الواحد ذنون طه، وناطق صالح مطلوب:
تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
الشدادي، عبد الخالق:
سقوط غرناطة ومصير الأندلسيين، مجلة المنعطف، ع ٦ / ٧؛ ١٩٩٣.
صفر، أحمد:
مدنية المغرب العربي في التاريخ، دار النشر بوسلامة، تونس، ١٩٥٩م.
ضيا باشا:
الأندلس الذاهبة، تعريب عبدالرحمن رشيدات، عمان، ١٩٨٩م.
طه، عبد الواحد ذنون:
- دراسات في التاريخ الأندلس، ط١، ١٩٨٧م.
- الفتح والاستقرار العربي في شمالي إفريقية والأندلس، بغداد، ١٩٨٢.
عاشور، سعيد:
أوروبا العصور الوسطى، ج١، التاريخ السياسي، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤.
العبادي، أحمد مختار:
في تاريخ المغرب والأندلس، الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعة.
ابن عبود، محمد:
التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، تطوان، ١٩٨٣.
عنان، محمد عبدالله:
- دول الطوائف، القاهرة، ١٩٦٩م.
- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة، ١٣٨٣-١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

http://al-maktabeh.com

- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط٢، القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

المجالي، سحر عبد المجيد مناور:

تطور الجيش العربي في الأندلس ١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٦-١٠٣١م، عمان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

مؤنس، حسين:

- معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط١، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠.
- فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م)، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م.

- *ALTAMIRA Y CREVEA* (R.),
Historia de España y de la civilización española, Barcelona,1990,vol. I.
«Les etudes sur les morisques en Espagne a la lumiere des travaux recents», Revue des Etudes Islamiques, 1967.
- *Aguado Bleye, Pedro:* Manual de Historia de España, Tomo II Reyes Catolicos- Casa de Austria (1474-1700) Madrid 1969.
Manual de Historia de España, Madrid,1963, t. I.
- Compendio de Historia de España.Tomo II, Madrid 1931.
- *Alvarez vazquez Alfonso:* Notas sobre la población morisca de Aragón afines del siglo XVI. (Estudios. Zaragoza 1. 976).
- *ANTONIO CONDE.JOSE:* "Historia de la dominación de los arabes en España. Sacada de varios Manuscritos y Memorias arābigas »,3 vols. Madrid,1820.
- *Aranda Doncel,* Juan, «Potencial económico de la población morisca en Granada «, Boletín de la Real Academia de Ciencias Bellas Letras y Nobles Artes de Cordoba, 92,1972.
- *Arie, Rachel,* «Acerca del traje musulmán en España desde la caida de Granada hasta la expulsión de los moriscos», Revista del Instituto de Estudios Islamicos,13, 1965.
- *Aznar,* Jerónico : Expulsión justificada de los moriscos españoles, Imprenta de Pedro Cabarte, Zaragoza,1612.
- *Azorin:* «Los moriscos", Clásicos y modernos, Madrid, 1913.
- *Baez, Hernano:* de Las Cosas que pasaron entre los reyes de Granada, apud ed Muller Munich, 1863.
- *BALLESTEROS Y BERETTA* (A.),Historia de España y su influencia universal, Barcelona, 1920,t.II.
- *Bataller, Adela:*" La expulsión de los moriscos: su repercusión en la propiedad y la población en la zona de riegos del Verniso", Saitabi, X, Valencia, 1960.
- *Bermudez de Pedraza,* Francisco, Antigüedad y excelenias de Granada,Madrid,1608.
- *Bernaldez,Andrés:* Historia de los Reyes Católicos escrita por el bachiller que fue cura de la villa de los Palacios y capellán de D. Diego de Deza, arzobispo de Sevilla, Biblioteca de autores Españoles.t. LXX,Vol.III, Madrid, 1953.

- *Biarnes I. Biarnes,* Carmen: Moros i moriscos en la Ribera d'Ebre (710-1615).
- *Bleda, Jaime:* Corónica de los moros de España, Valencia, 1618.
- *Boronat Y Barrachina:* Los moriscos españoles y su expulsión, Valencia, 1901, 2. vols.
- *Cardaillac, Denise:* La polemique anti- chretienne du manuscrit N. 4944 de La Bibliothéque Nationale de Madrid, tesis, Montpellier, 1972.
- *Cardaillac, Louis:* Le passage des morisques en Languedoc, tesis doctoral de tercer ciclo, Montpellier, 1970.
- *Caro Baroja, Julio,* Los moriscos del reino de Granada. Ensayo de historia social, Madrid, 1957,2." Ed., Madrid, Istmo, 1976.
- *Castillo, Alvaro,*" La España morisca",Hispania, XX 1960.
- *Castro, Américo:* España en su Historia: Cristianos, Moros y Judios, Buenos Aires 1948.
- *Chateaubriand,* Francois René: de Les aventures du dernier Abencerage, Paris 1926.
- *Chaunu, Pierre,* «Minorités et conjuncture. L'expulsion des morisques en 1609", Revue Historique, CCXXV, 1961.
- *Circout, Albert de:* Historie des maures mudejares et des árabes d'Espagne sous la domination des chretiens, Paris, 1845-1848, 3 vol.
- *Colonge, Chantal:* «Reflet littéraire de la question morisque entre la guerre des Alpujarras et L'expulsión (1571-1610)", Bolt, Real Academia Buenas Letras de Barcelona, XXXIII, 1969-70.
- *Comellas José Luis:* Historia de España Moderna Y contemporánea, sexta edición Madrid 1978.
- *Contreras, Refael:* «Nuevos datos sobre la Guerra de expulsión de los moros", Revista de España, LXVIII, 1879.
- *Corral Y. Rojas, Antonio De:* Relación de la rebelión y expulsion de los moriscos del reyno de Valladolid, 1613.
- *Correspondencia... de Felipe* II y de otros personajes con don Juan de Austria desde 1568 sobre La guerra contra los moriscos de Granada,Codoin, XXVIII, Madrid, 1856.
- *Credilla, C.P.,* «Ceremonias de moros que hacen los moriscos», RABM,1874.Granada, 1882.Imp. De ((El Defensor)), de Granada. Matriti, 1760-1770.

- *Dánvila (A), Felipe* II y La Sucesión de Portugal, Madrid, 1956.
- *Dánvila Collado* (Manuel) : EI poder civil en España, memoria premiada por La Real Acamedia de ciencias Morales Y Politicas. Tomo II. Madrid, 1885.
- La expulsión de los moriscos españoles, Madrid, 1889.
- *Diaz Carmona, Francisco:* compendio de Historia de España, Barcelona, 1911.
- *Diaz-Plaja, (Fernándo)* La historia de Espana en sus documentons, Barcelona 1971.
- *Domínguez Ortíz (Antonio)* Y Vincent (Bernand) Historia de los Moriscos, Vida Y tragedia de una minoria,Madrid 1978.
- « Los crisianos nuevos, Notas para el estudio de una clase social", Bol. Univ. De Granada, XXI,1949.
- *Dosy (R.P.A), Spanish* Islam, Eng. Tr. (from: Histoire des Musulmans d" Espagne) by F.G. Stokes, London, 1913.
- *Dressendoerfer, Peter:* Islam unter der Inquisition. Die moriscos Prozesse in Toledo, 1575-1610, Wiesbaden, 1971.
- *Epalza (M.de)*
- *Expulsión Justificada* de los moriscos españolas y suma de la excelencias christianas de nuestro rey don felipe el Catolico tercero desde nombre, Huesca, 1612,2 parties.
  Moriscos et Andalous en tunisie au XVII* siecle, in Etudes sur les moriscos andalous, en Tunisie, Madrid, 1973,pp.150-186.
- *F. Braudel,* EI Mediterráneo y el mundo mediterraneo en La epoca de Felipe II, 2 Vols. México, 1953.
- *Fandi (L.P.) Felipe* II. Bosquejo de una vida y de una epoca. 2 ed., Madrid, 1942.
- *Fernández Alvarez* (M) Très embajadores de Felipe II en Inglaterra, Madrid 1951.
- Felipe II. Semblanze del rey prudente,Madrid 1956.
- *Fernández Guerra,* Aureliano : Reflexiones sobre la rebelión de los moriscos y censo de población, Granada, 1840.
- *Fernández Neiva Julio:* Un censo de moriscos extremeños de la inquisicion de Lierena (año (1.594). Revista de Estudios extremeños XXIX (1973).
- El enfrentamiento entre Moriscos y cristianos viejos. El caso de

Hornachos en Extrem adura, in les morisques et leur temps, Paris,1983,pp.269-295. La Inquisición y los moriscos Extremeños (1585-1610), Badajoz,1979. Un pleito entre El lic cuenca y los moriscos de Hornachos en Extremadura,1607-1609. in Actes du II symposieum international du C.I.E.M., Juin,1984,2 :213-236.

- *Fernández Y Fernández* de Retana, P. Luis : España en tiempo de Felipe II, en ''Historia de España"dirigida por Ramón Menendez Pidal, T. XIX. Vol. II, Madrid.
- *Fernández Y González,* Manuel: Los monfies de las Alpujarras, Madrid, 1856.
- *Foradada José:* La insurrección de los moriscos de las Alpujarras y el Marqués de Mondéjar", Rev. Contemporánea, XXX, 1880.
- *Garcia Arenal (M.)* Los Andalusies En El Ejército Saádi : un intento de Golpe de Estado contre AHMED AL- Mansúr, in la revistu Al-Quantara, Vol. V, Fasc. 1 y 2, Madrid,1984,pp. 169-202.

Los moriscos,Madrid,1975.Los moriscos del campo de caltrava despues de 1610, Según Algunos Procesos inquisitoriales, in Cahiers de Tunisie, Tunis, 1978,pp.173-196.

- *Garcia Martinez.* Bandolerismo, pirateria y control de los moriscos de Valencia durante el reinado de Felipe II. " Estudis" 1.872.
- *González Palencia Angel-* Moros y cristianos en La España medieval, Madrid, 1945. -» Cervantes y los moriscos", BRAE, XXVII, 1947- 1948.
- *Guillén Robles,* F.: Leyendas moriscas sacadas de varios manuscritos existentes en Las bibliotecas Nacional, Real y de P. Gayangos, Madrid, 1885-1886.

«La Inquisición y los moriscos granadinos", Bulletin Hispanigue, LXVII, 12, 1965.

- *Gachard, Biograohie* nationales de belgique Tomo III, Bruselas, 1872, Col 656.
- *Gallego Burin,* Antonio, y Gámir Sandoval, Alfonso, Los moriscos del reino de Granada segun el sinodo de Guadix de 1554, edición preparada por Dario Cabanelas, Granada,1968.
- *Gallego Y Burin,* Antonio: Granada, Guia artisitica e histórica de la ciudad, 2. ed. Madrid, 1961.

- *Garcia Arenal*. Mercedes: Los Moriscos,Madrid,1975. Inquisición Y moriscos, Los procesos del Tribunal de Cuenca, Madrid1. 978.
- *Garica Gómez,* Emilio sobre Los epitáfios de dos Caballeros abencerrajes en La revista Al-Andalus, Vol. VII, Madrid-Granada, 1947.
- *Garrad K;* The original memorial of don Francisco Nuñez Muley. Atlante II no 4 Octuber (1.954).
- *Garrido Atienza,* Miguel, «Los moriscos granadinos. Agüeros, hechizos, encantamientos y otoros maleficos", La Alhambra, II, 1899. Las capitulaciones para la entrega de Granada, Granada, 1910.
- *Gomez Ranera*. Alejandro: Compendio de La historia de España, Desde su origen hasta el fin del Reinado de Doña Isabel II Y Año De 1868, Novena Edición, Madrid 1875.
- *GONZALEZ PALENCIA* (A.), Historia de la Espana Musulmana (col.Labor), Barcelone, 1932.
- *Gonzalez, Tomás:* Censo de población de las provincias y partidos de la Corona de Castilla en el siglo XVI. Madrid. 1.829.
- *Guadalajara Y Javier,* Marcos: Memorable expulsión y justisimo destierro de los Moriscos de España, Pamplona,1613.- ; Prodición y destierro de los moriscos de Castilla hasta el valle de Ricote. Con las disensiones de los hermanos Xarifes y presa en Berberia de la fuerca y puerto de Alarache, Imp. Nicolas de Assíayn, Pamplona,1614.
- *Haperin Dongui, Tulio:*" Un conflicto nacional: y cristianos viejos en Valencia", Cuadernos de H. de España, Buenos Aires, XXIII, XXIV, 1955, y XXV-XXVI, 1957. - ;" Recouvrements de civilisation: les morisques de royaume de Valence au XVIeme siecle", Annales ESC., XI,N." 2, 1956.
- *Historia del Alzamiento* de Los Moriscos, Su Espulsión de España Y Sus Consecuencias en todas Las provincias del reino.
- *Hitos, Francisco:* Mártires de La Alpujarra en La rebelión de los moriscos, 1568, Madrid, 1935.
- *Hurtado De Mandoza,* Diego: Guerra de Granada hecha por el rey de España don Felipe II contra los moriscos de aquel reino sus rebeldes,Biblioteca de Autores Españoles (B.A.E.), Historiadores de sucesos Particulares, I, Madrid, 1946. - ;" De la guerra de

Granada", ed. critica de Manuel Gomez Moreno,memorial historico Espanol, LXIX, Madrid,1948.- ;" Guerra de Granada, ed. B. Blanco- González,Madrid, castalia, 1970.
Guerra de Granada, Bibl. Popular Cervantes, numeros 62 y 63, Madrid 1929.
Guerra de Granada, Edición, introducción y notas de Bernardo Blanco Gonzalez.Madrid 1970.

- *HEEC. = F.J. PEREZ* DE URBEL, Historia de Espana,vol . VI, Espana Cristiana, ed. R. Menendez Pidal, Madrid,1956.
- *HEEM.= E. LEVI-PROVENCAL,* Historia de Espana, vol. IV, Espana Musulmana and vol. V, Espana Musulmana Institutuciones y vida social y intellectual, tr. E. Garcia Gomez, Madrid,157.
- *HEM.= A. GONZALEZ* PALENCIA, Historia de la Espana Musulmana (col. Labor), Barcelona,1932.
- *Historia de los moriscos,* vida y tragedia de una minoria, Madrid, 1978.
- *Historia eclesiástica* de la ciudad de Granada,Granada, 1638.
- *Hurtado de Mendoza (D.)* Guerra de Granada hecha por el rey de España don Felipe II contra los moriscos de aquel reino sus rebeldes,Madrid,1946.
- *Ibarra, Eduardo,*" Cristianos y moros .Documentos aragoneses y navarros," Homenaje a Codera ;Zaragoza, 1904.
- *Iglesias Josep.Pere Gil,* S.I.; La seva Geografia de Cataluñya Barcelona.1.949.
- *Janer, Florencio,* Condicion social de los moriscos en Esapaña causas de su expulsión y consecuencias que ésta produjo en el orden politico y económico, Madrid, 1857.
- *Kamen, Henry,* La Inquisicion española,Barcelona,1967.
The Spanish Inquisiión, Londres,1965 ; La Inquisicion española, trad., Madrid, 1973.
Histoira de l'Inquisition espagnole,Paris, 1966.
- *LAFUENTE (MODESTO),* Historia General de Espana , Madrid, 1850, vol. III.
- *Lafuente Alcantara,* Miguel: Historia de Granada,Comprendiendo la de sus cuatro provincias, Almeria, Jaén,Granada Y Málage, desde remotes tiempos hasta nuestros dias. Granada,1843.

- *LAFUENTE ALCANTARA. MIGUEL:* «Historia de Granada, comprendiendo las de sus cuatro provincias, Almeria, Jaén, Granada y Malaga,desde remotos tiempos hasta nuestros dias». 3 vols. Granada, 1844.
- *LAFUENTE ALCANTARA. MIGUEL:* »Historia de Granada», 3 vols.Granada,1843.
- *LAFUENTE ALCANTARA. MIGUEL:*"Historia de Granada", 3 tomos. Granada,1845.
- *LAFUENTE ALCANTARA,MODESTO*: «Historia general de España desde los tiempos primitivos hasta la muerete de FernandoVII ». Barcelona, 1877.
- *Lapeyre, H. Simon* Ruiz et Les asientos de Philippe II Paris, 1957.
- *Lapeyre*,Henri,Geographie de l'Espagne morisque,Paris,1959,Le Flem,Jean Paul, «Les morisques du Nord-Ouest de I'Espagne en 1594,d'apres un recensement de L'Inquisition de Valladolid», Mélanges de la Casa de Velázquez,I 1967.-; «Un censo de moriscos en Segovia y su provincia»,Estudios segovianos,XVI,1964.
- *Lea,* Henry Charles,The moriscos of Spain; their conversion,Nueva York,1968(1.ed.,londres,1901). -; A History of the Inquisition of Spain, Nueva York- Londres, 1907).-;» The decadence of Spain», Atlantic Monthly,LXXXII.
  Longás,Pedro,Vida religosa de los moriscos, Madrid,1915.
  «Un document sobre los mudejares de Nuez (Zaragoza)en el siglo XV», Al - Andalus, XXVIII,1963.
- *Llorente, Juan Antonio,* Historia critica de la Inquisición de España, Barcelona,1835.
- López Estrada, Francisco:El abencerraje y La Hermosa Jarifa, Madrid 1957.
- El abencerraje de Toledo,1561, Sevilla,1959.
- *López Mata,* Teofilo: ' Burgos en la sublevación de los moriscos de Granada en 1570',BRAH, CXLI,1957.
- *Ladero Quesada* Miguel Angel Granada, Historia de un pais islamico (1232-1571) Madrid,1969.
- *Ladero Quesada:* Los mudéjares de Castilla en tiempo de Isabel I. Valladolid,1969.-

- *Levi-Provencal,* E.: «Moriscos», art.en Encylopédie de L'Islam, Laydén, Paris,1936.
- *LANE- POOLE* (S.), The Moors in Spain, London,1897.
- *Lapeyre (H.)* Geographie de I' Espagne morisque, Paris, 1959.
- *Le Passage des morisques* en Languedoc, thèse inédite,Montpel lier,1970.
- *LEVI- PROVENCAL* (E.), L'Espana musulmane au Xe siecle, institutions et vie sociale, Paris, 1932.
- *LEVI-PROVENCAL* (E.), Historie de l'Espagne musulmane, Paris,1950-1953,3vols,Esp. Tr.E.Garcia Gomez, Historia de Espana, vols. IV, V,Espana Musulmana, Madrid,1957. See abbr. HEEM.
- *Los moriscos del reino* de Granada, Madrid,1976.
- *MARINA, EL PADRE:*»Historia de España». 2 tomos.Imp.Ibarra. Madrid,1780.
- *MARMOL CARVAJAL, LUIS DEL:* «Historia de la rebelión y castigo de los moriscos del reino de Granada». (En folio).Málaga, 1600.
- *Marqués De Lozoya:* Lo Moriscos en America»,Archivo Instituto de Estudios Africanos, tomo 14,N. 50,1960.
- *March,José M.:*" Sobre la conversión de los moros del reino de Granada. Nuevo documento", Razón y Fé, 79 Madrid, 1927.

  Níñez. Y Juventud de Felipe II Madrid,1941.
- *Marmol Carvajal (Luis de)* Historia del rebelion y Gastigo de los moriscos del reino de Granada,Madrid,1946.

  Historia de la rebelión y castigo de los moriscos del reino de Granada,Bibl. de Autores Españoles,XXI,Vol.I de Historiadores de sucesos particulares, Madrid, 1946(ed.original :Impr.Sancha), Madrid,1797).

  « Historia de la rebelion y castigo de los moriscos del reino deGranada «.2 tomos. Madrid, 1797.

  Historia del rebelión y castigo de los moriscos del reino de Granada Madrid,1797, reed. Biblioteca de Autores Españoles,X XI,Madrid,1946.
- *Marqués De Lozoya:* «Lo Moriscos en America», Archivo Instituto de Estudios Africanos, tomo 14,N. 50,1960.

- *Martin Ruiz.* Felipe: Movimientos demograficos y económicos en el Reino de Granada durante la segunda mitad del siglo XVI. Anuario de Historia Económica y Social I (1.968).
- *MARTINEZ DE LA ROSA, FRANCISCO:* «Doña Isabel de Solis, Reina de Granada .Noveia Historica». Madrid, 1839.
  Aben Humeya o La Rebelion de los moriscos. Drama historico». Imprenta de Julio Didot. Calle del Puente de Lodi, núm.6.Paris, 1830.
- *Martinez Ruiz,* Juan, Inventarios de los bienes moriscos del reino de Granada (siglo XVI), Madrid,1972.
- *Menéndez de* Vasconcelos :Liga deshecha por la expulsión de los Reinos de España, Madrid,1612.
- *Menéndez Y Pelayo* Marcelino: Historia de los heterodoxos españoles. 2ª edición. Tomo V. Madrid 1.928.
  Historia de España,Madrid 1941.
- *Mestre,Antonio;*" Estudio de la demografia de oliva a traves de los Archivos parroquiales después de la expulsión de los moriscos", Estudis I,1972-72.
- *MONES (H.), Fajr* al –Andalus (Eng.tit.The Dawn of al-andalus), Cairo,1959.
- *Morisques en Provence,* in Etudes sur les morisques andalous en Tunisie, Madrid,1973,pp. 89-103.
- *Morisques et Chrétiens,* un Affrontement polémique(1492-1640),Paris 1977.
- *Morón,Ciriaco:*" Una visión inédita de la expulsión de los moriscos" Salmanticensis,VI,1959.
- *Muñoz Y Gaviria,* J. : '' Historia del alzamiento de los moriscos, su expulsión de España y sus consecuencia en todas las provincias del Reino, Madrid,1861.
- *Navarro Del Castillo, V.*: «EI problema de la rebellión de los moriscos granadinos y sus repercusiones en Extremadura, principalmente en La comarca emeritense (1570-1609)»Rev. de Estudios Extremeños, XXV111,1972.
- *Origenes de la inquisición Española. Ee* Tribunal de Valencia (1478-1538) Barcelona,1976.
- *Oriol Catena,F.:*" La repoblación del reino de Granada después de

la expulsión de los moriscos", Bol. Univ. De Granada,VII,1935.
PEREZ DE HITA, GINES :
"Guerras civiles de Granada". Reproducción de la edicion principe del año 1595. Publicada por Paula BLANCHARD DEMOUGE. Madrid, 1913.
PEREZ DE URBEL (F.J.), Historia de Espana, vol. VI, Espana Cristiana,ed. R. Menendez Pidal, Madrid ,1956.
PHMS. = S.M. IMAMUDDIN, A Political History of Muslim Spain, Dacca, 1961.
Regla, Joan," La cuestión morisca y la coyuntura internacional en tiempos de Felipe II",Estudios de Historia Moderna, III,1953.
Ribera, Juan De:Instancias para la expulsión de los moriscos, Barcelona 1612.
Regla (Juau) Estudios sobre los moriscos, Barcelona, 1974.
Estudios sobre los moriscos.Barcelona,3a edicion,1,947.
Los moriscos: estado de la cuestión y nuveas aportaciones documentales. - Revista SAITABI,Universidad de Valencia. No.X(1.960).
Ribera. Julian," Supersticiones moriscos », Disertaciones y opusculos, I, Madrid, 1928.
RIOS (J.AMADOR DE LOS), Historia social, politica y religiosa de los judios de Espana y Portugal, Madrid,1960.
- *Rodriguez Rivero,* Adolfo :«Un documento relativo al alzamiento de los moriscos,1570 »,Mauritania,182,1943.
- *Rojas,J.L.:* Relaciones de algunos sucesos celebres,nuevos y postreros de Berberia y salida de los moros de España, Lisboa,1613.

ROMY (L.G.R.G.O.), Histoire d' Espagne, Paris,1849.
- *Rubio,Felipe* II de España, Rey de Portugal, Santander,1939.
Ruiz Almansa: La población de España en el siglo XVI. Revista. Internacional de Sociologia III (1.943).
Sabbagh, Leilu: La religión des Morisques entre deux Fatwas, in Les morisques et leurs temps, Paris,1983,pp.45-56.
SECO DE LUCENA, LUIS: En su articulo « la Sultana madre de Boabdil». AL- Andalus.Volumen XII. 1947.
Seco de Lucena Paredes, Luis: La Leyenda de los Abencerrajes

en Archivos del I nstituto de Estudios Africanos, año V, núm.19, Madrid 1951.

- *Seco de Lucena Paredes,* Luis: Los Abencerrajes Leyenda e Historia, Granada 1960.
- *SIMONET, FRANCISCO JAVIER:* «Descripción del reino de Granada bajo la dominación de los Nazaritas».Madrid, 1860.
  «Descripción del reino de Granada bajo la dominación de los nazaritas»Sacada de los autores árabes, y seguida del texto inédito de Mohamed Ibn al- Jathib». Madrid 1860. Se publicó una segunda edición con el titulo» Descripción del Reino de Granada. Sacada de los autores arabigos «. Granada, 1872.
- *Serrano Y. Sanz Manuel:*" Nuevos datos sobre la expulsiñn de los moriscos andaluces", Rev. Contemporanea,XC,1893.
- *TORRES BALBAS* (L.), Arte Califal in Historia de Espana, ed. R. Menendez Pidal, vol. V, Espana Musulmana, Madrid, 1957.
- *Vincent (B)*
  L'expulsion des morisques du royaume de grenade et leur répartition en Castille (1570-1571) in M.C.V, tome VI, 1970,pp.210-246.
  L'albaicin de Grenade au XVIe siécle in M.C.V, tome VII,1971,pp. 187-222.
  Les morisques d'Extrémadure au XVIe siecle, in Annales de démographie historiques, Paris,1974, pp.431-448.
  Combien de Morisques ont ete expulsés du royaume de Granade ?. Melanges de la Casa de Valázquez VII(1.971).
- *Vincent Bernard:* Les morisques d'Estremadure au XVI siecle. Anales de Demographie Historique,1.974.
- *Villa y Valdivia,* Francisco de Paula :Lecciones Elementales de Historia critica de España,2ª edición, Granada 1899.
- *Walsh. W.T.* Felipe II,4 ed. Madrid1951.

خارطة إسبانيا

خارطة الأندلس

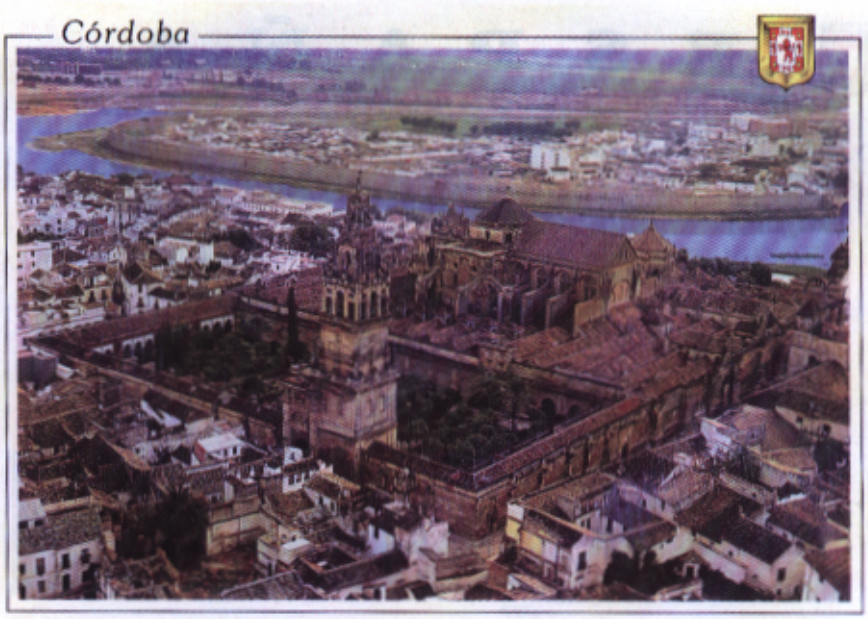

قرطبة

قلعة سانت كاتالينا

إشبيلية

الوادي الكبير (قرطبة)

MEDINAT AL-ZAHARA CORDOBA

المدينة الزهراء – قرطبة

الجامع الكبير في قرطبة

صورة للوحة قديمة تبين إحدى عمليات التعذيب التي
كان يتعرض لها المسلمون، وذلك بإجبارهم على شرب
كميات كبيرة من الماء حتى تنفجر أمعاؤهم فيموتوا

تابوت السيدة الجميلة الذي كان يُلقى فيه الشباب المسلمون ليطبق عليهم ويلاقوا حتفهم متأثرين بالسكاكين في داخله

http://al-maktabeh.com

صورة للوحة زيتية قديمة تُظهر إحراق مسلمين في أثناء حفلٍ دينيّ

صورة للوحة زيتية قديمة تُظهر إحراق المصاحف والكتب الإسلامية على أيدي أعضاء محاكم التفتيش في إسبانيا

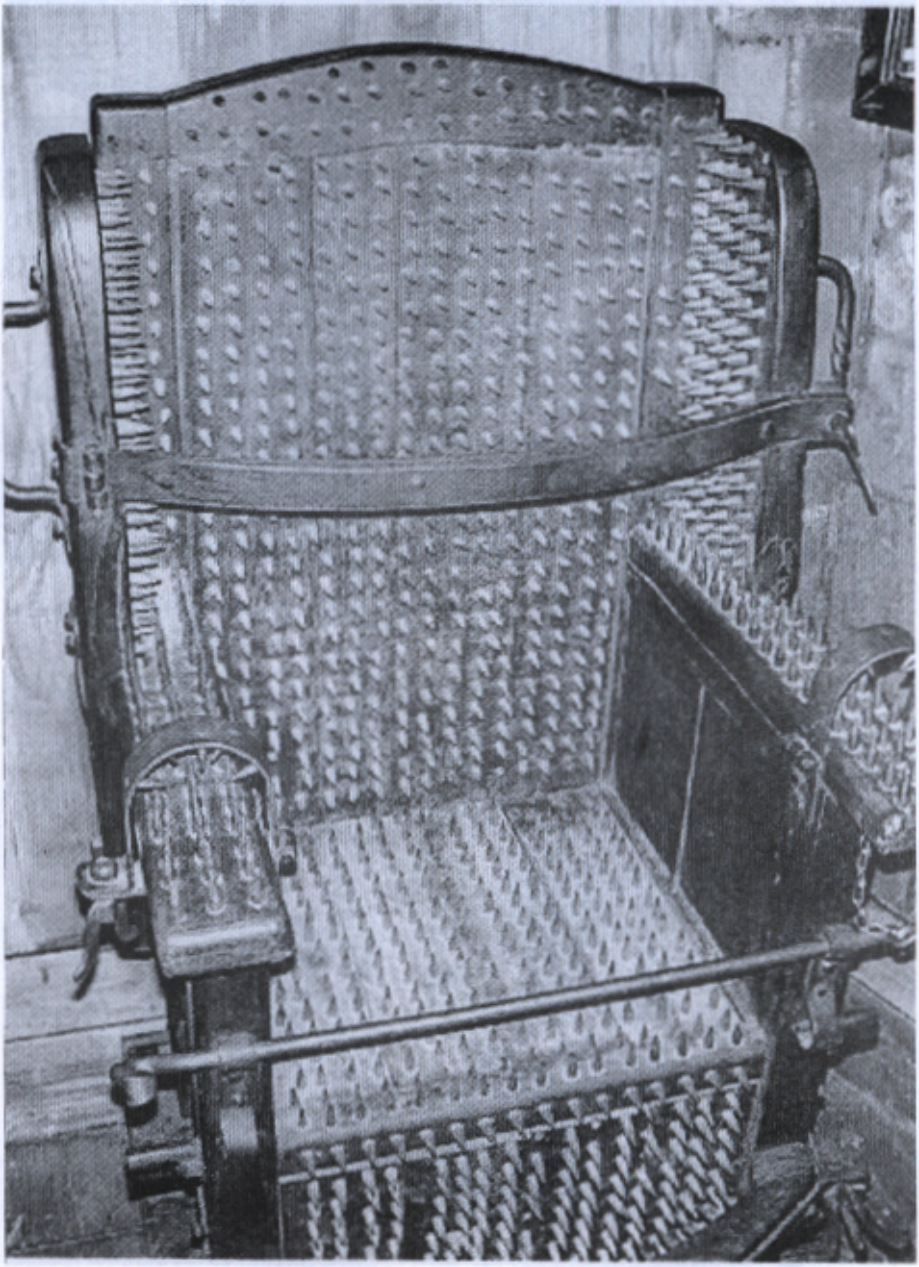

صورة لكرسيّ حديدي وضعت فيه مسامير حادّة لتعذيب الضحية حتى الموت

صورة للوحةقديمة تبين تعذيب أعضاء ديوان التفتيش لضحاياهم حتى الموت

من أشكال التعذيب البشعة التي تعرض لها المسلمون على أيدي محاكم التفتيش

من أشكال تعذيب الضحايا
من قِبل محاكم التفتيش

من صور التعذيب البشعة

من صور التعذيب البشعة

من صور التعذيب البشعة

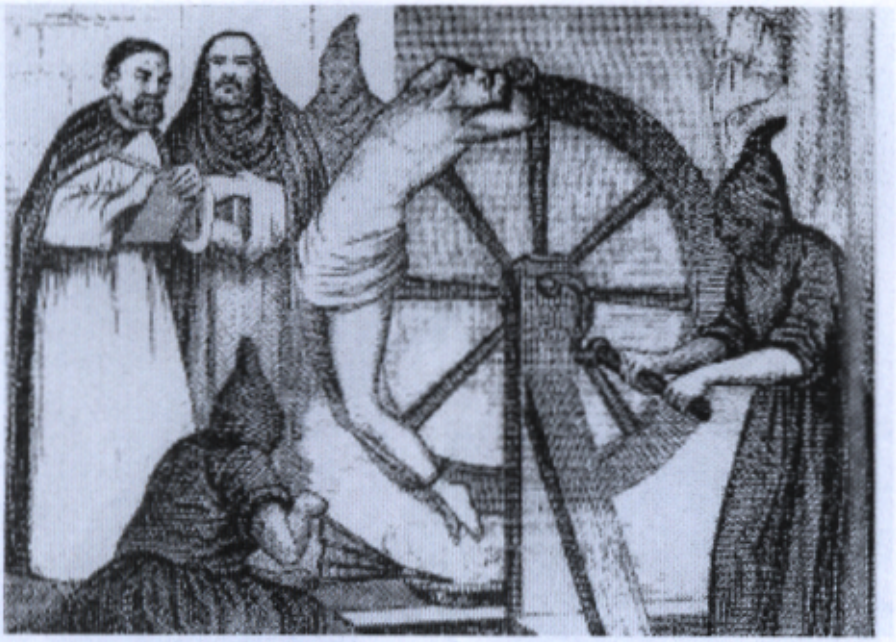

التعذيب بربط الضحية إلى دولاب

التعذيب حرقاً بالنار

اللباس عند الفتاة الموريسكية

وسيلة النقل للتنزه عند الموريسكيين

الرقص الموريسكي

http://al-maktabeh.com

- صورة الملاتين وبعض الموريسكيات

نافار
مملكة الأرغون
مملكة
البرتغال
مملكة قشتالة
بنو غانية
الموحدون ثم بنو نصر
الأندلس الإسلامية تعيش أخر أيامها
امتداد دولة الموحدين عام 1147 م
امتداد دولة الموحدين عام 1222 م
رقعة دولة بني نصر عام 1250 م
رقعة الدولة النصرية بعد 1250 م
وقبل سقوطها عام 1492 م

ليون
قشتالة
قطلونية
بنو هود
بنو الأفطس
بنو مياد
بنو الصمادح
بنو زيري
بنو ذي النون
بنو القاسم
بنو الأحلف
بحر الظلمات
البحر المتوسط
1085 م
ملوك الطوائف الأولى
الأندلس في نهاية القرن الحادي عشر للميلاد

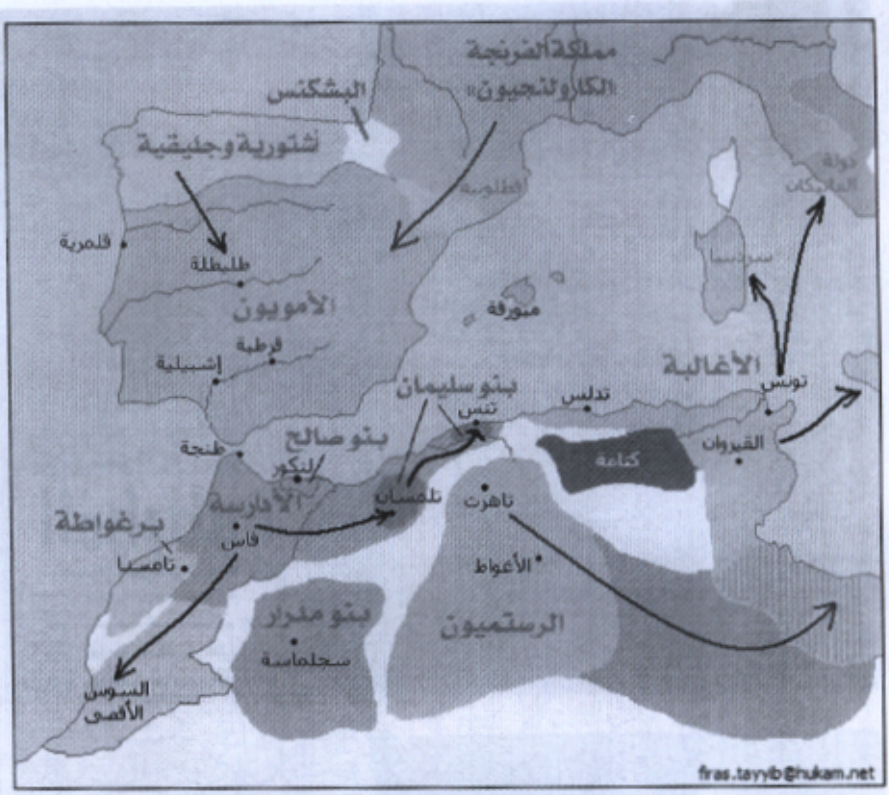

الأدارسة، الرستميون والأغالبة

شمال إفريقية والأندلس في القرن التاسع للميلاد

الدولة الإدريسية

- الأدارسة 788-904 م
- بنو سليمان في تلمسان 802 910 م
- بنو سليمان في تنس 805 910 م
- الأمويون 756-1031 م
- الرستميون 776 908 م
- الأغالبة 800-909 م
- بنو صالح 710-1015 م
- بنو مدرار 758 977 م
- برغواطة 816-1078 م

المرابطون
توحيد الأندلس بعد ملوك الطوائف
ليون
قشتالة
البرتغال
الأرغون
قطلونية
المغرب

ملوك الطوائف الأولى
1080 م
الأندلس في منتصف القرن الحادي عشر للميلاد
بنو ذي النون
بنو الأفطس
بنو هود
بنو رزين
بنو الفاسم
بنو مجاهد
بنو عباد
بنو برزال
بنو جهور
بنو ذيبن
بنو حمود
بنو الصمادح
بنو البكري
البحر المتوسط
بحر الظلمات

تسميات المدن والمناطق
في
الأندلس

الحصون والأقاليم في منطقة البشرات

LA ALPUJARRA CON SU REPARTICION EN TAHAS

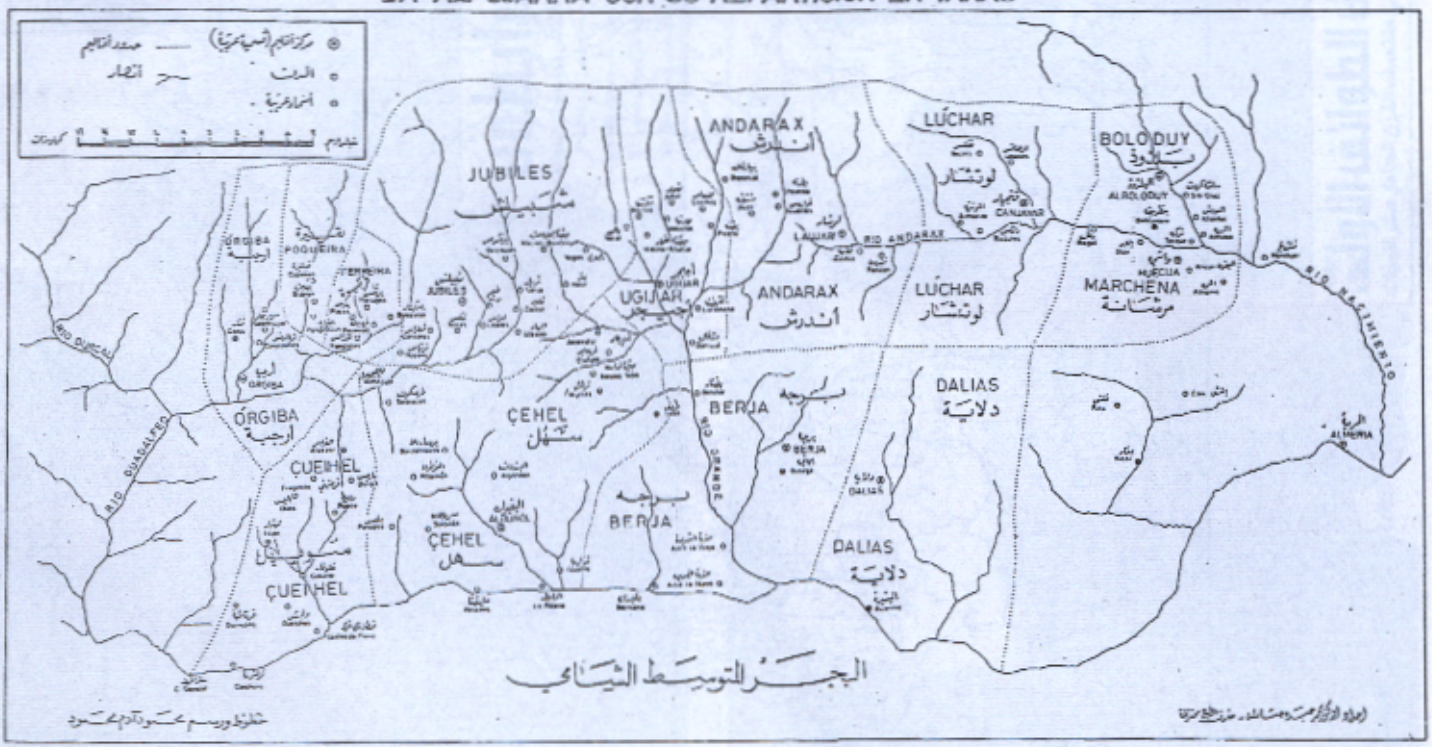

غرناطة/ الحمراء-إطلالة على حي البيّازين

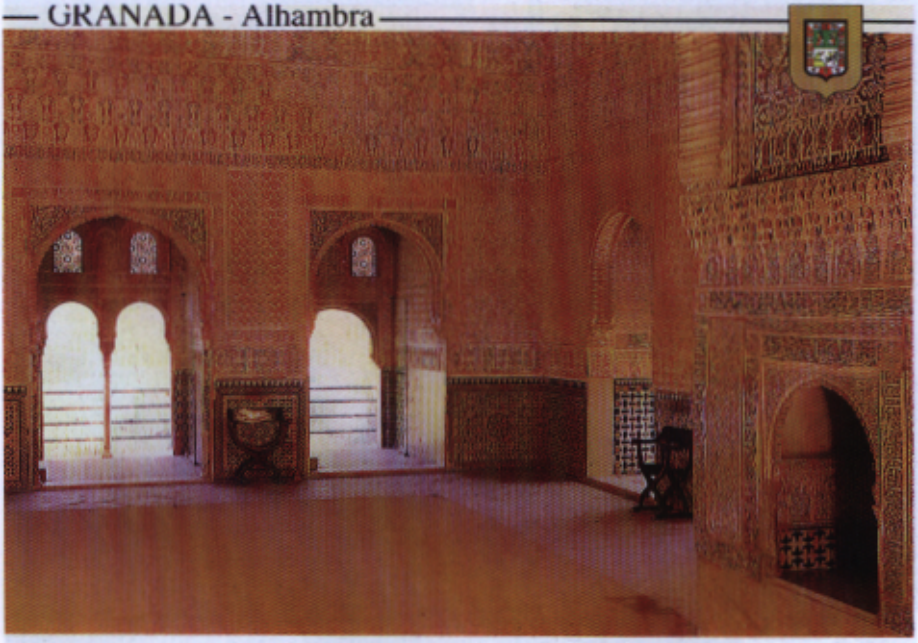

غرناطة/ الحمراء-صالون السفراء

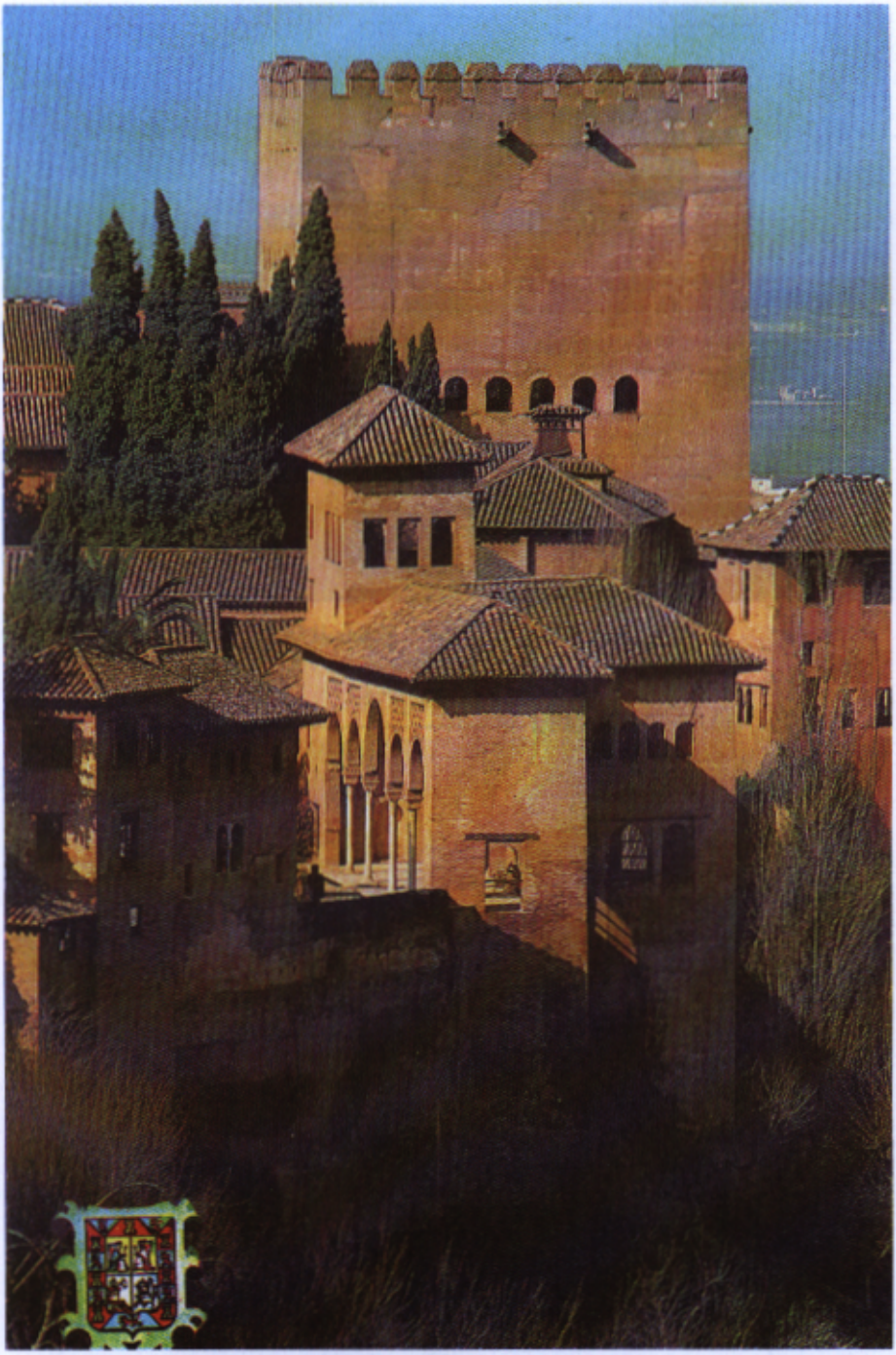

غرناطة/ الحمراء

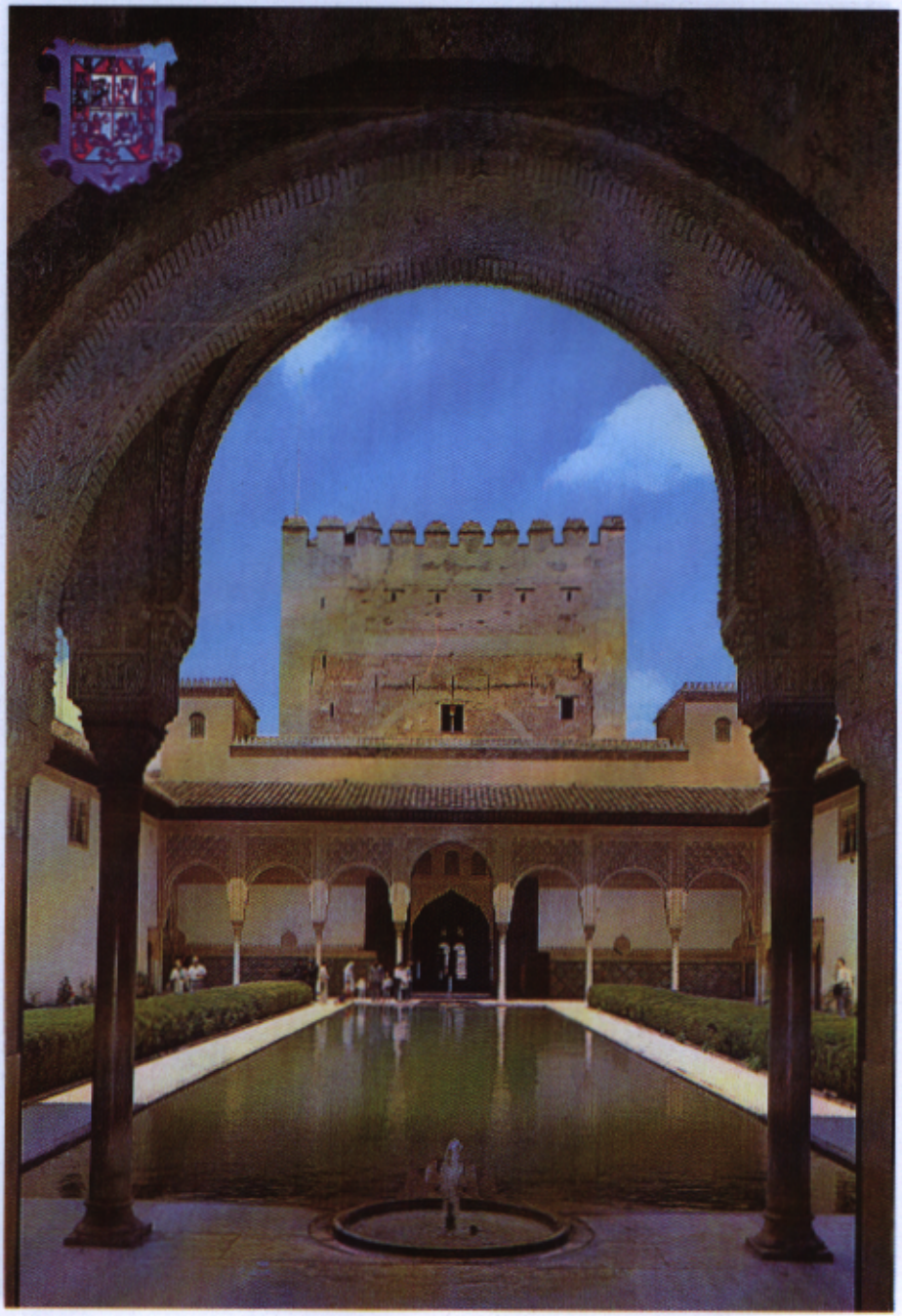

غرناطة/ الحمراء

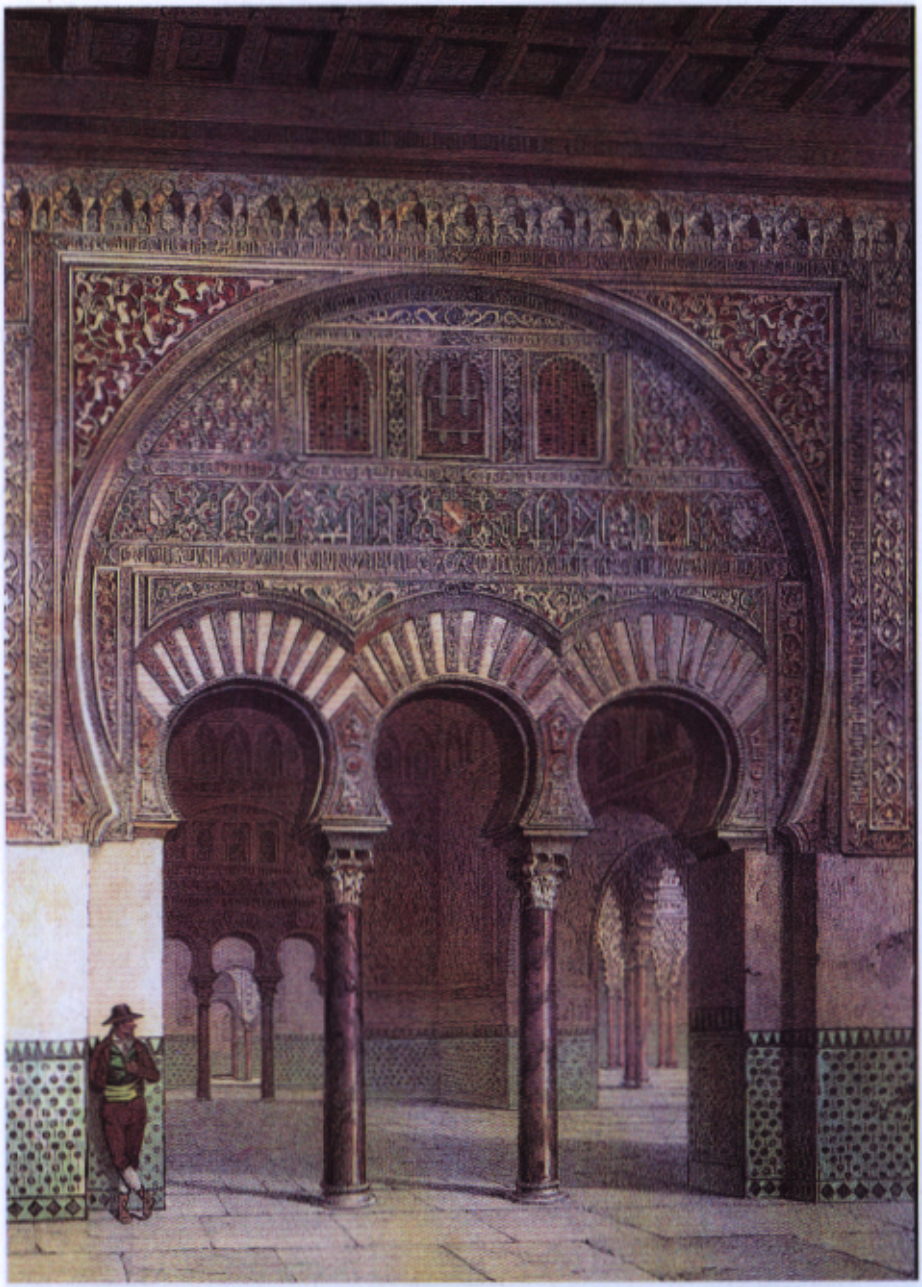

القصر/إشبيلية–صالون السفراء

http://al-maktabeh.com

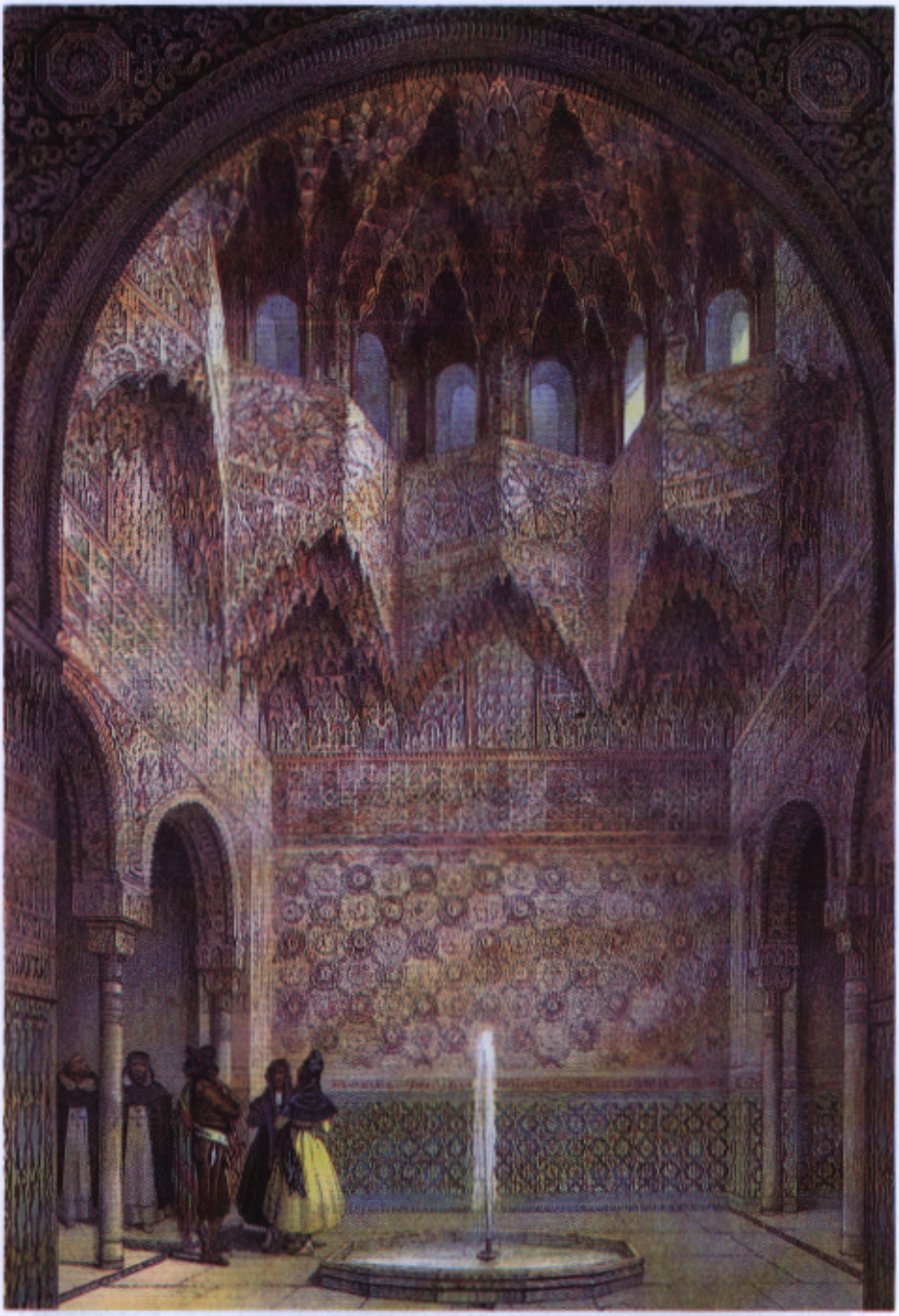

الحمراء-ساحة بني سراج

غرناطة/الحمراء-ساحة الأسود

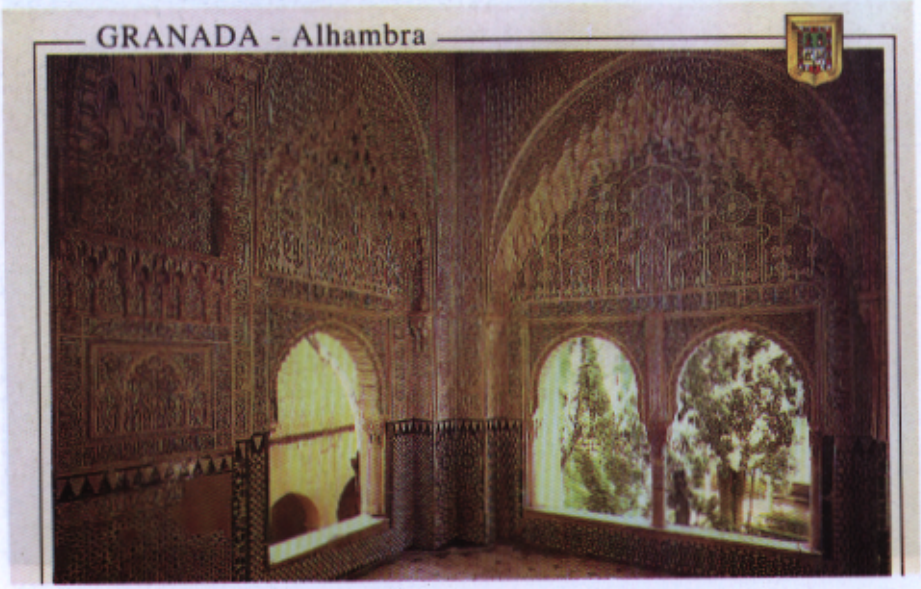

غرناطة/الحمراء

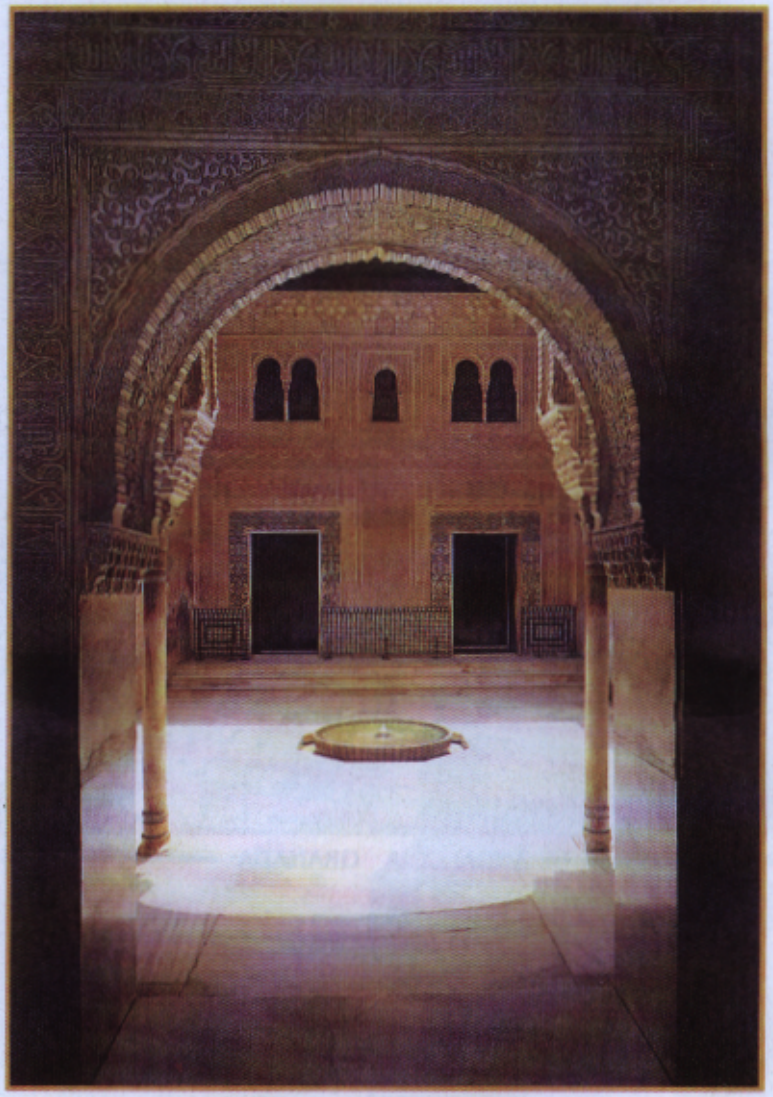

Granada

غرناطة/الحمراء

جانب من قصر الحمراء (ساحة المسجد)
وواجهة من قصر قمارش

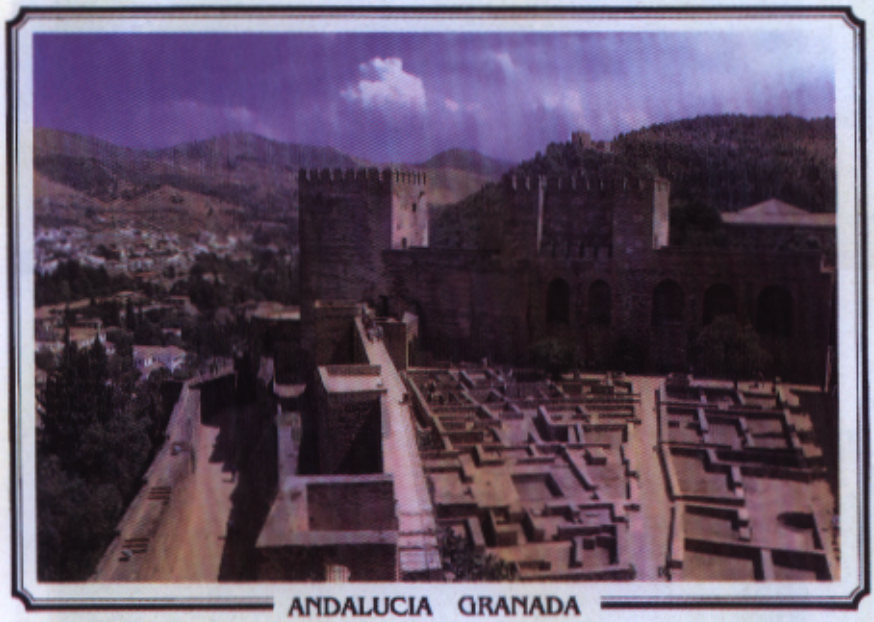

غرناطة/ الحمراء

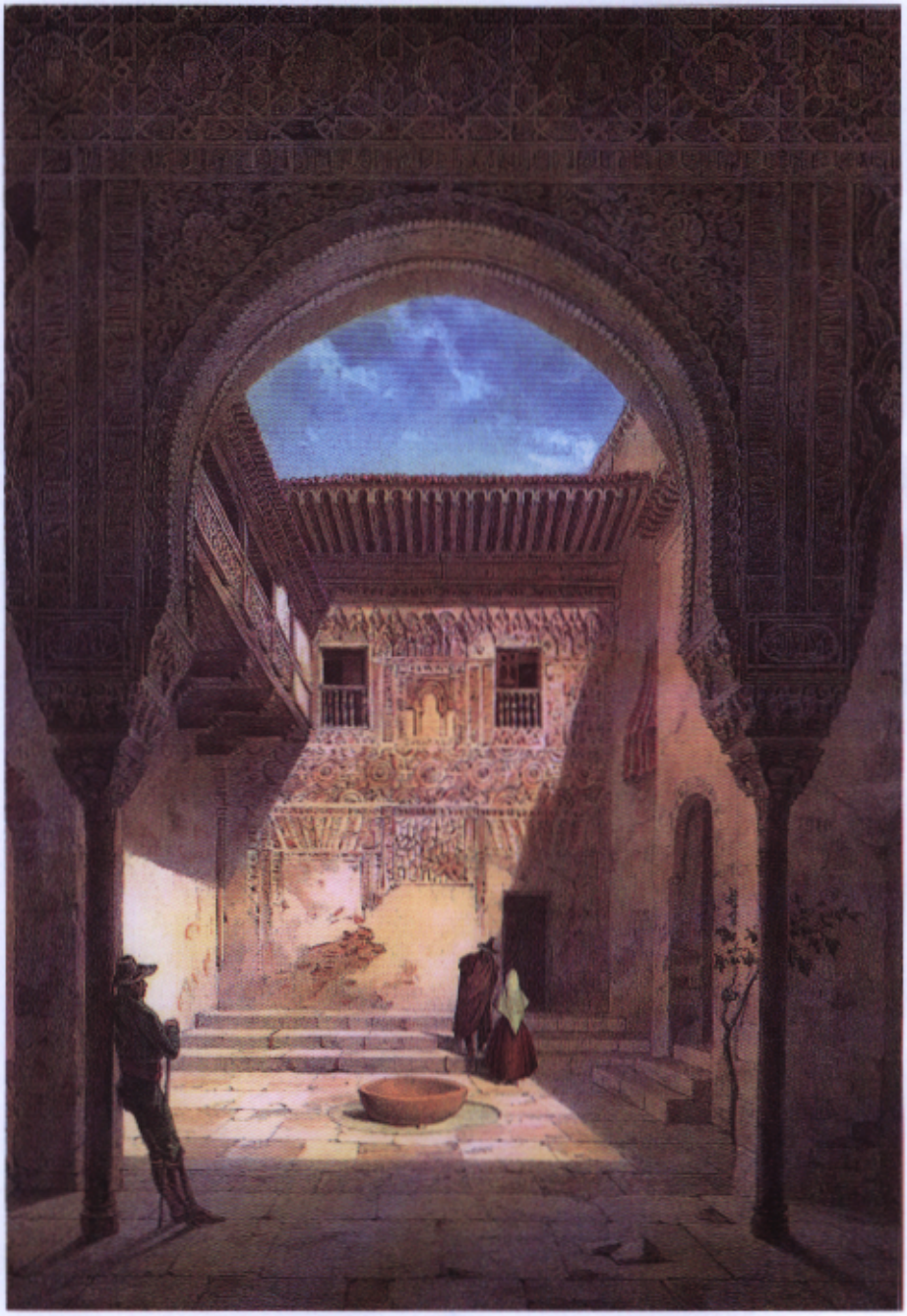

جانب من قصر الحمراء (ساحة المسجد)
واجهة من قصر قمارش